جامعة تونس الأولى

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم اللغة و الآداب والحضارة العربية

الوهـابيـة السعـوديـــة
وأثــرهـــا في
" السلـفيـة الجـديـدة " في مرّاكـــش

إعــداد الطالبة :

منـــال الشــرعبي

إشراف الأستاذ :

محمد النــاصر النـفـزاوي

السنة الجــامعية

2007 - 2006

إهـــــداء

إلى من وقفا إلى جانبي...

و عملا في صمت و صبر من أجل نجاح هذا العمل...

إلى أبي و أمي أهدي هذا العمل و أعدهما بالمزيد من العطاء

و عسى أن يرضيا عنّي

شكر و امتنان :

شكرا لله الذي ساعدني على انجاز هذا العمل

شكرا لوالدي و لوالدتي

بقدر ما ساعداني و أكثر...

شكرا لإخوتي و جميع من ساعدني

من قريب أو من بعيد

شكر خاص:

شكرا لأستاذي المشرف

على تفهمــه و صبره

شكرا على توجيهاته

و نصائحه التي لولاها

ما كان هذا العمل

تـــصديـــــر:

" الكلام على الكلام يدور على نفسه و يلتبس بعضه ببعضه "

" أبو حيّــان التوحـــيدي "

مـقــدمــة

ندرس في هذا البحث أثر الدعوة الوهابية السعودية في السلفية الجديدة المراكشية على المستويين الديني و السياسي إلاّ أننا سنركز على الجانب السياسي. إننا نهتم بالدعوة الوهابية و السلفية المراكشية لأنهما كانتا دعوتين وظفتا الدين لأغراض سياسية بالأساس . وسنحاول أن نبيّن لماذا يتعلق هذان القطران السعودي في المشرق و العلوي في مراكش ببنية سياسية تقليدية عمودية لا فصل فيها بين الدين والدولة بل يوظفان الدين لخدمة الدولة في وقت حاول فيه عدد من البلدان العربية تجاوز هذا الواقع من خلال اعتماد الأنظمة القومية و الليبرالية أيّ أننا بعبارة أخرى نريد أن نبّين مدى نجاح هذين النظامين السياسيين الدينيين في مشروعهما المتمثل في بناء مملكة متحدة في العربية السعودية و في تحقيق الاستقلال الوطني في مراكش و مدى قدرة هذين النظامين على مقاومة تأثير النظم السياسية الأخرى فيهما خاصة اذ اعتبرنا أن الدول الغربية تعد عاملا هاما في صياغة ملامح المشهد السياسي العربي و العالمي .

إن من أسباب اختيارنا هذا الموضوع أن "الوهابية" أو ما أصبح اليوم يعرف ب"السلفية الأصولية" أصبحت العامل الأساسي و الدرامي في مقاومة التأثير الغربي و لذلك أصبحت موقع اتهام حتى عند عدد من الآخذين بها.فهي حركة ولاّدة اذ نسمع كل يوم عن حركة إسلامية جديدة تدّعي أنها ولدت من رحمها فأصبح من الملّح في نظرنا البحث في أصول هذه السلفية الوهابية التأسيسية التي نشأت في الجزيرة العربية و امتدّ تأثيرها إلى بلدان عديدة و منها مراكش خاصة.

إننا نريد أن نؤكد من خلال هذا البحث أن مراكش خاصة و بلاد المغرب عامة رغم خصوصياتهما المحلية – وعلى عكس ما يدّعي البعض – حريصتان على تأكيد انتمائهما العربي الإسلامي فهما ليستا منفصلتين لا عن المجموعة العربية و لا

عن المجموعة الإسلامية و إن كان اتجاههما إقليميا وطنيا. و لعلّ في تبني مراكش عددا من مقومات الدعوة الوهابية دليلا على هذا التواصل بين المشرق و المغرب العربيين.فتبني مراكش عددا من مقومات الدعوة الوهابية السعودية لا يعني أنها كانت عاجزة عن "خلق" إيديولوجيا خاصة بها اذ أن المنظرين السلفيين المراكشيين نجحوا في إخضاع الدعوة الوهابية السعودية لمقاييس مراكشية عند.ما أضافوا إليها عددا من خصوصياتهم

إن اتساع الموضوع بسبب هذا الترابط بين السلفية الوهابية و السلفية المراكشية فرض أن ينقسم بحثنا إلى قسمين : قسم أول نتولى فيه دراسة الوهابية السعودية التأسيسية وهو ينقسم إلى أربعة فصول :

فصل أول نتعرض فيه للإطار التاريخي العام الذي ظهرت فيه الوهابية السعودية خلال القرن الثامن عشر.

فصل ثان نتعرض فيه لظروف نشأة الوهابية السعودية في نجد أي ظروف نشأتها محليا.

فصل ثالث نخصصه للبحث في مضامين هذه الدعوة على المستويين الديني و السياسي.

أما في الفصل الرابع فسنهتم بالوهابية السعودية في نجد خلال الثلث الأول من القرن العشرين نظرا إلى أنها شهدت عملية بعث ثانية في مطلع القرن العشرين.

و على غرار القسم الأول سنقسم القسم الثاني من البحث إلى أربعة فصول أيضا:

فصل أول ذي صبغة تاريخية نتناول فيه بالدراسة الأوضاع العامة التي شهدتها أوروبا و بلاد المغرب عامة و مراكش خاصة في مستهل القرن العشرين زمن نشأة السلفية المرّاكشية .

فصل ثان نتطرق فيه إلى الظروف الحافّة بنشأة السلفية الجديدة في مرّاكش.

فصل ثالث نتعرض فيه لمضامين السلفية المرّاكشية السياسية و الدينية

و فصل رابع أخير نرصد فيه أوجه الائتلاف و الاختلاف بين الوهابية السعودية والسلفية الفاسية العلوية.

لقد حرصنا في هذا البحث على الحفاظ على قدر معقول من التوازن بين الفصول مثلما حرصنا على الربط بينها قدر المستطاع.

أما المنهج الذي حاولنا أن نخضع له البحث فهو في الحقيقة منهج مزيج بين المنهجين الوضعي و التاريخاني .لقد وظّفنا المنهج الوضعي في التعامل مع العرض التاريخي الذي تطلبه بحثنا في أكثر من مناسبة .و قد ساعدنا هذا المنهج على دراسة المادة التاريخية التي توّفرت لدينا و تحليلها بموضوعية و حياد يبقيان دائما نسبيين لأن بحثنا ينخرط ضمن العلوم الإنسانية التي يصعب فيها الفصل التام بين الباحث و موضوع بحثه . فهذا الفصل الذي يفرضه المنهج الوضعي لا يجيده إلا العالم الفيزيائي . لذلك التجأنا إلى المنهج التاريخاني في أحيان كثيرة لأنه يفتح للباحث آفاق التفسير و التأويل و إعادة القراءة و يمكّنه من التفاعل أكثر مع بحثه. إن هذا هو ما يفسّر أننا ،أحيانا، لم نتحرج من تقديم عدد من وجهات

النـظـر الخـاصة و عـدد مـن الافتراضات الـتي أوصلـنا إلـيـها البحـث و الـتي قـد تحمـل مـن الخـطأ قـدر مـا تحـمـل مـن الصـواب.

القسم الأول:

الوهابية السعودية التأسيسية.

الفصل الأول:

القـرن الثامن عشر في أوروبا

و السلطنة العثمانية

يعتبر القرن الثامن عشر قرن التناقضات وانقلاب الموازين حقّا. ففي الوقت الذي شهدت فيه أوروبا الغربية نهضة سياسية و فكرية و اقتصادية ودّعت بها عهود الانحطاط التي شهدتها في القرون الوسيطة كانت السلطة العثمانية تودّع آخر عهود الازدهار و تسير نحو التدهور و الانحلال بعد أن كانت حتى وقت قريب قوة ترعب أوروبا. فقد ساهم تفاقم الأزمات السياسية و الاقتصادية في السلطنة و فشل سياستها الداخلية والخارجية في ظهور حركات انفصال عن السلطنة في اليونان و مصر و نجد تنبئ منذ هذه الفترة المبكرة بإمكان انهيارها.وعلى العكس من ذلك كانت أوروبا قد قطعت شوطا كبيرا من التقدم و التطور ولم تعد السلطنة العثمانية بالنسبة إليها سوى" تركة" يتنافس الأوروبيون على اقتسامها و غدت أوروبا في عيون عدد من المصلحين في السلطنة مثالا يطمحون إلى الاقتداء به.

في هذا الإطار التاريخي ظهر عدد من الأصوات المنادية بالإصلاح خاصة في المنطقة العربية التي بدأت تتقوى فيها النزعة الانفصالية التي جسدتها الدعوة الوهابية [1]. ولدراسة هذه الدعوة ارتأينا أن نقوم أولا بدراسة الأوضاع السياسية و الفكرية و الاقتصادية التي كانت سائدة في

---

[1] الدعوة الوهابية السعودية : يطلق لفظ الوهابية على جماعة إسلامية أسسها محمد بن عبد الوهاب و قد أطلق أعداء هذه الجماعة ذلك الاسم "الوهابية" أو "الوهابيين" عليها أثناء حياة محمد بن عبد الوهاب نفسه أما أفراد هاته الجماعة فكانوا يسمّون أنفسهم بالموحدين كما كانوا يسمّون طريقتهم بالمحمدية إشارة إلى اتباعهم سنّة الرسول صلى الله عليه و سلّم ؛ و كانوا يتمذهبون بمذهب الإمام أحمد بن حنبل وفقا لتفسيرات ابن تيمية الذي هاجم الأولياء و التقرّب إليهم في كثير من كتاباته و قد أخذت مظهرا حربيا فقد قاد الجيوش محمد بن سعود و قاتلوا الدولة العثمانية حتى أخضعهم والي مصر محمد علي ثم استولوا على الحجاز و الصحراء كلها بقيادة عبد العزيز آل سعود والد الملك فيصل و أتوا على قبور الصحابة بالهدم و لم يبقوا إلا معالم لبعضها .(موجز دائرة المعارف الإسلامية مقال الوهابية السلفية ؛الجزء الثاني والثلاثين ؛الطبعة الأولى ؛1988 ؛ و الموسوعة العربية الميسرة ؛المجلد الثاني ؛القاهرة ؛دار الشعب ؛1972 ؛ص1968).

أوروبا و السلطنة العثمانية لأن هاته الأوضاع زامنت نشأة الدعوة الوهابية السعودية ومثلت إطارا حاضنا لها فكيف كانت ،إذن، هذه الأوضاع ؟

مثـّل القرن الثامن عشر فصلا جديدا من فصول اندحار السلطنة العثمانية لكنه مثـّـل بالنسبة إلى أوروبا الغربية حقبة جديدة من حقب الانطلاق و التطور و قد مثلت فرنسا و انكلترا قطبي الازدهار فما هي الأسس التي انبنت عليها هذه النهضة ؟

لاشك أن الثورة الصناعية الانكليزية و فلسفة الأنوار الفرنسية هما الأساسين الجديدين الذين انضافا إلى النهضة الأوروبية التي لاحت بوادرها قبل قرون من هذه الفترة لكنها تدّعمت أكثر في القرن الثامن عشر.

لقد هيمنت على أوروبا القرن الثامن عشر على الصعيد السياسي أنظمة الحكم الملكية المطلقة " و كان العصر حينئذ عصر الملوك المستبدين من أمثال فردريك الثاني ملك بروسيا و كاترين اطور النمسا الذين كانوا يرون 20100330.pdf- الثانية قيصرة روسيا و جوزيف الثاني امبر أن السلوك الأبوي للحاكم المطلق هو وحده الوسيلة الكفيلة بتحسين أحوال المجتمع و إعلاء شأنه و أن ليس ثمة حاجة إلى وسائل أخرى"[2] واستندت هذه الأنماط من الحكم إلى ما كان يعرف في أروبا بالحق الالهي ذلك أنّ ملوك أروبا كانوا يعتبرون حكمهم مستندا إلى شرعية إلهية لذلك كانت جميع السلط تتجمع في يد الملك بما في ذلك السلطة الدينية و من هنا مارس رجال الدين سلطة كبيرة لأن سلطتهم الدينية كانت مرتبطة بالسلطة السياسية و السلطتان لم تكونا منفصيلتين و هذا يعني أن هذا النظام الملكي كان يلغي إرادة الشعب و يسلب حقوقه و

---

[2] هيربرت فيشر ، أصول التاريخ الأروبي الحديث من النهضة الأروبية إلى الثورة الفرنسية،القاهرة ،دار المعارف،1962، صص 341-342

يذيب جميع المؤسسات والأفراد في سلطة واحدة هي سلطة الملك المطلقة الشيء الذي جعل ملك فرنسا لويس الرابع عشر يقول " الدولة هي أنا " .

لقد بدأت أ روبا منذ القرن السابع عشر تشهد تحولات حاسمة تعمّقت أكثر في القرن الثامن عشر فقد شهدت انقلترا تحولات اقتصادية هامة ساهمت في ظهور فكر التنوير في فرنسا الذي أشّع على كامل أروبا و كان سببا في اندلاع الثورة الفرنسية التي قلبت المفاهيم و دعمت أسس الحداثة الغربية.

و تعتبر أنقلترا القطب الأروبي الذي أرسى ملامح الحداثة الاقتصادية وساهم في تركيز الرأسمالية .لم تخلق هذه التحولات الاقتصادية في أنقلترا من فراغ بل إن الوضع السياســي و الفكري كان حافزا لهذه التحولات بصدور لائحة الحقوق التي تضمنتها الشرعية الكبرى سنة 1215. و بذلك بدأ الوضع السياسي يتغير ذلك أن لائحة الحقوق Magna Carta) (قد حدّت من سلطات الملك و بدأ ما يعرف بالحكم الملكي النيّر و قد ساهم عدد من الفلاسفة في تغيير الوضع السياسي من أمثال الفيلسوف جون لوك [3] وهو من أنصار الملكية المقيّدة وهو يرى أن من حق الشعب اختيار السلطة التي تحكمه و أنّ نظام الحكم يجب أن يكون تمثيليا ديمقراطيا و السلطة فيه مقيدة برأي الأغلبية "وهو صاحب المذهب القائل بأن الحكومة ينبغي أن تكون قائمة على رضا المحكومين وهو صاحب الرأي بأن الملكية الخاصة حق لا يكسبه غير العمل و يؤمن بالتسامح الديني و تنشئة الشباب تنشئة عملية"[4] وبذلك وقع تقييد

---

[3] جون لوك : John loke(1632-1704) فيلسوف و مفكر سياسي أنقليزي كتب عن التسامح و عن أنظمة الحكم أشهر كتاباته "مقالتان عن الحكومة "(1690) (المنجد في اللغة و الأعلام ، بيروت ، دار المشرق ،1988،ص 210)

[4] هيربرت فيشر ، أصول التاريخ الأروبي ،مرجع سلف ذكره ،صص 339-340

سلطات الملك فلم يعد من حقه مثلا إلغاء القوانين من دون موافقة البرلمان. ساهم هذا النمط الجديد من الحكم الملكي في خلق استقرار سياسي و بث روح تحررية انسجمت و تفاعلت معها الطبقة الرأسمالية الصاعدة فراجت بذلك أفكار اقتصادية جديدة تطالب بالحرية الاقتصادية من خلال الحدّ من تدخلات الدولة و تشجيع الإنتاج و حرية الترويج.

ساهمت هذه الأفكار الجديدة في مزيد الاعتناء بقطاعي الفلاحة والصناعة حتى من قبل الطبقة الأرستقراطية و قد ساعد ذلك في النهوض بهذين القطاعين إضافة الى ذلك فقد خدم التوسع الاستعماري الاقتصاد الأنقليزي بشكل كبير فمن خلال السيطرة على المستعمرات الغنية و على المسالك التجارية الاستراتيجية تمكنت أنقلترا من خلق نفوذ إقتصادي كبير إلى جانب نفوذها العسكري و السياسي حتى أنها أصبحت القوة الأروبية الأولى فقلّـصت من نفوذ الأقطار الأروبية الأخرى خاصة فرنسا " و قد توفر لها من أسباب القوة و الثراء ما لم يكن لها به عهد من قبل ثم هي في البر والبحر قد كانت الروح المهيمنة للحلف الدولي الذي كبح جماح لويس الرابع عشر وهي قد أصبحت قادرة على أن تشن الحرب وتعقد الصلح"[5] وبذلك إفتكت أنقلترا الريادة الإقتصادية من دول أروبا وتدعمت سياسيا وعسكريا و سيطرت على التجارة البعيدة و هيمنت على نظام الإقتصاد العالمي الذي ظهر منذ القرن السادس عشر بفضل الإكتشافات الجغرافية و الذي يقوم على ربط أروبا بمستعمراتها عن طريق علاقات تبادل تجاري غير متكافئة تكون فيها دول المركز(أنقلترا و فرنسا و هولندا) محتكرة للتجارة و تلعب دول شبه الأطراف(إسبانيا و البرتغال و أروبا الوسطى) دور الوسيط بينما توفر دول الأطراف – وأغلبها من المستعمرات – المواد المنجمية و الفلاحية و العبيد " لكن في القرن الثامن عشر تمكنت أنقلترا من الهيمنة على نظام الاقتصاد العالمي وأضعفت الدور الهولندي والفرنسي وهذا

---

[5] هيربرت فيشر ، أصول التاريخ الأروبي ،مرجع سلف ذكره ، ص339

ما انعكس إيجابيا على القطاعين الفلاحي والصناعي اللذين تطورا بصفة مطـّردة و ساعد على ذلك الاختراعات العلمية و بروز النظام الرأسمالي".[6]

على الصعيد الفلاحي تغير المشهد الريفي الأنقليزي و استثمر النبلاء في القطاع الفلاحي فظهرت بذلك الضيعات الرأسمالية الكبرى و برزت أساليب استغلال جديدة و تطورت التقنيات و ازدادت الأرباح فحدث ما يمكن أن نسميه ثورة فلاحية .على الصعيد الصناعي وقع أيضا تحديث آليات العمل بفضل الاختراعات التقنية التي اشتهرت بها أنقلترا في ذلك الوقت و قد ساهم اختراع المحرك البخاري المتعدد الاستعمالات في تطوير الصناعة الأنقليزية إلى جانب الاختراعات الأخرى المتعاقبة التي ساهمت في تنويع الإنتاج و تحسين مردوديته كذلك ساهمت الإيرادات الضخمة التي يعود بها الاقتصاد الأنقليزي في دعم الصناعة بشكل كبير فظهرت بذلك المصانع الضخمة و المدن الصناعية مثل مانشستير و ليفيربول .تمكنت أنقلترا في القرن الثامن عشر من تعظيم قوتها الاقتصادية و الإستعمارية فهيمنت بذلك على التجارة البحرية .و أصبحت تمثل بالنسبة إلى بقية أقطار أروبا نموذجا اقتصاديا و سياسيا وفكريا ناجحا و قد تأثر عديد الفلاسفة و المفكرين الفرنسيين بما شهدته أنقلترا من تغيرات و ما انتشر فيها من مذاهب عقلية فظهر بذلك ما يسمى بحركة التنوير ،والتنوير حركة فكرية اتسمت بالعقلانية و رفض الفكر الخرافي و تصدّت هذه الحركة للاستبداد بجميع أشكاله و هذه الحركة هي دعوة إلى الثورة على الظلم و الاستبداد و دعوة إلى إعمال العقل و إحلال الحرية و العدل والمساواة لذلك طالب فلاسفة الأنوار بحماية حقوق الإنسان و احترام حريته التي هي حق طبيعي له لا يمكن للإنسان أن يعيش حياة كريمة بدونها و الحق الطبيعي الثاني للإنسان الذي

---

[6] كتاب التاريخ المدرسي لتلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي ،تونس ،المركز الوطني البيداغوجي ،2006،ص110

نادى به فلاسفة التنوير هو العدل و قد أكد فولتير [7] على أن العدل و الحرية هما من الحقوق الطبيعية للإنسان .

إستنادا إلى هذه المبادئ نادى فلاسفة الأنوار بتغيير الأوضاع خاصة الوضع السياسي فطالبوا بإلغاء الحكم الملكي المطلق المستند إلى الحق الإلهي و وقفوا في وجه الكنيسة التي ساندت الملوك ليمارسوا الحكم المطلق باعتبار أنهم يستمدون شرعيتهم من الله لا من الشعب و مارس تبعا لذلك رجال الدين نفوذا كبيرا في الحياة السياسية .لذلك طالب فلاسفة التنوير باستبدال الحق الالهي –الذي استند إليه الحكم الملكي التيوقراطي-بالعقد الاجتماعي بين الملك و رعيته فقد اعتبر فلاسفة التنوير و على رأسهم جون جاك روسو [8] أن الشعب هو مصدر السلطة ،أي أن سلطة الملك مصدرها دنيوي و ليس دينيا لذلك عملوا على الفصل بين الدين و الدولة و على تجريد الملوك من الهالة الالهية التي خلعها عليهم رجال الدين " و طغت على القرن الثامن عشر موجة عاتية من العداء لرجال الكنيسة مبعثها اتجاه الفلاسفة الفرنسيين جميعا "[9] ،و قد لقيت أفكارهم هذه ردود فعل عنيفة من قبل السلط الفرنسية فقد أصدر برلمان باريس حكما بإحراق كتابي روسو "العقد الإجتماعي " و "إميل" بعد عشرين يوما فقط من نشر الكتابين و تعرّض روسو للسجن جراء مطالبته بأن تكون السيادة للشعب و بأن تعبر الدولة عن الإرادة العامة باعتبارها وكيلا عن الشعب لتنفيذ الإرادة العامة و اعتبر روسو أن مهمة الحكومة هي

---

[7] فولتير (فرنسوا ماري أرواي) (1694-1778) ،ولد في باريس مؤلف فرنسي من نوابغ زمانه أقام في بيروسيا و سويسرا ،تزّعم حركة الفلسفة المادية و قاوم رجال السلطة الدينية و نقدهم بقلمه الرشيق اللاذع ،من مؤلفاته ،المحاورات الفلسفية ، " كنديد " "زئير " محمد " (المنجد في اللغة و الأعلام ،مرجع سلف ذكره ، ص 421)

[8] جون جاك روسو (1712-1778) ولد في سويسرا من عائلة فرنسية الأصل ، نادى بالديمقراطية و التسامح الديني ، أشهر مؤلفاته "العقد الاجتماعي "(المنجد في اللغة و الأعلام ،مرجع سلف ذكره ،ص435)

[9] هربرت فيتشر ،أصول التاريخ الأروبي ،مرجع سلف ذكره ،ص 342

تحقيق الإرادة العامة لذلك نادى بنظام ديمقراطي تكون السيادة فيه للقانون إلى جانب فصل السلطات الثلاث .نادى فلاسفة التنوير بالعقد الإجتماعي و السيادة الشعبية أي أن تقوم الدولة على مبدأ التعاقد بمعنى أن يتنازل جميع أفراد الشعب عن إرادتهم الخاصة لصالح الإرادة العامة و يعتبر الشعب صاحب السيادة المتمثلة في ممارسة هذه الإرادة العامة و الشعب هو الحاكم الأعلى في الدولة و عنه تصدر القوانين .اختلف فلاسفة التنوير في تحديد العقد الإجتماعي فهو عند روسو مثلا "يقوم على اتفاق بين أفراد يتنازل فيه كل منهم للمجموع عن حقه في السيادة بحيث تشترك إرادة الفرد مع إرادة الآخرين لخلق ما يسمى بالإرادة العامة و بهذه الإرادة العامة يستطيع الشعب أن يحمي نفسه من أطماع الإرادات الخاصة و يتم ذلك بالخضوع للقوانين التي تتجلى فيها حرية المواطن"[10] و يعتبر روسو أكثر الفلاسفة الفرنسيين ثورية لكن مبادئه لم تلق هوى لدى رجال الكنيسة و الطبقة الأرستقراطية في مجتمع أرستقراطي بالأساس خاصة أنه نادى بفصل الدين عن الدولة و بإقامة نظام جمهوري و تكريس الديمقراطية .

رغم اختلاف فلاسفة التنوير في بعض الجزئيات فإنهم اتفقوا على ضرورة ارساء قيم العدل و الحرية و المساواة والديمقراطية و ضرورة الفصل بين الدين و الدولة و قد أكدوا خاصة على هذا المبدأ الأخير لأن ارتباط الدين بالدولةهو الذي ألغى إرادة الشعب و كرّس الطبقية

---

[10] إمام عبد الفتاح إمام ،الطاغية،الكويت،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،سلسة عالم المعرفة ،عـدد183،ص1994،صص281-282

و اللامساواة و الاستبداد حسب فلاسفة التنوير "فمن الخطورة على الدين و على الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في اصدار القرارات أيّا كانت أو التدخل في شؤون الدولة "[11].

من نافلة القول التأكيد على أن الحركة الفكرية قد نشطت كثيرا في القرن الثامن عشر و أن الأفكار التي روّجها فلاسفة التنوير لم تعد حكرا على فرنسا بل أشعّـت على كامل أروبا " إذ لم يقتصر تأثير هذه الحركة الخطيرة على فرنسا بل إنه تعدّاهـا إلى سائر الأقطار فأدّت أجـلّ خدمة بما حملته من نعي على العنف في شتى صوره و على الإعتقاد في الخرافة و الأفكار البالية و الظلم و عدم التضامن بين الطبقات في بناء المجتمع الأروبي و هجوما على ما كان شائعا فيه من معتقدات دينية و اجتماعية و قد نعت بعض كتاب العصر بالالحاد الصريح الصارخ و كان فولتير و روسو - و هما ألمع كتاب عصرهما – من أئمة المفكرين المناهضين لرجال الدين "[12] لم يخف فولتير تحمسه الشديد و إعجابه الكبير بالنظام الملكي الدستوري الأنقليزي يقول :"إن انجلترا أكثر دول العالم حرية لا تكاد تنازعها في ذلك جمهورية واحدة و في رأيي أنها حرّة لأن ملكها مقيّـد السلطان و لا يملك لفرد من الأفراد ضرّا محسوسا"[13] أي أن فولتير رغم قبوله بالنظام الملكي فهو يطالب بجعل هذه الملكية مقيدة مع الفصل بين الدين و الدولة.

لم يكتف الفلاسفة الفرنسيون بنقد الأوضاع السياسية بل نقدوا الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية أيضا " فقد اتجهت طائفة من تلك التآليف الحماسية الفياضة التي صدرت عن فلاسفة القرن

---

[11] باروخ سبينوزا ،رسالة في اللاهوت و السياسة ،بيروت ،دار الطباعة،1994 ،ص18

[12] هربرت فيتشر ،أصول التاريخ الأروبي الحديث ،مرجع سلف ذكره ،ص341

[13] هربرت فيتشر ، المرجع السابق ،ص340-341

الثامن عشر إلى نقد المبادئ الاقتصادية القائمة على التدخل الحكومي "[14] مثل الماركنتيلية و هو نظام يقوم على تدخل الدولة في الاقتصاد بفرضها الحواجز القمرقية و القيود الاقتصادية و الإمتيازات .طالب علماء الاقتصاد بإلغاء الإمتيازات و القيود و إعطاء أكثر حرية للمستثمرين وذلك لإنعاش الإقتصـــاد و قد برزت في القرن الثامن عشــر مدرستان إقتصـــاديتان:

المدرسة الفيزيوقراطية في فرنسا اعتبر مفكروها الأرض مصدر الثروة الوحيد لذلك طالبوا بتحريرها من كل القيود و نادوا بالتنمية الفلاحية "فقد كانوا يؤمنون بأن قوة الطبيعة كفيلة إذا تركت و شأنها بأن توفر للناس من أسباب الرفاهية ما لم يكونوا يحلمون بتحقيقه في ظل نظام قائم ع

المدرسة الثانية وهي المدرسة الكلاسيكية و يمثلها لى قيود من عمل الدولة أو السلطات المحلية "[15]. الأنقليزي آدام سميث [16] على خلاف المدرسة الفيزيوقراطية التي تعتبر الأرض المصدر الوحيد للثروة فإن آدام سميث يعتبر عمل الإنسان مصدر الثروة الرئـيسي لذلك دعا إلى تحريره و قد وضّح سميث منهجه هذا في كتاب "ثروة الأمم " الذي اعتبر فيه أن الاقتصاد العالمي تنظمه قوانين طبيعية و هذه القوانين "تحدد حصة كل أمة من الثروة العالمية و اعتبر الضرائب و الحواجز القمرقية تدخلا في عمل الطبيعة .كما أكدّ سميث أن عمل الإنسان هو المصدر الرئيسي للثروة لذلك نادى بتحريره و أن الصناعة هي السبيل الوحيد لتنمية الإنتاج لذلك نادى

---

[14] هربرت فيتشر ، أصول التاريخ الأروبي الحديث ،مرجع سلف ذكره ،ص343

[15] هربرت فيتشر ، المرجع السابق ،ص343

[16] آدام سميث Adam Smith(1723-1790) عالم إقتصاد انقليزي ألف كتاب ثروة الأمم من أبرز رواد المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية ،منظّر الرأسمالية الحرّة (المنجد في اللغة و الأعلام ،مرجع سلف ذكره ، ص 401)

بفسح المجال للتنافس الحرّ كما أكد أيضا على حرية المبادلات و بذلك كان آدام سميث منظّر الرأسمالية الحــرّة "[17].

أراد فلاسفة التنوير أن يقوموا بتغيير شامل و جذري للمجتمع الفرنسي و اعتبروا أن الارستقراطية اتي ينبني عليها المجتمع الفرنسي هي مكمن الداء بما تنشره من طبقية و عدم مساواة بين المواطنين من خلال الامتيازات التي يحظى بها النبلاء و رجال الكنيسة فالوظائف الدينية و السياسية يحتكرها النبلاء و رجال الدين بالإضافة إلى إعفائهم من دفع الضرائب.

اهتم فلاسفة التنوير بمحاربة ظاهرة أخرى كانت منتشرة في المجتمع الفرنسي تتعلق بالمعتقدات الخرافية التي روّجها رجال الدين المسيحيون لذلك وجدوا في التسامح الديني و الفصل بين الدين و الدولة الحلّ الأنسب .و الواقع أن فلاسفة التنوير عرفوا بضعف الوازع الديني لديهم فإضافة إلى وجود بعض الملحدين بينهم فإن البعض الآخر كفولتير و روسو كان يدعو إلى التعايش السلمي بين مختلف الأديان لأنهم و ببساطة يؤمنون بوجود إله واحد و ينكرون الأديان و الرسل

.

عمل فلاسفة التنوير إذن كان يرمي إلى تقويض المجتمع الأروبي التقليدي القائم على الطبقية و اللامساواة و إحلال مبادئ العدل و المساواة و الحرية و الديمقراطية مكانها إلا أنّ كل هذه المبادئ التي نظّر لها فلاسفة التنوير وجدت مقــاومة كبيرة من لدن النبلاء و رجال الدين الذين تضاربت مصالحهم مع ما نادى به هؤلاء الفلاسفة مما أدّى إلى قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 التي ناهضت كل أشكال التخلف و الإستبداد و ناهضت في المقام الأول الحكم الملكي المطلق القائم على نظام الحق الإلهي و قد مثلت الثورة الفرنسية نقطة تحول هامة جدا في تاريخ فرنسا و خطوة هامة نحو بناء الدولة الديمقراطية الحديثة و قد وجدت هذه الثورة صدى كبيرا في

---

[17] كتاب التاريخ المدرسي ، مرجع سلف ذكره ،ص122

العالم جميعه. تعود أسباب هذه الثورة أساسا إلى ظهور فكر التنوير الذي بثّ الوعي في صفوف الشعب الفرنسي و لقي صدى طيبا لديه فقد نجح فلاسفة التنوير في خلق فكر جديد تحرري عقلاني يؤمن بالعدالة و المساواة هذا بالإضافة إلى تأثــر الفرنسيين الواضح بالثورتين الأمريكية و الأنقليزية إذ رأوا فيهما نموذجا خاصة الفلاسفة منهم و بالأخص فولتير و محط إعجابهم هو توصل الأنقليز إلى تقييد سلط الملك و تمثيل الشعب من خلال البرلمان .لكن الحكم الملكي الفرنسي لم يستجب إلى تطلعات الشعب هذا بالإضافة " إلى المشكلات الداخلية التي واجهت فرنسا و أخذت تسترعي انتباه المفكرين من الفلاسفة منذ الأعوام الأخيرة من حكم لويس الرابع عشر مشكلات مالية قبل كل شئ إذ لم تجرؤ أي حكومة في فرنسا على أن تضع نظام للضرائب موحدا و عادلا يسري على جميع طبقات الشعب "[18].ضاعفت هذه الأوضاع السخط الشعبي على نظام الحكم المتحيز بشكل صريح للطبقة الأرستقراطية ،و قد ساهمت الأزمة الإقتصادية و الإجتماعية التي مرّت بها فرنسا بين سنتي 1787-1789 بشكل مباشر في اندلاع الثورة فقد عاشت فرنسا نكسة اقتصادية على المستوى الفلاحي و الصناعي ساهمت في تفاقم معدلات البطالة و انتشار الفاقة و التسوّل و الإضطرابات .و ينضاف إلى هذه الأوضاع المتدهورة الخسائر المالية التي تكبدتها فرنسا جرّاء مشاركتها الولايات المتحدة الأمريكية في حربها اللاستقلالية و رغم محاولات الاصلاح و الحدّ من الأزمة إلا أن الوضع لم يتغير نظرا إلى تعنت النبلاء و رفضهم التنازل على امتيازاتهم و قد رضخ الملك الفرنسي لرغبتهم مما أجّج الغضب الشعبي و آذن بالثورة على النظام فاندلعت الثورة في جوان 1789 و كان من نتائجها الإطاحة بالنظام القديم و إحلال نظام جديد يستند إلى إعلان حقوق الإنسان و المواطن و دستور 1791 ،و قد كرّست الثورة الفرنسية مبادئ فلاسفة الأنوار من حرية و عدالة و مساواة .

---

[18] هربرت فيتشر ، أصول التاريخ الأروبي الحديث ،مرجع سلف ذكره ، ص350

تعتبر النتائج السياسية للثورة الفرنسية أهم انتصارات الثورة فقد أرست هذه الثورة من خلال إعلان دستور 1791 مبدأ سيادة الأمة عوضا عن سيادة الملك و أقرّت مبدأ الفصل بين السلطات و قيّدت سلطات الملك الذي لم يعد يتمتع إلا بالسلطة التنفيذية ،هذا فضلا عن عديد التغيرات التي أدخلتها الثورة على المستوى الإداري و الإقتصادي و الإجتمـــاعي .

تعتبر الثورة الفرنسية انتصارا لمبادئ فلاسفة التنوير إلى حدّ بعيد و هي بمثابة التحول السياسي الأبرز في تاريخ فرنسا و أروبا بل هي أصبحت مثالا نهضويا حاولت عدّة بلدان تطبيقه و إن كانت أنقلترا هي السبّاقة نحو الثورة و التغيير فإن الثورة الفرنسية كانت أعمق وقعا و تأثيرا في أروبا .

أما في السلطنة العثمانية فقد كان الأمر مغايرا فبعد أن شهدت أوج توسعها الترابي في القرن السادس عشر معتمدة على قوتها العسكرية و بعد أن أحكمت تنظيم مؤسساتها لتصبح قوة عظمى في محيطها المتوسطي و حتى في أروبا ،بدأت بوادر الأزمة تلوح في السلطنة العثمانية منذ عهد سليمان القانوني[19] حيث تفاقمت الأزمة بشكل كبير و لئن حاول بعض السلاطين العثمانيين إصلاح الأوضاع فإن كل محاولاتهم باءت بالفشل و ذلك يعود إلى تأزم الأوضاع الداخلية بالسلطنة خاصة على المستوى السياسي و تتمثل الأزمة السياسية في ضعف السلطة المركزية و عجزها عن ممارسة نفوذها فقد اعتمد الساسة العثمانيون أساليب تعسفية لتعويض النقص الحاصل في مداخيل الدولة و سرى الفساد في جهاز الدولة بتفاقم ظاهرة الرشوة و بيع

---

[19] سليمان القانوني :(1520-1566) سلطان الدولة العثمانية لقبه الأتراك بالقانوني و الإفرنج بالعظيم خلف أباه سليم I و واصل فتوحاته في البلقان احتل بلغراد و رودس و هزم المجر في موهاكس سنة 1526 ، بلغت الامبراطورية في عهده أوج سيطرتها و ازدهرت الآداب و الفنون و العمران دوّن القوانين و الشرائع تحالف مع فرنسوا I و منحه الامتيازات الأجنبية من آثاره "جامع السليمانية " (المنجد في اللغة و الأعلام ،مرجع سلف ذكره ،ص 307)

الوظائف لكن المشكل الأهم الذي أرهق السلطنة هو بداية تراجع الجيش الانكشاري تلك القوة العسكرية التي اعتمدت عليها السلطنة العثمانية و قد ظهرت بداية هذا الضعف منذ القرن السابع عشر حيث بدأ الجيش يفقد ميزته القتالية التي عرف بها أثناء فترة التوسع و تفشت بين صفوفه الفوضى و يعود ذلك إلى إبقاء الجيش على تركيبته التقليدية و عدم مواكبته التطور التقني الذي عرفته الجيوش الأروبية كذلك أرهق الإنكشاريون خزينة الدولة بسبب مطالبتهم المستمرة بالزيادة في الأجور فتحولوا إلى حجر عثرة يقف في طريق السلطنة بعد أن كانوا حجر الزاوية في النظام العثماني بل وأصبحوا في بعض الأحيان أعداءا للدولة يشاركون في المؤامرات المدبرة ضدّ السلاطين و الوزراء كذلك عارض الانكشاريون أي تجديد يمس الجيش الانكشاري فرفضوا إنشاء قوات نظامية و تزايدت تجاوزات الإنكشاريين و أصبح تطبيق القوانين العسكرية القديمة يعتريه الخلل " كما صار مصدر ضرر...و سيؤدي حتما نظرا لكثرة عيوبه إلى خراب البلاد التام مما لا ينفع بعده الندم ...إن انعدام النظام و الانضباط في صفوف جيوش السلاطين تسبب في اضطرابات خطيرة و انجرّت عنه نفقـات باهضه استنزفت كامل ميزانية الدولة "[20] . ساعدت حالة الضعف التي سرت في صفوف الانكشارية على ظهور الحركات الانفصالية عن السلطنة العثمانية مثال ذلك قيام دولة وراثية مستقلة تربطها بالسلطنة العثمانية روابط صورية كذكر إسم السلطان في خطبة الجمعة و سك العملة باسمه و ينطبق هذا المثال على الدولة الحسينية في تونس سنة 1705 كذلك من مظاهر الانفصال ظهور دول تولى فيها قادة الجيش الانكشاري الحكم دون استشارة السلطان العثماني كالجزائر في عهد الدايات و قد انفصلت بعض الدول الأخرى انفصالا كليّا عن الدولة العثمانية مثل مصر في عهد علي بك

[20] خالد زيادة ،اكتشاف التقدم الاروبي ،بيروت ، دار الطليعة ،1983،ص 214

الكبير[21] الذي كان يسعى "إلى تحقيق هدف واحد ألا وهو تنصيب نفسه سلطانا على مصر لذلك قام بطرد الباشا و رفض دفع ما كان مطالبا به من مال للخليفة العثماني ثم عمد أخيرا إلى سك العملة باسمه "[22].و كان ذلك سنة 1769.في هذه الأثناء ظهرت الحركة الوهابية السعودية التي تمكنت من إنشاء دولة مستقلة عن العثمانيين في شبه جزيرة العرب بلغت حدّا من القوة و النفوذ هدّدت به في وقت ما مصالح العثمانيين ذلك أنّ الدولة الوهابية السعودية ناصبت العثمانيين العداء و قد اعتبر بعض المؤرخين أن هذه الحركة فتنة إذ يقول "أعلم أن السلطان سليم الثالث (1789-1807)حدث في مدة سلطنته فتن كثيرة ...منها فتنة الوهابية التي كانت في الحجاز حتى استولوا على الحرمين و منعوا وصول الحجّ الشامي"[23] و سرى بذلك التصدع في أركان الدولة العلية " و أفضت الانفصالية الاقطاعية و النزاعات إلى انحلال الدولة العثمانية المترامية الأطراف التي لم يتم إنشاؤها بنتيجة الاحتياجات العسكريّة للنظام الإقطاعي العثماني في مجرى حروب هدفها السلب و النهب و قد نشأت هذه الدولة كسائر دول أوروبا الشرقيّة ذوات القوميات الكثيرة في إطار التشكيلة الاجتماعية الإقطاعية قبل تكوين الأمم فيها وقبل القضاء على التفتت الإقطاعي ولهذا كان توحيد شعوب مختلفة لها مستويات حضارية متباينة بصورة مفتعلة في دولة مترامية الأطراف لم تكن عملية من شأنها أن تعمر طويلا وقد أدت التناقضات بين التركيب الإقطاعي للمجتمع بميوله المتنافرة والشكل المركزي للدولة العثمانية

---

[21] علي بك الكبير : أحد زعماء المماليك تلقى الدعم من روسيا فانفصل عن العثمانيين و وسّع نفوذه و استولى على الحجاز و بلاد الشام و لقب بالكبير نظرا لكثرة انتصاراته (محمد فريد ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،بيروت ،دار النفائس ،1988 ،ص 32)

[22] محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، مرجع سلف ذكره ،ص 54

[23] أحمد بن زين بن أحمد دحلان ،فتنة الوهابية ،موقع السنة و الجماعة (انترنت)

العثمانية بتراجع إلى إضعاف الإمبراطورية حتما"[24] و بذلك فقد التقت الأزمة الداخليّة للدولة بل و بتدهور نفوذها الخارجي وبعد أن كانت سياستها توسعية أصبحت أقصى ما تطمح إليه هو الحفاظ على ممتلكاتها التي بدأت تفقدها الواحدة تلو الأخرى فبانهيار القوة العسكرية للدولة العثمانية تتالت هزائم العثمانيين السياسية واضطرت الدولة العثمانية إلى التنازل عن عدة مناطق لروسيا والنمسا كذلك أضعفت الحركات الشعبية والانتفاضات التحريرية للدولة العثمانية ذلك أن هذه الحركات المناوئة كانت دائمة و مستمرة على مرّ السنين فالشعوب التي عانت من النير العثماني عبّرت دائما عن رفضها للحكم العثماني من خلال انتفاضاتها " فقد أثار النير الإقطاعي التركي ، نير السلاطين والباشوات و الإنكشارية و الفرسان ، انتفاضات عديدة قامت بها شعوب الإمبراطورية العثمانية وكانت هذه الانتفاضات تعبيرا وانعكاسا للتناقض الطبقي الأساسي وهو التناقض بين الإقطاعيين و الفلاحين كما كانت انعكاسا للتناقض القومي الأساسي وهو التناقض بين المستعبدين والشعوب المستعبدة وبقدر ما كان النير الإقطاعي في الإمبراطورية العثمانية يحمل كالعادة شكل النير الأجنبي فبذلك القدر اقترن بنضال الفلاحين ضد الإقطاعيين بالحركات التحريرية الوطنية وامتزج بها كما أن البورجوازية التي كانت في طور تشكلها كطبقة في اليونان و صربيا ومصر خلال القرن الثامن عشر قاست هي الأخرى النير الإقطاعي العثماني أسهمت في النضال ضد الإقطاعية "[25] وكانت الدولة العثمانية من تقاسي من انتفاضات اللبنانيين و البدو الفلسطينيين والعراقيين وأضيفت إلى ذلك الغارات الفارسية التي قام بها شاهات إيران "و قد أفضت هذه الانتفاضات الكثيرة العدد والنزاعات الإقطاعية إلى إضعاف الإمبراطورية العثمانية وسادت الفوضى الإقطاعية في أرجاء ممتلكات الباب العالي وهزّت الحركات الشعبية والانتفاضات الجماهير العربية واليونانية و الكردية و

---

[24] فلاديمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث،موسكو،دار التقدم،1971، ص31

[25] فلاديمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث،مرجع سلف ذكره، ص34

الأرمنية والسلافية الأركان المتداعية من الإمبراطورية الإقطاعية وعجّلت بانهيار النظام الإقطاعي الرجعي العثماني الذي ولى ومضى زمانه. "[2]

شجعت حالة الضعف التي كانت عليها السلطنة العثمانية على تنامي الأطماع الأروبية وقد اختلفت الأطماع التوسعية الأروبية بحسب اختلاف المصالح والأهداف مثال ذلك كان الهدف الإستراتيجي لروسيا هو الوصول إلى البحار الدافئة و خاصة البحر المتوسط عبر البحر الأسود ذلك إن التجار الروس كانوا في حاجة إلى منفذ يؤدي إلى مياه البحار الدافئة التي لا تتجمد في فصل الشتاء لكي ينقلوا بضائعهم إلى أروبا لذلك عملوا على إنتزاع الممرين المؤديين إلى البحر الأسود مضيقي الدردنيل و البوسفور, ولكي تبرر روسيا تدخلها في الأراضي العثمانية ادّعت القيام بمهمة حماية المسيحيين الأرتودوكس الذين يقطنون هذه الأراضي. أما النمسا فكانت " فتشابكت بذلك مطامع النمسا تطمح إلى احتواء منطقة البلقان والهيمنة على بحر الادرياتيك التوسعية في البلقان مع مطامع روسيا التوسعية وانسجمت معها من نواح عديدة فأدى ذلك إلى وقوع نزاعات بينهما لا مندوحة عنها. غير أنّ هذه النزاعات لم تمنع هاتين المملكتين الإقطاعيتين من الإتفاق فيما بينهما لتقسيم تركيا"[26].كما لم تسلم الدولة العثمانية من المطامع الفرنسية والأنقليزية التي تسترت خلف ستار مساندة العثمانيين في صراعهم ضد روسيا والنمسا لكن هذه المساندة كانت بغاية الوقوف ضد أطماع هاتين القوتين، فقد كانت فرنسا و أنقلترا تنتهجان سياسة اتسمت بالمرحلية في علاقتهما بالدولة العثمانية فكانت بداية العلاقة سلمية و ودية ثم تمكنت فرنسا من تدعيم امتيازاتها في السلطنة وجعلها أبدية كذلك ظفرت بحق حماية المسيحيين الكاثوليك من سكان السلطنة. أما أنقلترا فقد ضمنت المزيد من التغلغل التجاري بالحصول على امتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية وعلى إثر تدعم المصالح الفرنسية في

---

[2] فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق ،ص42

[26] فلاديمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث،مرجع سلف ذكره، ص33

السلطنة العثمانية بدأت محاولات التوسع الفرنسية تبرز منذ أواخـر القرن الثامن عشر وتدعمت "ومع تطور أكثر بداية من القرن التاسع عشر مع حملة نابليون بونابرت على مصر سنة 1798 الرأسمالية اللاحق تزايدت أطماع الدول الكبرى باستمرار تجاه الشرق الأدنى واشتد الصراع ضراوة فيما بينها من أجل تقسيم الإمبراطورية العثمانية وشغل هذا الصراع و قضية مصير الإمبراطورية العثمانية و ممتلكاتها الذي اصطلح عليهما في التاريخ والأدب السياسي

لم تتمكن [2] بإسم"المسألة الشرقية"مكانا هاما في الدبلوماسية الأروبية خلال القرن التاسع عشر " السلطنة العثمانية من التصدي للأطماع الأروبية وتتالت هزائمها و تنازلت عن أقسام من أراضيها نتيجة المعاهدات المفروضة عليها من الدول الأوروبية التي تمكنت من أن تسحب من الرجل المريض أهم ممتلكاته فقد انتزعت النمسا من الدولة العثمانية المجر وإقليم ترانسلفانيا بموجب معاهدة كارلوفيتز " و حصلت روسيا وفق معاهدة كوجوك قينزجي على حرية الملاحة [27] فارتفعت بذلك إلى مصاف الدول القوّية " في البحر الأسود و المضايق لأغراضها التجارية بعد أنقلترا وفرنسا. كذلك تمكنت روسيا من انتزاع كل الساحل الشمالي من البحر الأسود من الدولة العثمانية.

أثـّرت هذه الهزائم التي منيت بها الدولة العليّة و تقلص رقعتها الترابية و تراجع دورها السياسي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في السلطنة, فقد تخبّطت السلطنة العثمانية في وضع اقـتـصـــادي حرج نتيجة تراجع دور الوساطة الذي كانت تقوم به السلطنة بين الشرق والمدن الأروبية إذ أن السفن التجارية الأروبية أصبحت تصل إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح فتراجع بذلك دور مرافئ المتوسط منذ القرن السادس عشر نتيجة تقدم البحرية الأروبية. زادت

---

[2] فلاديمير لوتسكي، المرجع السابق ،ص33

[27] فلاديمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث،مرجع سلف ذكره، ص32

الاكتشافات الجغرافية في إضعاف الدولة العثمانية مثلا مكّن اكتشاف القارة الأمريكية الأروبيين من الحصول على المعادن الثمينة من البيرو و الأرجنتين مما أضعف قيمة العملة العثمانية.

على الصعيد الصناعي عانت الصناعة العثمانية من منافسة المصنوعات الأروبية لمصنوعاتها التي تعتبر تقليدية بمقارنتها بالمصنوعات الأروبية ممّا تسبب في افلاس الصنّاع و الحرفيين و في تفاقم العجز التجاري فمثلا "صناعة النسيج بدأت تتراجع أمام المنتوجات الغربية لتفوّق التقنية الغربية و لرخص أسعار البضائع الغربية مقارنة بالإنتاج المحلي كما أن الامتيازات و المعاملة التفضيلية في الضرائب الموظفة على البضائع الغربية مع حرمان الصناعة المحلية - العثمانية - من كل حماية ساعد على ذلك و قد تضرّر الصنّاع كثيرا من المنافسة الأجنبية ."[28]

أدّت الظروف الاقتصادية إلى تفاقم الأزمة المالية في السلطنة العثمانية فلقد فقد العثمانيون السيطرة على المبادلات التجارية الخارجية التي سيطر عليها الأروبيون بفضل خبرتهم و أموالهم الطائلة و بفضل الامتيازات التي منحتها لهم السلطنة .إنعكست هذه الأزمة المالية سلبا على المواطنين العثمانيين خاصة الفلاحين الذين أنهكتهم الضرائب المجحفة .و كنتيجة طبيعية للأوضاع السياسية و الاقتصادية المتردية تأزمت الأوضاع الاجتماعية في السلطنة العثمانية و من مظاهر هذا التأزم ،إنتشار الفقر و العوز و قلة المواد و المجاعات لدى السواد الأعظم من الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية .و لتكتمل الصورة السوداوية للمشهد الاجتماعي العثماني رافق كل هذه الأوضاع إنتشار واسع للمعتقدات و الخرافات التي روّجت بإسم الدين و لقيت مناخا مناسبا للإنتشار بحكم طغيان الجهل و الأمّية في المجتمع العثماني الذي تسبب جموده في إنتشار الطرقية و الصوفية و الزوايا و قد كان للتفكير الصوفي تأثير شعبي واسع رسّخ روح

---

[28] خالد زيادة ،اكتشاف التقدم الاروبي ،مرجع سلف ذكره،ص 19

التعصّب و المحافظة و وقف أمام محاولات التجديد و الإصلاح .هذا الإنتشار للخرافات و المعتقدات و للفكر الصوفي كان حافزا لظهور الدعوة الوهابية باعتبارها حركة مناوئة لمثل هذه الظواهر. لقد لعب علماء الدين دورا كبيرا في تكريس الجمود الفكري و الثقافي في المجتمع العثماني فقد عارضوا كل تجديد و اعتبروا الاقتباس عن الغرب كفرا و إلحادا و تجاهلوا ما كانت تشهده أروبا من تحولات جذرية و إنجازات هامة .

وصلت السلطنة العثمانية في القرن الثامن عشر إذن إلى حالة من التدهور و الإنحطاط لم تشهدها من قبل فالأزمة التي عاشتها شملت كل الميادين " فقد تدهور الاقتصاد و دبّ الفساد في ماكنة الدولة و خرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة المركزية و فقد الجيش المتفسخ قدرته القتالية و انحطت الثقافة و قارن كارل ماركس و فريدريك انجلس تركيا في ذلك الحين بجثة حصان قد تعفنت و دبّ إليها الفساد فإنتشر منها ما فيه الكفاية من غاز المستنقعات و غيره من المواد "[29].

أمام هذا الوضع المتفجر حاول سلاطين الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر بعث هذه الدولة من جديد من خلال بعض الإصلاحات التي نعتها بعض المؤرخين بالمتعثرة لأنها حاولت بعث الحياة في مخلوق يحتضر، و قد اتخذت هذه الإصلاحات طابعا عسكريا فقد حرص السلاطين العثمانيين عل إنشاء المدارس العسكرية كمدرسة المدفعية ، كذلك حرص سلاطين القرن الثامن عشر على الانفتاح على أروبا بإرسال السفراء إلى فرنسا الذين قدموا تقارير عن مظاهر التطور الفرنسي ،الذي حاول العثمانيون مجاراته لكن الإنكشاريين و رجال الدين شكلوا قوة معارضة كبيرة للإصلاحات العثمانية التي تركزت على الجانب العسكري .لذلك لم تتمكن هذه الاصلاحات رغم جدّيـتها من إنقاذ السلطنة العثمانية مما تردّت فيه و من درء الخطر الأروبي

---

[29] فلاديمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث،مرجع سلف ذكره، ص27

المتزايد عنها .و بذلك انقلبت موازين القوة الاقتصادية و العسكرية لفائدة أروبا بعد أن كانت الدولة العثمانية .لصالح مثّـل القرن الثامن عشر إذن لأروبا انطلاقة حقيقية نحو الحداثة و الديمقراطية و قطعا مع نظم الاستبداد و التخلف و قد كانت أنقلترا و فرنسا مهد هذه التحولات ،حيث هيمنت أنقلترا على العالم بحكم ريادتها الاقتصادية و كانت فرنسا رمز التقدم الفكري و السياسي و هذا ما مكّن الأقطار الأروبية من غزو العالم الذي كان شطره الشرقي مازال يرزح تحت وطأة التخلف السياسي و الاقتصادي و الفكري و لم تعد أبرز قوة فيه - السلطنة العثمانية - إلا تركة تتنافس الأقطار الأروبية على اقتسامها .في المقابل شجعت حالة الضعف التي كانت عليها السلطـنة العثمانية على قيام حركات انفصالية مثل الدعوة الوهابية السعودية التي تحمل إطارا دينيا و مضمونا سياسيا ، في وقت كانت فيه أروبا تناضل من أجل الفصل بين الدين و الدولة و من أجل إرساء معالــم الحداثة على المستوى الإقتصادي و السياسي و الإجتماعي .فهل استفادت الدعوة الوهابية السعودية التي زامنت حدثين هامين عاشهما القرن الثامن عشر - بداية انهيار السلطنة العثمانية و النهضة الأروبية - من رياح الحداثة التي عصفت بأروبا و هزّت كل العالم حتى السلطنة العثمانية في وقت ما أم أنها استفادت فقط من الوضع السياسي العثماني المتدهور لتؤسس لحركة تحررية وحدوية لكن وفق المبادئ الوهابية السعودية الخاصة ؟

الفصـــل الثـــانـــــي:

ظـــروف نشـأة الـــوهـــابيـة السعـوديـــة فـــي نـجـــد

من قلب الجزيرة العربية ومن نجد [30] ومن العيـيّنة[31] تحديدا انطلقت الدعوة الوهابية الدعوة التى على أساسها قامت الدولة السعودية ولا تزال قائمة إلى حدّ اليوم . في تلك المنطقة القاحلة ومن تلك الإمارة البدوية انبلج صوت المصلح الديني – إن صحّ التعبير – محمد بن عبد الوهاب [32] مناديا بإخراج نجد والعالم الإسلامي برمته مما اعتبره زيغا عن

---

[30] **نجد** : معناها الأرض المرتفعة وهو إسم يطلق على المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة العربية وهو أكبر قسم في وسط هذه الجزيرة .حدود نجد غير معروفة تماما لدى الجغرافيين العرب القدماء لذلك كثرت فيها الأقوال وتعددت الآراء ولكن حدودها التقريبية هي كالأتي شمالا : جبل شمّر وغربا : الحجاز وجنوبا الربع الخالي وشرقا : الدهناء والأحساء (حسين الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بيروت ، دار الطليعة ، دون تاريخ ، الجزء الأول ، ص13)

[31] **العيّينة:**أحد بلدان العارض في الشمال وهي بلدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومسقط رأسه. كانت زاهرة في أيام النهضة الأولى للدعوة الوهابية (حسين الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة، مرجع سلف ذكره ، ص15)

[32] **محمد بن عبد الوهاب** (1703-1792) ينتمي محمد بن عبد الوهاب إلى بني سنان و هم فرع من تميم.ولد في العيينة،رأى النور في بيت عماده العلم و الإيمان ،جده الشيخ سليمان آل مشرف كان من أعلم علماء نجد في زمانه و كانت له اليد الطولى في فقه المذهب الحنبلي و إليه انتهت الرئاسة الدينية في نجد تولى القضاء بالعيينة،ووالد الشيخ عبد الوهاب بن سليمان كان عالما جليل القدر فقيها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل و له معرفة واسعة في الحديث و التفسير و غيرهما من العلوم الدينية الأخرى ،درس محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة على يد الشيخ سليمان الكردي و الشيخ محمد حياة السندي .قضى فترة من حياته رحالة فقد عاش أربع سنوات في البصرة و قضى خمس سنوات في بغداد و قضى عاما في كردستان و عامين في همدان ثم اتجه

تعاليم الدين الإسلامي الحقّ. انطلقت هذه الدعوة حوالي منتصف القرن الثامن عشر ولم يكن لنجد حينها شأن يذكر بل إن جزيرة العرب برمتها كانت "تعتبر من أكثر البقاع العربية والإسلامية تخلفا "[33] اقتصاديا و اجتماعيا وسياسيا فلم يعرف العرب في الجزيرة غير تربية المواشي في البوادي وزارعة الأراضي المروية في الواحات وبذلك فقد انتشر في الجزيرة العربية نظام اقتصادي بدائي ولم تكن نجد لتشذ ّ عن بقية مناطق الجزيرة العربية بل كانت منخرطة بدورها في هذا النظام الاقتصادي البدوي" و قد و اقتتال دائم بين القبائل ترتّب على هذا الوضع نشوب خلافات متواصلة و العشائر الكثيرة بسبب المراعي و قطعان الماشية والصيد و الينابيع فأثّرت هذه الخلافات بدورها في كيان الجزيرة السياسي فلم يكن يجمع بين مدنها و قراها أية وحدة سياسية بل كانت تؤلّف في مجموعها عددا من الإمارات الصغيرة لكل منها أمير بالوراثة" [34] . فالوضع الاقتصادي كان مؤججا للخلافات السياسية بين مختلف إمارات

إلى أصفهان في بداية حكم نادرشاه(1736) و درس هناك –كما يقال- لمدة أربع سنوات فلسفة أرسطو و الإشراقية و الصوفية ثم إتجه إلى "قم" و بعد هذا التطواف ارتاح إلى مذهب أحمد بن حنبل فغدا من أكبر المدافعين عنه و المتحمسين له فعاد إلى العيينة ثم راح يدعو الناس إلى ما يعتقد أنه الفكر الديني الحق و ظهرت أفكاره التي يدعو إليها –بعد ذلك- مبلورة في كتابه " التوحيد " و حققت دعوته بعض النجاح لكنها أيضا واجهت معارضة خاصة من أقاربه و يقال إن اتفاقا تم بين إبن سعود و إبن عبد الوهاب مؤداه أن = =الزعامة الدينية لإبن عبد الوهاب و الزعامة السياسية لإبن سعود (مقال :الوهابية السلفية دائرة المعارف الإسلامية مرجع سلف ذكره، و حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة،مرجع سلف ذكره ، ص54-55)

[33] محمد كامل ظاهر، الدعوة الوهابية و أثرها في الفكر الإسلامي الحديث، بيروت، دار الجيل 1993، ص15

[34] محمد كامل ظاهر، المرجع السابق، ص25

الجزيرة العربية و داخل الإمارة الواحدة كما هو الحال في نجد" ففي أوائل القرن الثامن عشر لم يكن في الجزيرة العربية تنظيم دولة و قد كانت نجد إحدى الإمارات البدوية المتناحرة و كان موّحد"[35] سكانها منقسمين إلى عدة قبائل دائمة الاقتتال بسبب الخصومات على المراعي و الينابيع و قد اتسم هذا الإقتتال أو الحروب بضراوة شديدة لأن كل القبائل كانت مسلّحة .

إذن فالمجتمع النجدي كان يتخبط في فوضى اجتماعية و سياسية بسبب النزاعات القبلية و العشائرية " و كانت بلاد نجد و الأحساء من الشعري إلى قطر و الكويت ومن الأفلاج إلى جبل شمّر مقطعة الوصال مشتتة الأحوال لا صلّة لقبيلة بأخرى تثمر خيرا أو تدوم و لا بين الحواضر المستقلة بعضها عن بعض صلات ولاء إلا نادرا و لم يكن و الحق يقال غير السيف فاصلا واصلا ولم يكن غير الغزو سبيلا إلى و الثراء وقد كان القتل على الإجمال الاستيلاء و سبيلا رحبا إلى الرزق الطريق الأقرب و الأسهل إلى الاستيلاء و السيادة .أنا صاحب الرياض و أنت صاحب الدرعية فإما أنا أقتلك أو أغلبك ثم أجلوك عن البلاد و أستولي عليها و إما أن تفعل أنت ذلك فيكون لك فيّ ما أريده فيك .السابق إلى القتل الفائز و لم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض ليخرج عن هذه القاعدة"[36] يتبين لنا من هذا الشاهد أنّ نجد لم تخرج من حياة "الجاهلية" بل ظلّت تحيى حياة البدو الرحّل و ظلّت

---

[35] فلادمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث ، مرجع سلف ذكره ، ص93

[36] أمين الريحاني ،تاريخ نجد الحديث و ملحقاته ،بيروت ، دار الجيل ،1954 ،ص 62

الروح القبلية سائدة و ظلّ النهب و السلب و الاقتتال العرف القائم فيها. فلم يوحّد الإسلام الدين التوحيدي القبائل و لم تعرف نجد و الجزيرة العربية وحدة سياسية فقد كان في كل قرية و مدينة تقريبا حاكمها الوراثي . فالعصبيات القبلية لم تندثر رغم مقاومة الإسلام لها " كان كل قطر من أقطار الجزيرة العربية مستقلا بذاته و لاسيما نجد فقد كانت العصبيات فيها قائمة على قدم وساق لكل عشيرة دولة ولكل قرية مشيخة تعتز بسلطانها و تشيد بإسمها و لكل حاكم من أولئك الحكام حوزته الخاصة يحكمها حكما مطلقا لا تربطه بجاره أية رابطة وكان أولئك الحكام في حالة حرب دائمة أو على أهبة الاستعداد عندما تسنح لهم الفرصة للتعدي على جيرانهم إذا بدا من أولئك الجيران ضعف"[37] و مما زاد في تعميق هذا التفكك أنّ نجد و الجزيرة العربية عموما لم تخضعا لسيادة السلطنة العثمانية الفعلية حتى في أوج عظمتها بل لم تمارس الخلافة العثمانية عليها إلا سيادة إسمية فلم تتمكن بذلك من إحكام السيطرة على قلب الجزيرة العربية ولم تتمكن بالتالي من إخضاع أمراء الجزيرة و لم تنجح حملات السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر في كسر شوكة القبائل النجدية "و مع ذلك فقد ظل العثمانيون يدّعون حقوقا في السيادة على كل شبه الجزيرة أو المربع العربي"[38] وأمام هذا العجز لم تجد الخلافة العثمانية أمامها غير تطبيق سياسة "فرّق تسد" فعملت على تعميق النزاعات بين مختلف هذه

---

[37] حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الجزيرة ، مرجع سلف ذكره ،صص :39-40

[38] إليكسي فاسلييف ،تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن العشرين ، مرجع سلف ذكره ص 96

الإمـــارات لأنـــها كـــانت تهـــاب أيّ اتحـــاد بينـــها يهـــدد كيـــانـــها لذلـــك لـــم تعـــرف نجـــد قبـــل الدعـــوة الوهـــابيـــة وحـــدة سيـــاسيـــة و لـــم تنضـــو تحـــت أي شكـــل مـــن أشكـــال الحكـــم السيـــاسيـــة الحديثـــة بـــل ظلّـــت إمـــارة بدويـــة شأنـــها شـــأن بـــقيـــة إمـــارات الجـــزيـــرة العـــربيـــة التـــي لـــم يكـــن شغـــل أمـــرائـــها إلا منـــاوشـــة أجـــوارهـــم و خـــوض الحـــروب لـــذلك كانـــت السيطـــرة علـــى جزيـــرة العـــرب و علـــى وســـط الجـــزيـــرة - نـــجـــد- أمـــرا عسيـــرا فقـــد كـــان التـــعصـــب القـــبـــــلي و النهـــب البـــدوي ضـــاربيـــن فـــي تلـــك البقـــاع فقـــد انتشـــرت الفـــوضـــى فـــي نجـــد و عـــمّ الانقسام وتوسعـــت الفرقـــة و تفرقت الكلمـــة وتـــعـــددت الإمـــارات و المشيخات فكـــانـــت و فـــــي الـــدرعيـــة لآل سعـــود وفـــي الريـــــاض الإمـــــارة فـــــي العيّينـــة لآل معمـــــر لآل دوّاس.... وربـــما قسمـــت القـــريـــة الواحـــدة بيـــن عـــدد من الـــرؤســـاء وقـــد كانـــت جميـــع هـــذه الإمـــارات و المـــشيـــخات في حـــالة غيـــر طبيـــعيـــة وبـــدون استقـــرار و الفـــوضـــى سائـــــدة و الفتـــن متـــراكمـــة... و لـــم يكـــن لتلـــك الكتـــل البشـــريـــة نظـــام سيـــاســـي معـــــروف و لا مدنيّـــة بيّـــنـــة فجميـــع الأنـــظمـــة و الشـــرائـــع كـــانت لـــديهـــم مجهـــولـــة"[39]. هـــذا الأمـــر جعـــل نجـــد شبـــه معـــزولـــة عـــن بـــقيـــة العالـــم العـــربـــي و الغـــربـــي لـــذلك اعتبـــر المستشـــرق السوفيـــاتي " اليكســـي فاسلييـــف " أن وســـط الجـــزيـــرة المعزول ... لم يـــبـــتعد كثيـــرا عـــن مستـــوى الـــنظام الاجتماعي الـــذي كـــان قـــد بـــلغـــه الحجـــاز فـــي فجـــر الإسلام أي مـــستـــوى المـــجتـــمع البـــدائي لـــدرجـــة كبيـــرة"[40] أي أن نجـــد كانـــت تعيـــش فـــي القـــرن الثـــامن عشـــر، قـــرن الأنـــوار فـــي

---

[39] حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة،مرجع سلف ذكره ،صص39-40

[40] إليكسي فاسلييف ،تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر إلى نهاية القرن العشرين شركة ، مرجع سلف ذكره ، ص 96

بعض البلدان الأوروبية و الثورة الصناعية الأولى في أنقلترا ، بروح القرن السادس أو السابع . لكن الغريب أن ذلك لم يكن فحسب على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي بل كان على المستوى الديني كذلك فرغم أن النجديين كانوا حنابلة إلا أنه لم يعرف عنهم أنهم كانوا متدينين أو ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي و الحال أنهم يعتنقون المذهب الحنبلي الذي يعدّ أكثر المذاهب الإسلامية أرتودكسية و تشددا. لقد كانت هذه هي حال البدو عامة في الجزيرة التي انتشرت فيها المذاهب الإسلامية الأربعة فقد أكدّ فاسليف "أن الإسلام يغرس بصعوبة بين البدو"[41] ويدّعم)" الذي سبق أن كتب عنهم "البدو Volenyفاسليف رأيه بشهادة "فولني (القاطنون على الحدود مع العثمانيين يتظاهرون بأنهم مسلمون لاعتبارات سياسية و لكنهم ضعيفو الإيمان و تدينهم ضعيف إلى درجة يعتبرون معها كفرة ليس لديهم نبي ولا قانون و هم أنفسهم يعترفون بأن دين محمد فوق مستواهم فكيف نقوم بالوضوء إذا كنا لا نمتلك ماء ؟وكيف نقدم الصدقة إذا كنا لسنا أغنياء؟ وما حاجتنا إلى الصيام في شهر رمضان إذا كنا صائمين طوال العام؟ ولماذا نذهب إلى مكة إذا كان الله موجودا في كل مكان؟"[42] .وبهذا الشكل انتشرت في نجد البدع التي حادت بالدين و زاغت عن معاني التوحيد فأهملت تعاليم الدين و سادت عن أصوله الخرافات و تقديس الأولياء " و أمسى الدين الإسلامي....ذكرى بعيدة غامضة و لم يبق منه إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه وتناسوا أداء الزكاة و تساهلوا في

---

[41] إليكسي فاسلييف ،تاريخ العربية السعودية مرجع سبق ذكره، ص98

[42] إليكسي فاسلييف ، المرجع السابق ، ص98

حج البيت و أهملوا صيام شهر رمضـــــان و تقاعسوا عن إقامة الصلاة و حلّت محلها عقائد فاسدة تتناقض مع أصول الدين الصحيحة و صاروا يستغيثون بالجن ويذبحون لها و يجعلون لها الطعام في زوايا البيوت لتشفي مرضاهم و يتبركون بقبور الأموات و يقدسونها و يحجون إليها و ينذرون لها وقد تفشى لديهم الاعتقاد حتى في الأشجار و الأحجار يطلبون منها قضاء حاجاتهم و يتوسلون الله في أيمانهم "[43]. و بها لدفع كروبهم و رفع الأذى و الضرّ عنهم و يحلفون بغير لـــم تكن هذه الخرافات و عبادة الأولياء مقتصرة على نجد بل "كان يوجد في الجزيرة العربية في الواقع كثرة من الأديان القبلية المحلية و كان لكل قبيلة عربية و لكل قرية... عقائدها و طقوسها و كانت هذه الأشكال الدينية المتنوعة التي فرضها المستوى البدائي للتطور الاجتماعي و تجزئة الجزيرة العربية عائقا هاما في طريق الوحدة السياسية"[44] و مع هذا الانتشار الواسع لهذه المعتقدات من سحر و شعوذة و عبادة أولياء لم يحدث أن حصل تنافر بين المذاهب الإسلامية وهذه البدع بل كان المذهب الحنبلي في نجد يتعايش بوئام مع عبادة الأولياء بل نجد بقايا من عبادة الأوثان" قد ترك لنا إبن غنام وصفا مفصلا لمعتقدات سكان الجزيرة العربية فقد كتب عن الفترة التي ظهر فيها محمد بن عبد الوهاب يقول: "كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالأرجاس ملطخين بالأنجاس ....فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين و خلعوا ربقة التوحيد و الدين....و كانوا يترددون على الأولياء أو على أضرحتهم طالبين منهم عمل الصالحات

---

[43] إليكسي فاسلييف ، المرجع السابق ، ص99

[44] فلادمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف ذكره ، ص96

تخليصهم من المصائب و الخائبات و يرجون ذلك من الأحياء و الأموات أو و كثير منهم يعتقد النفع و الأضرار في الجمادات كالأحجار و الأشجار"[45]. يبين هذا الشاهد شدة انتشار البدع في نجد من تقديس للأولياء والأحجار و الأشجار والتبرك بقبور الأولياء و الأنبياء و الصحابة كما كانت القرابين تنحر عند قبور الأولياء و غير ذلك من مظاهر تتنافى مع ما أتى به الإسلام من معاني التوحيد و بذلك انتشرت في الدرعية[46] عقائد هي أقرب إلى الوثنية منها إلى الإسلام و عمّ الانحلال الديني و التحلل من تعاليم الإسلام و تعاليم المذهب الحنبلي الذي يدين به أهل نجد و انتشرت الصوفية و الطرقية اللتان تتنافيان مع روح المذهب الحنبلي " و اختلطت بالإسلام أو حلّت محله المعتقدات و العبادات الجاهلية كالسحر و الوثنية و عبادة الشمس و الأرواح و الجمادات و عبادة الأجداد"[47]

فتعددت بذلك المذاهب و المعتقدات فكان لكل قبيلة معتقداتها الدينية و يعد ذلك أحد عوائق الوحدة السياسية في نجد و الجزيرة ففي الوقت الذي تجمعت فيه خيوط النفوذ في شرقي شبه "العربية الجزيرة العربية بيد شيخ بني خالد كانت نجد و شبه الجزيرة العربية

---

[45] إليكسي فاسلييف ،تاريخ العربية السعودية مرجع سلف ذكره، ص97

[46] **الدرعية** : هي إحدى إمارات نجد و هي إمارة آل سعود حكمها محمد بن سعود أثناء الدعوة الوهابية ،رحل إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فتبنى محمد بن سعود دعوته فحصل التحالف بين رجل الدين و رجل السيف و بذلك ازدهرت الدعوة الوهابية في هذه البلدة و كانت عاصمة الدولة السعودية الأولى.

[47] إليكسي فاسلييف ، تاريخ الأقطار،مرجع سلف ذكره ، ص100

عمـومـا بـاسـتـثـنـاء عمـــــان و اليـمـن و الحـجـاز لا تـزال تشـكـو مـن الافتقار للـوحدة إذ كـانت مقسمـة إلى عـدد كبيـر مـن المـقـاطـعـات أو المـدن المستـقـلـة التـي تحكم نفسـها بـرئـاسـة أميـر أو شيـخ أحد القبـائـل الـذي يستـنـد إلى عصبيـة قـويـة وكـان الديـن و لا يـزال بيـن هـذه القبـائل فـي شكلـه البـدائـي إلى حـد كبيـر إذ أهملـت "شعـائـره بيـن سكـان المـدن و تـوقف العمـل بـهـذه الشعـائـر بيـن أفـراد القبـائـل [48] اقتصـــاد بدائـــي ، عصبيـــات قبليـــة ،نظـــام :ولنـا أن نتـخـيـل الوضـع فـي نجـد اجتمـــاعي عشائـــري بـــدوي ،تشـتـت سيـــاسي، انتشـــار كبيـــر للبـدع و الخـــرافـــات و عـــدم التـــزام بتعـــاليـــم الديـــن . أي أن كـــل العـــوامـــل تجـتـمـع لـتـحـول دون أي محـاولـة للإتـحـاد بيـن مختلـف الإمـارات فالعصبيـــات القبليـة بمختلـف مظـاهـرها قـائـمـة عـلى قـدم وسـاق و حـتى الـدين الجـامـع بيـــن هـــذه القبـــائـــل و الإمـــارات لـم يعـد هنـاك تقيـد بتـعـاليمـه مـن هنـا نشـأت الحـاجـة المـاسـة إلى التوحيـد لوضـع حـدّ للغـارات البـدويـة وللخـروج من حـالة الـلانظـام إلى حـالة النظـام السيـاسـي و الاجتماعي و للعـودة إلى الالتزام بتـعـالـيـم الـديـن الإسـلامي الـحـق،فالحاجيـات الاقتصادية لسـكان نجـد أصبحت تستـدعـي الـوحدة لأن الحـروب القـبـلـيـة أتـت عـلى الـيـنـابـيـــــع و القنـوات و بسـاتـين النخيـل أي أن هـذه الحـروب استنـزفـت "ثـروات نجـد فاستـدعى الأمـر إيقـافـها و الإتحاد بيـن مختلـف القبـائـل . تـلـك إذن هـي التـركـة الروحيـة الـتي نـشـأت عـلى أساسـها أراء محمـد بـن عبـد الوهـاب و فكـان مـذهـب الـوهـابيـة نـتـيـجـة لأزمـة " [49] "تلـك هـي البيئـة التـي عـاش فيـها روحيـة خطيـرة فـي الجـزيـرة العـربيـة أسـاسـها العوامـل الاقتـصـاديـة و

---

[48] رجب حرّاز، الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب، مرجع سلف ذكره، ص 130

[49] إليكسي فاسلييف ،تاريخ العربية السعودية مرجع سبق ذكره، ص100

[50] و لعلّ العامل الديني هو العامل الأول و "الاجتماعية و السياسية المباشر لنشأة دعوة محمد بن عبد الوهاب فبعد أن تشبّع الشيخ ابن عبد الوهاب بأفكار ابن حنبل [51] و تلميذه ابن تيمية[52] لم يعد يطيق صبرا على ما كان سائدا في نجد من بدع اعتبرها نوعا من الشرك بالله فعمل على إحياء عقيدة التوحيد وعلى نبذ كل مظاهر الشرك بالله من تقديس للأولياء و زيارة للقبور و طلب للشفاعة من الأولياء و تقديس للأحجار و

---

[50] إليكسي فاسلييف ، المرجع السابق ، ص110

[51] إبن حنبل :(780م-855م) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني الوائلي إمام المذهب الحنبلي و أحد الأئمة الأربعة أصله من مرو و كان أبوه والي سرخس وولد ببغداد فنشأ منكبا على طلب العلم و سافر في سبيله أسفارا كبيرة إلى الكوفة و البصرة و مكة والمدينة و اليمن والشام و الثغور والمغرب و الجزائر و فارس و خرسان و الجبال و الأطراف و صنّف "المسند" و "الناسخ و المنسوخ"و غير ذلك من التآليف .في أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن و مات قبل أن يناظر ابن حنبل وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل عشرين شهرا لإمتناعه عن القول بخلق القرآن و أطلق سراحه سنة 220هـ و لم يصبه شرّ في زمن الواثق بالله - بعد المعتصم- و لما توفي الواثق وولي أخوه المتوّكل ابن المعتصم أكرم الإمام إبن حنبل ، و توفي الإمام و هو على تقدمه عند المتوكل (خير الدين الزركلي ،الأعلام ،بيروت،دارالعلم للملايين ،1992 ،ص203)

[52] إبن تيمية :(1283م-1350م) ولد تقي الدين (أبو العباس) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية لأب وجدّ و عم جدّ من الحنابلة الفحول و كانت حياة ابن تيمية و أبيه و جدّه في عصر الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين من المشرق و المغرب أي في عصر تخلف علمي و اجتماعي و سياسي .أمر بقطع صخرة في مسجد كان الناس يقدمون لها النذور ثم انطلق يقاوم المشعوذين فأمرهم بإخراج أطواق الحديد من رقابهم في حين كان يراسل القساوسة و الملوك في أوربا ليعلمهم أصول الإسلام .قضي على ابن تيمية من أجل فتواه بعدم شدّ الرحال فدخل السجن و كان الشيخ يقول :" أنا حبسي خلوة وإخراجي من بلدي سياحة "و في سنة 1350م صعدت روحه إلى بارئها من السجن .خلف خمسمائة مؤلف في الفقه و العقيدة (عبد الحليم الجندي ، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة ،مصر،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالإسلام ،1970،ص 364)

الأشجار و اعتقاد في الجان. و لم يكن الشيخ ابن عبد الوهاب و قد تربّى تربية دينية و نشأ في بيت علم و فقه ليرضى بما خالط الإسلام من خرافات و بدع خاصة أنه يعتنق المذهب الحنبلي الذي يعتبر أكثر المذاهب تشددا و لا يستند إلا إلى القرآن و السنة لذلك نجد مفهوم البدعة عند محمد بن عبد الوهاب يتسع ليشمل كل ما خالف الأصل أي القرآن و السنة فكل ما أتى بعد النبي محمد بدعة و بذلك اتخذت دعوة محمد بن عبد الوهاب شكلا موغلا في التطرف وصل إلى حد تحريم شرب القهوة و التدخين و إن وقع التساهل بعد ذلك في بعض الأمور ومن أشكال التطرف في هذه الدعوة اعتبار غير الوهابي كافرا و إن كان مسلما و هذا هو سبب رفض الكثيرين هذه الدعوة فلئن التزمت هذه الدعوة بالعودة بالإسلام إلى أصوله و منابعه الأولى أي حالة النقاء و الصفاء فإنها وسعت مفهوم البدعة و الحال أن التربة الثقافية الإسلامية غير متجانسة فما يعدّ بدعة مثلا عند البعض لا يعدّ بدعة عند البعض الأخر لكن محمد بن عبد الوهاب لم ير حلاّ لما تزرح فيه نجد غير العودة إلى الأصل و تطهير الإسلام مما اعتبره ليس من الإسلام لذلك و عند استقراره في العيينة بعد عدة رحلات قام بها راح ينشر دعوته الجديدة القديمة فهو لا يعتبر نفسه قد أتى مذهبا جديدا بل يعتبر أنه عاد إلى الأصل و أحيى تعاليم الدين كما جاءت في القرآن و السنّة . لكن الرافضين لدعوته اعتبروه و لا "مبتدعا أتى بمذهب جديد يخالف ما اعتبروا هم أنه الدين الحق يخفى أن انتشار البدع و الخرافات و ارتداد القبائل إلى ممارسة عادات الجاهلية الذميمة كان مبعث ظهور الدعوة الوهابية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي أخذ يعمل في سبيل تهذيب عادات سكان نجد و تنقية التعاليم الدينية مما شابها من ضلال و شرك و كان لبّ دعوته الرجوع

فلا مصدر إلا القرآن الكريم و لا حكم إلا حكم السنّة "[53] بالدين إلى الوحدانية و لسائل أن يسأل كيف يمكن أن تقوم دعوة دينية ماضوية "رجعية""أصولية" كالدعوة الوهابية تمجد الماضي و تقف بالتاريخ الديني الإسلامي الصحيح عند نشأته الأولى و ترفض كل ما خالف السنّة المحمدية -أن تقوم - في مجتمع في القرن الثامن عشر و رياح الحداثة – التي نشأت باعتبارها ردّة فعل على هيمنة الديني في حياة المجتمع – تهزّ أروبا و العالم الغربي ؟ و هل من الممكن أن ينجح ابن عبد الوهاب في نشر هذه الدعوة الدينية في القرن الثامن عشر في حين لم يتمكن الشامي ابن تيمية من نشرها في القرن الرابع عشر؟ - لنجيب عن هذه التساؤلات يجب أن نشير أولا إلى أنّ الدعوة الوهابية لم تلاق في البدء التأييد بل إن ابن عبد الوهاب قد لقي في العيينة الاضطهاد في سبيل نشر دعوته خاصة أن العيينة و نجد عموما كانا يدينان بما يتنافى مع ما أتى يبشر به ابن عبد الوهاب زد على ذلك أن جوهر هذه الدعوة يتعارض مع مذهب السلطنة العثمانية الديني فقد كانت السلطنة تعتنق أكثر المذاهب الإسلامية مرونة ألا وهو المذهب الحنفي و من الطبيعي أن ترفض دعوة ابن عبد الوهاب و تحرّض أمراء نجد و شيوخها على رفضها .لكنّ الدعوة لم تعدم أنصارا في نجد و خارجها فقد كان أمير العيينة مناصرا لدعوة ابن عبد الوهاب لكنه تخلّى عن تأييده لأسباب سياسية و قد رفض البعض هذه الدعوة و آثروا الاستمرار في ما هم فيه سواء بسبب إيمانهم بمعتقداتهم أو بسبب رغبتهم في الحفاظ على مصالحهم كالمتصوفة و أرباب الطرق و بعض

---

[53] رجب حرّاز، الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب، مرجع سلف ذكره، صص130-131

المتعيشيـــن مـن الزوايـا والأضـرحـــة و القبـور .و قبـل البعـض هـذه الدعـوة و هـم الذين قبلـوا العيـش فـي ذاك المجتمـع رغـم رفضهـم لـما فيـه مـن بـدع و توقهم إلى التغييـر فقـد "ظهـرت الوهـابيـة فـي ظـلّ انفصـام نفسـاني خطـيـر و فـي ظـروف عـدم الرضـا عـن حالـة الحيـاة الروحيـة آنـذاك و كانـت بمثـابـة ردّ فعـل عـلى الأزمـة الروحيـة فـي مجتمـع الجزيـرة العـربيـة خصـوصـا مجتمـع نجـد الـذي كانـت تهـوم فيـه ربمـا بصـورة غيـر واعيـة مطـامح تبتغـي مثـلا علـيا جـديـدة "[54]. و رغـم ذلك فلـم تغـرس الوهـابيـة بسهـولـة فـي المجتمـع النجـدي المعـروف بعصبيتـه القبليـة إلا بعـد أن وجـد محمـد بـن عبد الوهـاب شوكـة عسكريـة تسنـد دعوتـه الدينـية. فبعـد الاضطهاد الـذي لقيـه رحـل إلـى الـدرعيـة أحـدى مـدائن نجـد " و فـي عـام 1745 اعتنـق محمـد بـن سعـود [55] الـدعـوة الوهـابيـة و تعـهّـد بنشـرها فـي بـلاد العـرب "[56] و هـنا التـقت رغبـة محمـد بـن عبـد الوهـاب الـذي كان ينشد الدعم العسكري برغبة الأمير السعودي الذي ينشد الدعم الديني فتم التحالف المنشود و كـان الـدعم السعـودي هـو الشـوكـة الـتي استـنـد إلـيـها الشـيـخ مـحـمـد بـن عـبـد الـوهـاب فـي نشـر دعـوتـه و هـنا يطـرح التسـاؤل التـالي :لمـاذا

---

[54] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص104

[55] محمد بن سعود :هو محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان ولد في الدرعية عام 1687م كانت مدّة حكمه في الدرعية أربعين عاما قضى نصفها قبل مقدم الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت إدارته للأمورعلى أسلوب عشائري بدائي لبلدة صغيرة لم يتجاوز عدد بيوتها يومئذ السبعين بيتا .أما ازدهار الدرعية فبدأ في السنة التي هاجر إليها المصلح الشيخ ابن عبد الوهاب سنة 1744م و مبايعته الأمير محمد بن سعود له على حماية دعوته و يعتبر محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى ،توفي في سنة 1763م (حسين الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة العربية ، مرجع سلف ذكره ،ص241)

[56] رجب حرّاز ،الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب ،مرجع سلف ذكره،ص 131

تبنى محمد بن سعود الدعوة الوهابية و هو تبن سوف يؤلب عليه أجواره و حتى رعاياه و خصوصا الباب العالي ؟ و ماذا كان يأمل من تبني الإيديولوجيا الوهابية ؟ قبل الإجابة عن هذا التساؤل علينا أن نشير إلى أن هنا ك إجماعا على أن الأمير السعودي محمد بن سعود كان يتميز بصفتين هامتين هما الطموح و الدهاء السياسي فتبنيه الدعوة الوهابية و استطلاع مزاياها القريبة و البعيدة ونجاحه فيما بعد في تحويل الدرعية الإمارة البدوية إلى دولة سعودية .كل ذلك يؤكد ما يتصف به من دهاء و طموح مكّناه من استشراف ما سيحمله له اعتناق الدعوة الوهابية فهو بذلك "يتحول من زعيم لغزوة عادية على جيرانه إلى مناضل في سبيل الدين النقي أما خصومه فيصبحون من خدم الشيطان و عبدة الأوثان و المشركين و عندما اعتبرت الوهابية الجهاد من أهم مسلماتها صارت منذ ظهورها إيديولوجيا التوسع الحربي"[57] فبالإضافة إلى الهالة الدينية التي سيحظى بها باعتناقه الدعوة الوهابية كان يطمح إلى جاه سياسي و يطمح إلى التوسع و جعل إمارته ذات السبعين بيتا مملكة مترامية الأطراف. فكانت بذلك الوهابية راية لحروب الغزو و الفتح بل و كانت "تبريرا فكريا للاتجاهات التوحيدية في الجزيرة العربية "[58] فمن جهة لبّت هذه الحركة التوحيدية مقاصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدينية و اتخذت لديه شكل فتوحات إسلامية و من جهة أخرى خدمت مطامع ابن سعود السياسية فكانت سبيلا شرعيا للتوسع و جني الثروات و سبيلا للتوحيد في مجتمع

---

[57] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص107

[58] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،ص107

لا يعرف الوحدة السياسية ولا الإجتماعية بل كانت سبيلا إلى ترويض تلك القبائل النافرة و إخضاعها لاعتناق المذهب الوهابي السعودي "و قد أحرز المصلح محمد بن عبد الوهاب في تحالفه و ابن سعود سيفا بتّارا فالذي لا يفهم بالقلم يفهم بالسيف و الذي لا يرتدع بالحسنى يرتدع بابن عمها "[59] فقد اتسمت الدعوة الوهابية بضراوة شديدة " و اتخذ التعصب بين الوهابيين أشكالا متطرفة جامحة فإن اعتقادهم بأن خصومهم كفرة و مشركون صار مبررا للقساوة ضدّهم و في الوقت نفسه صار التعصب وسيلة لتلاحم و انضباط الوهابيين حيث يستحثهم على تحقيق المآثر الحربية و القيام بالحملات و الغزوات على المشركين و هكذا تهيأت المقدمات الفكرية لإعلان الجهاد ضدّ جميع المختلفين مع الوهابيين "[60] فلا مندوحة من استعمال العنف بالنسبة إلى الوهابيين فقد خاضوا "كفاحا عنيدا لتوحيد نجد تحت راية الوهابية فأخضعوا إليهم إمارات نجد الإقطاعية الواحدة تلو الأخرى و جلبوا إلى الطاعة القبائل البدوية الواحدة بعد الأخرى و انقادت بعض القرى إلى الوهابيين طوعا بينما اقتيدت أخرى إلى الطريق السوي بحدّ السيف" [61]. فكانت بذلك الدعوة الوهابية دعوة دين و دنيا و على هذا الأساس شيّدت الدولة السعودية الأولى تحت إمرة محمد بن سعود.تمكّن الوهابيون قبيل عام 1786 من توحيد إمارات نجد "و بعد أن كانت صغيرة و متخاصمة فيما بينها من غابر الزمان كونت الإمارات النجدية دولة إقطاعية

---

[59] أمين الريحاني ،تاريخ نجد الحديث و ملحقاته ،بيروت ،دار الطليعة 1954،ص28

[60] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص107

[61] فلادمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف الذكر ، ص97

كبيـرة نسبيـا ذات طـابـع دينـي"[62] وبعـد أن كانـت الدرعيـة عاصمـة الـدولة السعوديـة تحـيا حيـاة البـؤس أصبـح الوهـابيـون يجنـون أمـوالا و ثـروات طائلـة مـن الغـزوات " وزّعـت الغنائم بالعـدل طبقا لأحكام الوهابية :الخمـس لابـن سعـود و البـاقي للجنـد : ثلـث للمشاة و ثلـثـان للخيّـالـة و كـان التمسـك بالـوهـابيـة يكـافـأ ماديا و إذا كـان الغـزو السـابق مجـرّد حملـة شجـاعة فقـد تحوّل الآن إلـى انتزاع أمـوال و هكـذا لـم يعد الارتباط المشـركيـن و إحالتها إلـى المسلميـن الحقيـقيـين"[63] الديـني بالـدعـوة هـو الحـافـز إلـى نشرها أو ربـما لاعتناق البعض لـها بـل صـارت العـائـدات المـاديـة فـي مجتمـع فقـير هي سبـب التمسك بالـوهـابيـة لكـنّ دعـوة تجديد الـدين منحـت أميـر الـدرعيـة وزنـا و اعتبـارا و راح يلـّقـب بالإمـام و بأمير المؤمنين : أمير جميـع المنضمّيـن إلـى الـوهـابيـة و تـوارث هـذا اللقـب كـلّ أمـراء و ملـوك آل سعـود بعـد ذلك "و كـانـت سلطـة السعـوديين قائمـة ليس فقـط علـى قـوة السـلاح فكـل واحـة تضـمّ إلـى الدولـة يصلـها مـن الدرعيـة علمـاء وهـابيـون يدعـون إلـى التوحيـد الحقيـقـي و أخـذ قسـم مـن سكّـان نجـد يعتـبـر الدرعيـة لا مجـرّد عـاصمـة لإمـارة قوّيـة بـل مركـزا روحـيا و يعتبـر حكام الدرعية ليسـوا مجـرّد أمـراء أقويـاء بـل منـاضـليـن فـي سبيـل نـقـاوة الديـن و لا يغـيبّن عن البال أن العلـماء و أنصار الوهابيـين فـي الإمـارات المعـاديـة للدرعيـة كـانـوا يفتـتـون المقـاومـة مـن الـداخـل "[64] و بـذلك فقـد نجـح السعوديـون فـي إرسـاء سلطـة روحيـة فـي الجـزيـرة العربيـة إلى جـانب السلطـة العسكـريـة و إن تـمّ ذلك

---

[62] فلادمير لوتسكي ، المرجع السابق ، ص97

[63] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص115

[64] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص118

بصعوبة كبيرة نتيجة مقاومة الأمراء المستقلين فقد " كان واضحا أثر قوى التجزئة و اللامركزية و الفوضى القبلية لذا تعيّن مرور عشرة أو اثني عشر عاما على سقوط الرياض لتقع نجد بكاملها تحت سيطرة الدرعية "[65] و في نهاية القرن الثامن عشر وبعد أن ضمّت الدولة الوهابية السعودية أقاليم نجد اتجهت إلى الخارج و تحوّلت من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم "إذ شنّ الوهابيون عام 1786م أول غاراتهم على ساحل الخليج العربي أي على منطقة الأحساء ثم احتلوها بعد مرور سبعة أعوام أي في عام 1793م و هكذا ابتدأ عهد الفتح الوهابي فيما وراء حدود نجد "[66] و اتّسع بذلك نفوذ الوهابيين فقد عمّت إيديولوجيا محمد بن عبد الوهاب كأفضل ما يكون وتعدّت نجد إلى الخليج العربي ،فقد بسط الوهابيون نفوذهم على جميع الخليج العربي وفي عام 1803م احتلوا البحرين و الكويت و كافحوا من أجل الحجاز فاستولوا على المدينة عام 1804م و على مكة عام 1806م فضّموا الحجاز إلى دولتهم "التي كانت تمتدّ حين ذلك من البحر الأحمر إلى الخليج العربي و شملت ضمن تخومها جميع أقسام الجزيرة العربية كنجد و شمّر و الجوف والحجاز و الأحساء و الكويت و البحرين و قسم من عمان [الإباضية] و تهامة اليمن وعسير و حتى تلك الأقسام من الجزيرة العربية التي لم يكن قد احتلها الوهابيون - و مثلا في داخل عمان و حضرموت - كان لديهم أتباع كثيرون وكان نفوذهم حاسما"[67] وبهذا الشكل وصلت الوهابية السعودية إلى ما كان يعدّ مستحيلا

---

[65] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،صص 118_119

[66] فلادمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف الذكر ، ص98

[67] فلادمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف ذكره ، ص100

مـن قبل فقـد نجحـت فـي توحيد الجزيـرة العربـيـة و انتشلتـها من اللامـركـزيـة و صنعت لـها مـركـزيـة روحيـة دينيـة و سيـاسيـة فأصبـح نفـوذ السعـوديين داخـل الجـزيـرة نفـوذا دينيـا أولا و سياسيا ثانيـا . و تمكنـت هذه الدعـوة الدينـيـة التـي وصفت بالإيغـال فـي التطـرف مـن توحيـد أواصـر كانـت متشتـة و هذا تأكيـد علـى أن الديـن كـان و لا يـزال محـرّكا للحركـات الوحدويـة و التحـرريـة فـي العـالـم العـربي مشـرقـا و مغـربـا .و أمـام هـذا المـدّ الوحـدوي طمـح الوهـابيـون إلى توحيـد سائـر البـلاد العـربية فلـم يكـن ابـن عبـد الوهـاب و الوهابيـون مـن بعـده يعتـرفـون بخـلافـة السلـطان التـركي و كـانوا يعتبـرون كـافـة العـرب إخـوة و كـان العـراق (و فيـه خصـومهـم الشيعـة) أقرب الأجوار فعملـوا علـى ضمّه لكنهـم لـم يتمكـنوا مـن إحـراز نجـاح" و اضطـروا إلـى الاكتفاء هـنا بالغـارات و بجبـاية الأتـاوات لا غيـر و حـتى كبـرى غـاراتهـم الـتي شنّـوها علـى كـربـلاء فـي 1801م و التـي ذاع صيتـها فـي كـل العـالم كـانت قـد انتهـت دون نتيـجـة و عـاد الوهـابيـون القهقـرى إلـى بطـاحهـم بعـد أن أفـنوا كـنوز مسـاجـد الشيعـة فـي كـربـلاء و بعـد توحيـد الجـزيـرة عـام 1808م نظّـم الـوهـابيـون حملـة كبيـرة عـلى بغـداد إلا أنّـها فشلـت ،كـما كانت حمـلاتهـم عـلى دمشـق و حلـب و مـدن سـوريـة أخـرى دون جـدوى و استـطاعـوا جبـايـة الأتـاوة مـن هـذه المـدن إلا أنهـم لـم يتمكنـوا مـن الإستقرار فيها"[68] و يمكـن أن نـردّ هـذا الفشـل فـي توحيـد سوريـا و العـراق و ضمّـهما إلـى الجزيـرة العـربيـة الموّحـدة حديـثا إلـى أنّ هـذه الحـركـة الـوحـدويـة قـامـت عـلى أسـاس دعـوة دينيـة إسـلاميـة و الحـال أن العـراق و سوريـا يعجـان بأقلـيات دينيـة مختلفـة لا يمكـن أن تنضـوي تحـت رايـة دعـوة دينيـة إسلاميـة بـل ستشجـع هـذه الأقليـات عـلى

---

[68] فلادمير لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف ذكره ،ص101

قيام دولة عربية قومية لا يمكن الحديث في إطارها عن الديانات لأن الرابطة فيها هي رابطة عرقية جنسية لذلك اكتفى الوهابيون السعوديون بتشييد دولة دينية مركزية تمتد على أكثر مناطق الجزيرة العربية "وانتشرت سلطة السعوديين في شبه الجزيرة العربية كلها تقريبا و دفع لهم الجزية حتى سلطان مسقط [الإباضي] و إمام اليمن [الشيعي] و حكام حضرموت و خضعت لأمير الدرعية القبائل القاطنة في البوادي و الفيافي الممتدة حتى أراضي الهلال الخصيب "[69] إن امتداد هذه الدولة و تعاظم ثرواتها غيّر من نظامها الاجتماعي و السياسي إلى حدّ ما فقد أصبحت تقوم على التوسع و كسب غنائم الغزوات و تعتبر هذه الغنائم أهم مداخيل الدولة السعودية و تقسّم هذه المداخيل إلى قسمين أحدهما للإمام و الآخر للدولة و إلى جانب هذه الغنائم هنالك الأتاوات و الجباية التي تؤخذ من السكان الخاضعين للوهابيين . كذلك استحدث الوهابيون السعوديون ضريبة مركزية منتظمة على جميع سكان الدولة "تشكل الزكاة المنصوص عليها في القرآن لمساعدة الفقراء و المساكين و التي هي واحدة من أركان الإسلام " [70] و قد بلغت الدولة السعودية الأولى عزّ جبروتها و ازدهارها في عهد الأمير سعود " حتى أنّ أمراء الدرعية بعد أن انضووا تحت لواء الوهابية التي باركت سلطتهم و التي تدعو إلى البساطة و الاعتدال صاروا يعيشون بقدر كبير من البذخ و الفخفخة بالنسبة للجزيرة العربية "[71] و في هذا الشأن يقول المؤرخ الفرنسي كورانسيز "ذلك هو طريق جميع الطوائف التي تبدأ

---

[69] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص149

[70] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،ص155

[71] أليكسي فاسليف،تاريخ العربية السعودية ، مرجع سلف ذكره ،ص159

بالبساطة و التقشف لتجذب الجماهير و تنتهي بالترف للزعماء "[72] هذا فيما يخصّ الشأن الإجتماعي .أما سياسيا فبعد أن تمكن الوهابيون من إخضاع القبائل عملوا على فرض ضريبة دائمة عليها و قيدوا استقلالها بقدر كبير وصارت هذه القبائل في تبعية للوهابيين بعد أن كانت تشكل أكبر خطر عليهم " كانت بعض القبائل تدفع الضرائب و تشارك في الحملات الحربية و تؤدي مختلف الواجبات بينما تقوم قبائل أخرى برعي الماشية في نجد و أطرافها و إذا تعرضت لهجوم من طرف ثالث فإن الوهابيين لا يتدخلون و المجموعة الأخرى من القبائل تلتزم بعدم الإعتداء على القبائل الخاضعة للأمير السعودي مقابل التزام مماثل من جانب هذه القبائل الأخيرة و تتكون المجموعة الرابعة و الأخيرة من نلاحظ [73] قبائل لا تعترف بسلطة أمير الرياض و لكنّها تدفع الأتاوات له " استمرار نجد في الحياة القبلية رغم الإنتصارات التي حققها الوهابيون السعوديون كذلك نلاحظ عزلتها عما يحدث في أروبا من تغيرات فلا سبيل للمقارنة بين ما نادت به الثورة الفرنسية (1789) و ما أدخلته الثورة الصناعية في أنقلترا من تحولات اقتصادية و بين ما كانت تعيشه نجد و الجزيرة العربية فرغم إطلاق "لقب أمير" على العاهل السعودي فهو مازال يعيش حياة شيخ القبيلة يفك النزاعات القبلية و العشائرية رغم أن "السلطة المركزية كانت تتخذ الإجراءات لإلغاء العادات العشائرية القديمة في حلّ النزاعات و تسعى إلى تسوية التناقضات المحلية في إطار الدولة الموحدة "[74] أما

---

[72] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،ص159

[73] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،ص166

[74] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق ،ص167

بخصـوص الأمـــراء و الشيوخ فقد حافظت الدولة على بعض القدامـى و استبـدلت آخـرين بممثـلي الأفخـاذ و البطـون المنـافسيـن لهـم أو أبنـاء الأسـر التـي لـم يكـن لهـا فـي المـاضـي أمـل فـي الإرتقـاء "[75] بذلك كـانـت تـتـقي فـتـنـة قـد تشتعـل أو تمـردا يقـوده القـادة القـدامى كـذلك حـرص الـوهـابيـون عـلـى تعييـن المفتيـن و القضاة فـي الـواحـات و كانـوا يبعثـون قابضي الزكـاة إلـى كـل واحـة "كمـا كـان يعيـن محتسـب وظيفتـه مـراقبـة أداء الشعـائـــر الديـنـيـــة و صـواب عقد الصفقـات التجـارية و مراعاة المقـاييس و الأوزان و أداء القضاة لواجبـــاتـــهـــــم و قطـع دابـر الإرتشـاء"[76] و بـذلك فـإن السلطـة المحليـة فـي الدولـة السعـوديـة الأولـى كانـت ممثلـة بالأميـر قائـد الحاميـة و كـذلك القـاضي أو المفتي و جبـاة الزكـاة و المحتسـب "و كـان أمـراء الدرعيـة يبتّـون فـي أهـم شـؤون الدولـة بعد التشـاور مـع الشيـخ محمـد بـن عبـد الوهـــاب و أبنـــــائه و أحفـاده و علـماء الديـن و وجهـاء القبائل و أعيان الواحـات و أفـراد عـائلـة السعوديـيـن "[77] وهـذا يفسّـر المكانـة الرفيعـة الـتي حـظي بها الشيـخ محمـد بن عبد الوهـــــاب و أبناؤه و أحفاده فقـد قدمـوا دعـما كبيـرا للسيـاسة التوحيـديـة لأمـراء الدرعيـة فهـم يشـاركون مشـاركة واسعـة فـي إدارة شؤون الدولـة .و لـم يكـن الشيـخ محمـد بـن عبد الوهاب مجـرّد عـالـم ديـن أو مفـت "فقـد قـام بتنظيـم القـوات و مـارس الشـؤون الداخليـــة و أجـرى المكـاتبـــــات و المراسلات مع علمـاء الديـن في الجزيـرة و بشـرّ بتعـاليمـه و دعـا إلى التمسـك بالـولاء لأميـر الدرعيـة و سـاهم مساهمـة نشيطـة في تأسيـس و إدارة الدولة الوهـابية وكـانت دعـوة الشيـخ قـد ضبطـت الوهابييـن و رصّـت صفـوفهم حـول

---

[75] أليكسي فاسليف ،المرجع السابق ،ص169

[76] أليكسي فاسليف ، المرجع السابق،ص168

[77] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ، ص168

الأميـر و أجـجـت تـعـصـبهم " [78] إنّ هذا لتـأكيد جديد على أن الدولــة الوهـابية السعـودية هي دولــة مركزيـة دينيـة و على أن الدعـوة الوهـابيـة هــي حركـة إصـلاح و تجـديد في السيـاســة و الديـن و لا بـدّ من الإشــارة إلى أن الدولــة السعـودية الناشئــة قد عرفـت استقـرارا اقتصاديـا و نوعــا من استتبــاب الأمــن فهـذا الانتعاش الاقتصادي و وفـرة الثـروات ساعـد عليه سلامـة الطـرق و تعــزز الصـلات الإقتصادية داخل الجزيرة " و أدّت الإجراءات الاقتصادية و السياسية و الفكرية لمركزية الدولة إلى ظواهـــر لـم يشـهدها وســط الجـزيـرة فيــما مـــضى فـقـد ظـهـر إتـجـــاه نـحـو تكوين وحدة فوق القبائل " [79] . قد تمكن إذن التحالف الوهــابي السعـودي من إنشــاء دولة مركزية دينيـة حقـق عبرها وحدة أكثـر مناطـق الجزيـرة العربيـة و ازدهـارا اقتصـاديـا .لكـن هذه الدولـة المتعاظمـة أصبحت تقلـق الدولـة العثمانيـة لأنهـا تهـدد سيادتهـا و مع ذلك بـاءت كل محاولاتهـا لإبـادة الوهـابيين بالفشـل بسبب انشغـال الدولـة العثمانيـة بالخصومـات الداخليـة و الانتفاضات البلقانيـة و الـحرب مع روسيـا لذلـك عهد العثمـانيون بهـذه المهمـة إلى محمـــد علـي [80] والـي مصــر فلـم يعــد سلاطيـــن الدولـــة العثمـــــانيـة يطيـقون صبرا على احتلال الوهـابييـــن مكة و المدينـة الـمنورة فخليفـة الـمسلميـن و سـادن الـحرمين الـشريفين لم يعد بوسعـه تأميـن الـحج

---

[78] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ، ص169

[79] أليكسي فاسليف ،المرجع السابق ، ص175

[80] **محمد علي** :(1769-1849):ولد بأعمال اليونان .كان موظفا صغيرا ثم اشتغل بتجارة الدخان جاء في حملة إلى مصر لإجلاء نابوليون منها اشترك في معركة أبوقير البرية (1799) أخذ يرقى سلم النجاح في ثبات وحذر .جاءته فرصته حينما ضاق المصريون ذرعا بحكم خورشيد باشا و طلبوا من الباب العالي تولية محمد علي عليهم سنة 1805 وضع أساس حكمه بتغلبه على الوهابيين (1811- 1819) نهض بمصر نهضة كبيرة و أدخل بها اصلاحات لكن يؤخذ عليه حكمه الأتوقراطي .مات بالإسكندرية 1849 [الموسوعة العربية الميسرة :القاهرة ، دار حماية التراث العربي ، د ت]

لرعيته .فتمّ اللجوء إلى محمد علي بعد فشل محاولات دفع باشا بغداد و باشا دمشق إلى دحر الوهابيين. استجاب محمد علي لرغبة الباب العالي بعدما عزز سلطته في مصر و ضمن حمايتها من الخطر الإنقليزي الزاحف و لم تكن استجابة محمد علي لرغبة الباب العالي لمجرد إرضاء السلطنة العثمانية بل كان يسعى إلى تحقيق مخطط وهو تحرير الحرمين الشريفين لتقوية سمعته في السلطنة و اكتساب شعبية كبيرة كذلك كان يأمل في السيطرة على تجارة السلع الهندية و البن اليمني التي تمر عبر جدّة ثم الاستيلاء على اليمن نفسه كذلك كان يمني النفس أن تصدق السلطنة في وعدها و أن تمنح أحد أبنائه ولاية دمشق إذا هو هزم الوهابيين. هكذا حركت الوالي المصري المطامع الإقتصادية و السياسية للإطاحة بالدولة السعودية الأولى . و لابدّ من الإشارة إلى أن الإطاحة بالدولة السعودية تمت لا بفعل الحملة المصرية فحسب بل هنالك أسباب داخلية عملت ببطء على تفتيت و تدمير الدولة السعودية من هذه الأسباب أن الوهابيين لم يستطيعوا أن يحكموا قبضتهم على أراضي الجزيرة الشاسعة بسبب سوء طرق المواصلات مما جعل مناطق الجزيرة العربية منعزلة عن بعضها البعض و لم يتمكن الوهابيون من إخضاع المناطق الجبلية في اليمن و حتى في الحجاز مما شكل تهديدا متواصلا في أطراف الدولة للوهابيين و من أهم الأسباب أن الحجازيين لم يتقبلوا العيش وفق التعاليم الوهابية بعد أن اعتادوا العيش بأساليب أسهل كذلك لم يتقبلوا الخضوع للنجديين بعدما اعتادوا الشعور بالتفوق على سائر المسلمين بسبب انتمائهم إلى الحرم الشريف مما ولّد عدم تقيد بالتعاليم الوهابية و الحقد على الوهابيين الذين لم ينجحوا في جعل سلطتهم في الحجاز سلطة روحية بل بقيت سلطتهم تستند إلى قوة السلاح لا غير و من هنا تأتي إمكانية تحالف الحجازيين مع محمد علي والي مصر ،كذلك يمكن أن نعتبر أن توقف التوسع - الأساس الذي قامت عليه الدولة السعودية الأولى و ما يجلبه من عائدات – السبب في تذمر الوجهاء من الوهابيين بالإضافة إلى أسباب أخرى ساندت حملة محمد علي و إن بشكل غير مباشر. بدأ محمد علي حملة حربه ضدّ

الـوهابيين بصفتـه تابعـا للبـاب الـعـالي بقيـادة ابنـه طوسون بـك سنة 1811 الـذي لم تمنعـه الإنتصـارات التي حققـها مـن تكبـد هـزائـم ثقيلـة بينـت للمصريين "أن الحـرب ضـدّ الوهابيين أمـر شـاق للغايـة إذ تكبـدوا خسـائر كبيـرة مـن جـراء الحـــرّ الـــــذي لا يطـــاق و الجفـاف و الجوع و الأوبئة "[81] كـذلك لـم ترحـم القبائـل البدويـة جيشه إذ قاتلتـه بشراسـة فقد كـان الوهـابيـون يقاتلـون إيمـانا منهم بأن قضيتهـم عـادلـة . هـذا الفشـل الـذي مـني به المصريـون دفـع محمـد عـلـي إلى أن يقـود جيـوشـه شخصـيا.

و فـي سنـة 1815 " أنـزل المصريـون بالوهابيين هزيمـة ساحقـة فـي موقعـة قـرب سبـل (شـرقي الطائـف) "[82]. لكـن محمـد عـلي اضطـر إلـى مغـادرة الحـجاز إلى مصر فخـاض ابنـه طوسـون نضـالا عنيـدا ضـد الوهابيين أسفـر عـن عقـد معاهـدة صلـح وفقا لشـروط هـذه المعـاهـدة " تركـت نجـــــد و القصيـم تحـت قبضـة الوهابيين و دخـل الحجـاز تحـت إدارة المصريين و تعهـد عبـد الله [أميـر نجـد] بـأن يعتبـر نفسـه تابعـا للسلـطان التـركي و وعـد بالخضـوع للوالي المصـري فـي المدينـة "[83] .لكـن الوهـابيين لـم يقبلـوا بشـروط هـذه المعـاهـدة و تعهـدوا بخـوض الحرب ضـدّ المصريين و لـم تكـن الحـرب هـذه المـرّة حـربا توسعيّـة بـل كـانت حـربا تحريـريـة دفـاعا عـن الوطـن ضـدّ النيـر العثمـاني المصـري و هنا بـدأت الوهـابيـة السعـوديـة تتحـول تدريجـيا إلى حركـة وطنيـة تحريريـة . و فـي المقـابـل اعتبـر محمـد علي و السلـطان التركـي أن الأميـر السعـودي لـم يلتـزم ببنـود المعـاهـدة فاستؤنفـت الحـرب مـن جـديد بقيـادة ابـراهيـم ابـن محمـد علـي الآخـر الذي تمكّـن مؤقتـا مـن القضـاء عـلـى الدولـة السعوديـة الأولـى " و أخضعـت قـوات ابـراهيـم القطيـف و الأحـساء

---

[81] فلادمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف الذكر ، ص105

[82] فلادمير لوتسكي ،المرجع السابق ، ص105

[83] فلادمير لوتسكي ،المرجع السابق ، ص105

بعدما دمّرت الدرعية و أخذ أقرباء الأمير و أهمّ قادة الوهابيين أسرى و أرسلوا إلى مصر و أزيلت الاستحكامات في كافة مدن نجد و احتفل المصريون بالنصر و بدا للناظر و كأنه قد قضي على الدولة الوهابية إلى الأبد"[84] لكن قوة مراس الوهابيين و قوة اعتقادهم في العقيدة التي يؤمنون بها جعلهم يقومون بعدّة انتفاضات سنة 1820 و سنة 1821 و قد أدى نجاح الانتفاضة الأخيرة إلى عزل الحاكم المصري عن منصبه و بعثت الدولة الوهابية السعودية مجددا على يد أحد الأمراء السعوديين و طرد الوهابيون سنة 1827 المصريين من القصيم و شمّر و بعد ثلاث سنوات احتلوا الأحساء مجددا .لكن محمد علي لم يستسلم و أخضع نجد ثانية في سنة 1836م "و هكذا انتهى الصراع العنيد المديد بغلبة المصريين .و في عام 1838 أخذ أمير نجد أسيرا و أرسل إلى القاهرة و استولى المصريون على الرياض و الأحساء و القطيف و حتى أنهم حاولوا الإستيلاء على البحرين "[85].

و بذلك يسدل الستار على الدولة السعودية الأولى و على الوهابية السعودية التأسيسية التي سنتبيّن فيما بعد أنها حركة ولاّدة ولد من رحمها عدة أجيال في المشرق و المغرب و لا يزال الجيل الأخير منها يملأ الدنيا شغبا و صخبا .وهكذا و بينما كانت الأنظمة التيوقراطية في أروبا تقوّض لتحلّ محلّها الديمقراطية و مبادئ عصر الأنوار و بينما أخذت الدولة الديمقراطية الحديثة في الغرب تنشأ على أساس الفصل بين الدين و السياسة قامت في نجد دعوة "رجعية " تنادي بالإصلاح على أساس ديني أي أنّها تنادي بالتجديد انطلاقا من الربط بين الدين و السياسة مولية

---

[84] فلادمير لوتسكي ،تاريخ الأقطار العربية الحديث ،مرجع سلف الذكر ، ص107

[85] فلادمير لوتسكي ،المرجع السابق، ص109

وجهها عن أسس التقدّم الغربي بل هي عادت لتحي أنظمة لطالما اعتبرها الغرب أنظمة فاسدة استوجب القضاء عليها أن تعلن ثورات كالثورة الفرنسية لكن الدعوة الوهابية السعودية عادت لتؤكد أن لا سبيل للفصل بين الدين و الدولة و لنا أن نتساءل هنا :هل أن قيم الحداثة الغربية السياسية بذور لا تزهر إلا في أرض زارعها أي الأرض الأروبية ؟ أم أنّ في الإيديولوجيا الوهابية السعودية ما يحول دون تقبل هذه المبادئ ؟ فما هي إذن هذه الإيديولوجيا التي حوّلت نجد من مجموعة إمارات بدوية إلى مملكة مترامية الأطراف ؟ و ما هي مضامين الوهابية السعودية التأسيسية ؟

الفصـل الثالـث:

مضامين الوهـابيــة السعـوديــة

بتبني الأسرة السعودية الدعوة الوهابية في منتصف القرن الثامن عشر أي بتحالف آل سعود مع محمد بن عبد الوهاب نشأت الايديولوجيا الوهابية السعودية و لا نقول الايديولوجيا الوهابية لأن مضامين الدعوة الوهابية بالتقائها بالايديولوجيا السعودية صارت ايديولوجيا وهابية سعودية أي ايديولوجيا قائمة على أسس الدعوة الوهابية لكن بمقومات سعودية خاصة.

لنبحث إذن في مضامين الدعوة الوهابية السعودية و سنفرع هذه المضامين إلى مضامين دينية و سياسية.

تلتقي الدعوة الوهابية في أصولها بالدعوات السلفية السابقة لها كدعوة ابن حنبل و ابن تيمية بما أنها دعوة تقوم على " الإيمان بالعقيدة الدينية على شاكلة السلف "[86] كذلك هي تلتقي بالدعوات السلفية في فهمها الاسلام و تصورها عقيدة التوحيد و يمكن اعتبار الدعوة الوهابية أوّل ظهور حديث للحركات السلفية لكنّها قامت تقريبا على نفس الأسس التي قامت عليها دعوة ابن حنبل و دعوة ابن تيمية ذلك أنّ "مفاهيم السلف الصالح لعقائد الإسلام المستمدة من القرآن و السنّة الصحيحة ثم أفكار الإمامين أحمد بن حنبل و تقي الدين بن تيمية و تلامذتهما كانت التربة التي نبتت فيها أصول الدعوة الوهابية و استمدت منها غذاءها الفكري و ترعرعت في أحضانها "[87] و من الواضح أن ابن تيمية كان المنبع الذي استقى منه ابن عبد

---

[86] سليمان الشواشي ،مفهوم السلف و السلفية قديما و حديثا ،مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية الكويت،جامعة الكويت،كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية،1994،ص221

[87] محمد كامل ظاهر ،الدعوة الوهابية و أثرها في الفكر الاسلامي الحديث ،مرجع سلف ذكره،ص7

الوهاب أسس دعوته فابن عبد الوهاب يستشهد به تقريبا في كل كتبه و رسائله و قد عرف ابن عبد الوهاب ابن تيمية عن طريق دراسته الحنبلية "و في المتحف البريطاني بعض رسائل لابن تيمية مكتوبة بخط ابن عبد الوهاب ،فكان ابن تيمية إمامه و مرشده و باث تفكيره و الموحي إليه بالإجتهاد و الدعوة إلى الإصـلاح"[88] و محور دعوة ابن عبد الوهاب و ابن تيمية و ابن حنبل التوحيد. فبعد الرحلات العديدة التي قام بها ابن عبد الوهاب و دراساته المعمّقة لأثار ابن حنبل و ابن تيمية و بعد بحثه في حال نجد و حال الأمة الإسلامية وجد أنّ طريقة النهوض بهذه الأمة تكمن في العودة إلى "الينابيع الأولى للعقيدة الإسلامية التي نهل منها الرسول و صحابته و كانت مصدرا لقوة المسلمين و عظمتهم "[89]. لذلك دعا ابن عبد الوهاب إلى إحياء عقيدة التوحيد التي تبلورت في شهادة "لا إله إلا الله "-عقيدة الإسلام الأساسية - و قد رأى ابن عبد الوهاب أنّ المسلمين قد زاغوا عن معاني التوحيد الحقيقية و الحال أنّ خلاصهم هو في معرفة معاني عقيدة التوحيد و في الإلتزام بها قولا و فعلا ، لذلك سعى في كتابه " التوحيد الذي هو حق الله على العبيد " إلى تفسير معنى التوحيد و الاستشهاد على فضائله من القرآن و الأحاديث النبوية " و التوحيد عند أهل الحق نوعان توحيد الربوبية وهو المنصوص عليه في قوله تعالى :"أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهّار "و قوله :"قل هو الله أحد " و توحيد الألوهية و هو أن لا يعبد إلا الله وهو المنصوص عليه في قولـه تعـالى " قل يـا أهـل الكتـاب تعـالوا إلى كلمـة سـواء بينـنا و بيـنكم أن لا نعبـد إلا الله و لا نشـرك به شيـئا "[90].

---

[88] أحمد أمين ،زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،القاهرة ،موفم للنشر،1990،ص 15

[89] محمد كامل ظاهر ،الدعوة الوهابية و أثرها في الفكر الاسلامي الحديث ،مرجع سلف ذكره،ص27

[90] محمد بن عبد الوهاب ،كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، الرياض،مؤسسة النور للطباعة والتجلية د.ت.ص20

الدعوة الوهابية إذن هي دعوة إحيائية تدعو إلى إحياء عقيدة التوحيد و بالتالي إلى العودة إلى الصفاء و النقاء فهي دعوة إلى التطهير لذلك سمي الوهابيون ببروتستانت الإسلام نظرا إلى إشتراك الوهابيين و البروتستانت في الطموح الظاهري إلى تنقية الدين الأول الحقيقي من الشوائب التي علقت به فيما بعد "[91] .

يلخص ابن عبد الوهاب دعواه في إحدى رسائله إلى الشيخ عبد الرحمان السويدي في بغداد قائلا :"و أخبرك أني و لله الحمد متبع و لست بمبتدع ، عقيدتي و ديني الذي أدين به هو مذهب أهل السنّة و الجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة و أتباعهم إلى يوم القيامة .لكني بينت للناس اخلاص الدين لله و نبهتهم عن دعوة الأحياء و الأموات من الصالحين و غيرهم ، و عن اشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح و النذر و التوكل و السجود و غير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب و لا نبي مرسل و هو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم و هو الذي عليه أهل السنة و الجماعة "[92] فمحمد بن عبد الوهاب يؤكد أنّه لم يبتدع مذهبا جديدا بل أراد أن يطهر عقيدة التوحيد مما شابها من بدع لأنّه يعتقد أنّ التوحيد هو الطريق إلى الإسلام الحق و ماهو سائد هو خروج عن معنى التوحيد و بالتالي خروج عن الإسلام .فالتوحيد لا يستقيم مع ما انتشر في نجد و العالم الإسلامي عامة من بدع لأنّ " التوحيد أساسه الإعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا العالم و المسيطر عليه و واضع قوانينه التي يسير عليها و المشرع له و ليس في الخلق من يشاركه في خلقه و لا في حكمه و لا من يعينه على تصريف أموره لأنّه تعالى ليس في حاجة إلى عون أحد مهما كان من المقربين إليه هو الذي بيده الحكم وحده وهو الذي بيده النفع و الضرّ وحده لا شريك له فمعنى لا إله إلا الله ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية تسيّر العالم وفقا لما وضع من قوانين إلا هو و ليس في الوجود من

---

[91] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص104

[92] حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة العربية ،مرجع سلف ذكره،ص 175

يستحق العبادة و التعظيم إلا هو "[93] . لذلك جعل ابن عبد الوهاب التوحيد جوهر دعوته والأساس الذي تفرعت منه بقية الفروع ، يقول في رسالته إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى :"إنّ ما أنا قائم به و أدعو إليه هو كلمة "لا إله إلا الله " و إقــامة أركان الدين الإســـلامي و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر"[94] .فالتوحيد بذلك هو تمثل لشهادة "لا إله إلا الله " ،فلا تقوم أركان الدين الاسلامي إلا بمعرفة معنى شهادة "لا إله إلا الله ".بل لا يتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى "لا إله إلا الله " و لا تكفي المعرفة وحدها بل يجب أن يعاضدها العمل .و هذا العمل لخّصه ابن عبد الوهاب في قوله " لا تصلح العبادة كلها إلا لله وحده دون سواه و يخطئ من يدعو غيره "[95] .فالتوحيد إفراد الله بالعبادة و هنا يلتقي ابن عبد الوهاب مع ابن تيمية الذي يقول "لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله فيكون دينه لله والإله هو المألوه الذي تؤلهه القلوب "[96] .و كل ما انتشر في نجد و غيرها من البلاد الاسلامية من تقديس للأولياء و قبور الصالحين هو شرك بالله و هدم لعقيدة التوحيد لذلك دعا ابن عبد الوهاب إلى محاربة هذه البدع و الإكتفاء بما ورد في كتب الحديث الستة الصحاح و اجتهادات فقهاء المذاهب الأربعة لذلك قامت دعوة ابن عبد الوهاب على المعتقدات التالية :

-"لا يعتبر موحدا كل من زار قبور الأولياء فهو فعل شبيه بفعل مشركي مكة و بالتالي لا يعتبر مسلما كل من لم يبرأ من هذا الإثم المبين "[97]

---

[93] أحمد أمين ،زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،مرجع سلف ذكره،ص 12

[94] حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة العربية ،مرجع سلف ذكره،ص 142

[95] حسين خلف الشيخ خزعل ،تاريخ الجزيرة العربية ،مرجع سلف ذكره،ص 142

[96] حسين خلف الشيخ خزعل ،المرجع السابق،ص 121

[97] مقال الوهابية (السلفية) ،موجز دائرة المعارف الإسلامية ،الجزء الثاني و الثلاثون ،الشارقة ،مركز الشارقة للإبداع الفكري ، 1988،ص 367

و قد جاء تحريم زيارة قبور الأولياء و الصالحين جرّاء ما انجرّ عنه من عبادة أصحاب هذه القبور و اعتقاد في نفعهم و ضرّهم بل وصل الأمر إلى حدّ تأليه هؤلاء الأولياء و منحهم صفات الخالق و قدراته لذلك حرّم الوهابيون "الإفراط في تبجيل الصالحين و أنصار الرسول و الأولياء...و بناء الحضرات حول قبورهم و الإفراط في العناية بقبورهم و تحويل أضرحتها إلى أصنام .يجب احترام الأولياء و تقديرهم و لكن لا تجوز عبادتهم "[98] .و هذا هو الأمر الذي ألّب عليهم أعداء دعوتهم الذين اتهموا الوهابيين بعدم احترام النبي محمد صلى الله عليه و سلم. لكن الوهابيين كان لهم موقفا خاص من الرسول فقد اعتبروه إنسانا من سائر البشر اصطفاه الله ليبلغ رسالة النبوة لذلك لا تجوز عبادته و تأليهه و تبعا لذلك لا يجوز طلب الشفاعة منه بل تطلب الشفاعة من الله و محمد عليه الصلاة و السلام لا يشفع في المسلمين إلا باذن الله . عن ذلك يقول ابن عبد الوهاب "هو الشافع المشفع و أرجو شفاعته و لكن الشفاعة كلها لله و لا تكون إلا من بعد إذن الله ...و لا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه...و لا يشفع النبي صلى الله عليه و سلم و لا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه و لا يأذن إلا لأهل التوحيد ."[99]

الوهابيون لا ينكرون شفاعة النبي بل هم يثبتون الشفاعة للنبي محمد و لسائر الأنبياء و الملائكة و الأولياء لكن هذه الشفاعة لا تتم إلا باذن الله و لا تسأل إلا من مالكها و هو الله و هو يأذن فيها لمن يشاء "فيقال :اللهم شفّــع نبينا محمد فينا يوم القيامة اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو نحو ذلك وأما ما يجري على ألسنة الناس من قولهم يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة أو غيرها كأدركني و أغثني أو نحو ذلك فإنه من الشرك إذ لم يرد بذلك نص من

---

[98] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص101

[99] محمد بن عبد الوهاب ، كشف الشبهات ،الرياض ،مؤسسة النور للطباعة و التجلية ،1976،ص27

كتاب أو سنّة و لا أثر من السلف الصالح "[100] .فطلب الشفاعة مباشرة من النبي اعتبره الوهابيون شركا بالله كذلك التوسل بالنبي و الملائكة و الصالحين هو شرك بالله فلا تجوز اللإستجارة إلا بالله و لا يجوز اللإفراط في تبجيل الصالحين و أنصار الرسول و الأولياء و لا تجوز الإستغاثة بهم بعد مماتهم فالإستغاثة تكون بالحيّ الحاضر فيما يقدر عليه ، و هذا ما ذهــب إليه السلفيون في كتاباتهم، يقول ابن عبد الوهاب عن ذلك :"فإن اللإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ...و كما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ...و نحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله "[101] .لذلك منع الوهابيون ما انتشر من مظاهر تقديس هذه القبور كبناء الحضرات حول القبور أو بناء القباب عليها و تجصيصها كذلك منعوا الذبح للقبر و الإستغاثة به و السجود له فهذا شرك "فالذبح للقبور و النذور لها و اللإستغاثة بها و السجود عندها شرك لا يرضاه الله و هو هدم للتوحيد من أساسه و مثل ذلك تجصيص القبور و بناية الأضرحة و تشييد الأبنية عليها و كسوتها بالحرير المذهب و ما إلى ذلك .فكل هذه الأمور لا يعرفها الإسلام "[102] .و بهذا الشكل أصبحت كل هذه الأمور السائدة في نجد و في العالم الإسلامي ضربا من الشرك في نظر الوهابيين فدعوا إلى مقاومتها بل قام الوهابيون بإزالة مظاهر الشرك فقطعوا بعض الأشجار المتبرك بها و هدموا القباب "هدموا في مكة و المدينة القبور المرتفعة و سوّوها كما أزالوا القباب عند استيلائهم على الحرمين الشريفين في القرن

---

[100] حافظ وهبه ،جزيرة العرب في القرن العشرين ، الرياض ،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ،1935،صص 339-340

[101] محمد بن عبد الوهاب ، كشف الشبهات ،مصدر سلف ذكره،ص40

[102] أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،مرجع سلف ذكره ،ص15

و منعوا زيارة [103]الماضي كما أزالوها مرة أخرى في الفتح الحاصل سنة (1925-1926) " العتبات المقدسة حتى قبر الرسول كذلك اعتبروا شدّ الرحال إلى القبور بدعة ، وهنا يلتقي الوهابيون بابن حنبل و ابن تيمية فقد "أفتى ابن تيمية بأن شدّ الرحال إلى الأضرحة و قبور الأولياء غير مشروع و الإمام أحمد بن حنبل يرى شدّ الرحال و السفر لزيارة قبور الأنبياء و الصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة و التابعين "[104] و قد أثار منع زيارة القبور جدلا كبيرا بين الوهابيين و خصومهم نتج عنه اتهام الوهابيين بالطائفية و ضيق الأفق ، و في المقابل لم يكتف الوهابيون بأن يكيلوا لخصومهم التهم بل اعتبروهم كفرة.فقد اعتبر الوهابيون كلّ من خالفهم كافرا حلّ دمه و ماله "و على هذا الأساس كانت غزواتهم في نجد و خارج نجد من اليمن و الحجاز و ضواحي سوريا و العراق ، كل بلاد يدخلونها حربا فهي حلال لهم إن أمكنهم البقاء بها ألحقوها بأملاكهم و إن لم يمكنهم البقاء اكتفوا بما يصل إلى أيديهم من الغنيمة و هنا يجيء الخلاف بينهم و بين معارضيهم فإن غيرهم يقول إنّ من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله و دمه أمّا هم فيقولون إن القول لا عبرة به ما لم يدعمه العمل فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله و هو لا يزال يدعو الموتى و يستغيث بهم و يسألهم قضاء الحاجات و تفريج الكربات فهو كافر مشرك حلال الدم و المال و لا عبرة بقوله و لهم على هذا أدلّة كثيرة من الكتاب و السنة "[105] ولعلّ هذا الموقف هو من أكثر المواقف التي يؤاخذ

---

[103] حافظ وهبه ،جزيرة العرب في القرن العشرين ،مرجع سلف ذكره ،ص 340

[104] عبد الحليم الجندي ،أحمد بن حنبل إمام أها السنّة ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،1982،ص363

[105] حافظ وهبه ،جزيرة العرب في القرن العشرين ،مرجع سلف ذكره،ص 341

عليها الوهابيون و لعلّه من ضمن الأسباب التي دفعت البعض إلى نعت الوهابيين بالتعصّب .لكن الوهابيين هم من أنصار الاستقامة في الدين و تطهيره من البدع.و الوهابية هي دعوة للعودة إلى القرآن و السنّة الغير مشوّهة و دعوة إلى إحياء عقيدة التوحيد و محاربة كل العبادات و المعتقدات التي تتعارض مع هذه العقيدة كالتوّجه لغير الله بالدعاء أو النذر و الذبح لغير الله كذلك كانت دعوة ابن عبد الوهاب حربا على ما ابتدع بعد النبي في أمور العقيدة أو في أمور المعاملات و حربا على كلّ ما يمس بوحدانية الله لذلك حرّم الوهابيون السحر و الرقي و وضع التمائم و في ذلك تأييد لابن تيمية القائل "يحرّم تعلم السحر و تعليمه و فعله و هو عقد و رقي و كلام يتكلّم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله "[106] و دائما و في إطار المحافظة على العقيدة عارض الوهابيون استعمال العقل في العلم الديني بل إنّهم ضد الفلسفة لأنها توّظف العقل لذلك اعتبروا استقاء العلم الديني من غير القرآن الكريم و الحديث الشريف ضربا من الكفر .كذلك اعتبروا أنّ تفسير القرآن بالتأويل كفرا ، ذلك أن الاجتهاد عند الوهابيين محصور في دائرة القرآن و السنّة لذلك رفضوا التأويل و القياس و كفّروا من عمل بهما فالعقيدة الدينية بالنسبة إليهم قد اكتملت و لا سبيل إلى الإضافة بعد السلف الصالح .لذلك كان للوهابيين موقف سلبي من الصوفية خاصة "بالشكل الذي انتشرت به في الإمبراطورية العثمانية في القرن الثامن عشر...فمن وجهة نظر الوهابية الحقيقة المعتمدة على الكتاب و

---

[106] حسين الشيخ خزعل ، تاريخ جزيرة العرب ، مرجع سلف ذكره ،ص 122

السـنّة و تعاليم فقـهاء القـرون الثـلاث الأولـى للإسـلام إنـها تعتبـر الصوفيـة بدعـة و واحـدة مـن أمهـات الكبـائر و إن شجـب عبـادة الأوليـاء و رفـض السحـر و الشعـوذة موجـهان فـي الـواقـع ضـد الدراويـش المتصـوّفـة و لا يغيبّن عـن البـال أن منـع التبـغ و الأفيـون و المسبحة و الموسيقى و الإنشاد الصاخب و حلقات الذكر و الرقص واحد من أهـم محرمـات الوهـابيـة الثـابتـة "[107] إن الإسـلام بتفسيـره الوهـابي هـو فـي الواقـع معـارض للإسـلام بالشكـل الـذي كـان عليـه فـي السلطنـة العثمـانية و الحقيقـة أن هذا التعـارض مـرّده إلى الإختـلاف القـائم بيـن المذهب الحنبلي الذي وصلت الوهابيـة بأحكـامه إلى حـدّهـا الأقصى و المذهب الحنفي الـذي تعتنقـه السلطـنـة العثمانيـة و الـذي يعتبـر أكثـر المذاهـب الأربعـة ليونـة، بينـما تعـدّ الوهـابيـة جنـاحا متطـرفا للحنبليـة فقـد رفضـت كـل جـديد و نهـت عـن كـل مـا خـالف السنـّة حتـى فـي أمـور المعـامـلات اليـوميـة فحـرّمت التـدخيـن و شـرب القهـوة و المـوسيـقى و الغـناء و منعـت الألبسـة الحـريـرية عـلى الرجـال كـما نـادت بالبـساطـة و التـقشـف ،و منـع الوهابيـون استعـمال المسبحـة و عـوّضـوها بسـلامـات أصـابـعـهم تـأسـيا بالـرسـول.

هـذا الإقتـداء بالسنـّة و الـرفض لكـل جديـد جعـلا الوهـابيين يـرفضـون كـل جـديـد مـن ذلك المنجزات الأروبيـة عـلى المستـوى الصنـاعي والاقتصـادي و السيـاسي كـذلك رفضـوا حـتى الإختـراعـات الحـديثـة فـي القـرن العشـريـن كالسيـارة و الهـاتف و الراديـو و التلفـزيـون و الطـائـرة و اعتبـروها مـن عمـل الشيـطان ، و إذا كـان وقـع قبولهـا فـي نهـاية الأمـر فـذلك لأن الـدعوة الوهـابية في القـرن العشـرين تخلـّت عن بعـض مظـاهر تشـدّدها و تعصّبـها و قبلـت بعـض مـا لم يكـن موجـودا فـي عهـد

---

[107] أليكسي فاسليف ، تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص 109

النبي .و الحقيقة أنّه حتى في القرن الثامن عشر قبل ابن عبد الوهاب بعض الأشياء التي لم تكن موجودة في عهد النبي "فقد أقرّ استخدام الأسلحة النارية في القتال رغم أنها لم تكن موجودة في أيام الرسول صلى الله عليه و سلم ...و شيّد السلفيون بعد ذلك مآذن المساجد و مجرّد امساك السبحة أو المسباح لم يعدّ عندهم كفرا و أصبحت المسابيح أحيانا مجرّد حلّية تستخدم لغير التسبيح و رغم كراهتهم الشديدة للتدخين فلم يعد المدّخن يعاقب بالجلد و الأصح أنه يغدو منبوذا اجتماعيا "[108] لكن رغم ذلك فقد حافظت الدعوة الوهابية على أسسها الدينية التي قامت عليها بتمسكها بعقيدة التوحيد التي لا جدال فيها بالنسبة إلى الوهابيين و بمحاربتها البدع كعبادة الأولياء و التصوّف و غير ذلك من أمور العبادات و المعاملات ،و ظلّ القرآن و السنّة الصحيحة هما الدستور عند الوهابيين و ظلّ السلف الصالح هو المرجع و عمل الوهابيون على ردّ "الجماعة الإسلامية إلى سنن الرعيل الأول و السلف الصالح و أن يزيلوا عنها البدع و مستحدثات الأمور و معنى ذلك أنّ الوهابية هي حركة دينية تطهيرية تستند في دعوتها إلى أصل ثابت و هو التمسك بالماضي و الإعجاب به إلى حدّ التقديس و اللإجلال و أنّ الخير كلّه في الوقوف عند القدماء و اتخاذ و أفكارهم المثل الأعلى الذي ينبغي الاقتداء به و سلوكهم و عقائدهم محاكاته في الحياة العملية و الفكرية جميعا "[109] .فالوهابيون يعتقدون أنّ لا نصر و لا عزّة للمسلمين إلا بتخليص الدين من كل ما علق به من خرافات و بدع ليست منه و أنه لا يستقيم أمر المسلمين إلا بتطبيق مفاهيم العقيدة

---

[108] مقال الوهابية السلفية ،موجز دائرة المعارف الإسلامية ،مرجع سلف ذكره ،ص767

[109] سليمان الشواشي ،مفهوم السلف و السلفية قديما و حديثا ،مرجع سلف ذكره ،ص 218

كما كانت تطبق في المجتمع الإسلامي الأول الذي بناه النبي و صحابته لذلك لا تنظر هذه الدعوة إلى " التأخر العربي مقارنة بالتقدم الأروبي و إنما مقارنة بالماضي العربي و الإسلامي المجيد كما ترفض أي استلهام من التجربة الأروبية و تعارض توريد أية منتجات صناعية أروبية و الحلّ بالنسبة إليها هو العودة إلى الإسلام الصحيح كما تتصوره هي "[110]

هذه إذن المضامين الدينية للدعوة الوهابية التي تبنّاها آل سعود و أقاموا على أساسها دولتهم فتولّدت عنها مضامين سياسية حان الوقت للتعرض لها.

إذا كانت الدعوة الوهابية دعوة دينية عقدية فإنها اصطبغت بصبغة سياسية و حملت مضامين سياسية أولّها و أهمها: خلق دولة مركزية ذات طابع ديني فالدعوة الوهابية لم تكن بالنسبة لآل سعود إلا راية جهاد رفعوها لكسر شوكة القبائل النافرة في الجزيرة العربية .فالحياة القبلية بأعرافها و معتقداتها كانت مهيمنة و لم تستطع رياح الحداثة الأروبية أن تصل تلك المناطق في تخوم السلطنة العثمانية فظّلت تعيش الحياة القبلية في ظلّ الإنقسام و البداوة ،فالجزيرة العربية منقسمة إلى عدد كبير من القبائل و هذه القبائل تنقسم بدورها إلى أفخاذ و بطون متعددة و إلى عشائر و لكل عشيرة معتقداتها و قوانينها الخاصة و شعائرها الخاصة فنجد لكل عشيرة وليّها الصالح و أحجارها و أشجارها المتبرك بها و لكل قبيلة

---

[110] الهادي التيمومي ، في أصول الحركة القومية العربية (1839-1920) ،تونس ، دار محمد علي الحامي ،2002،ص 43

و نظامها اللإجتماعي الخاص و إن انتسبت هذه القبائل إلى طقوسها إمارة واحدة فإنها تشكلّ فسيفساء داخل الكيان الواحد .هذه إذن حال الجزيرة العربية جزيرة تنقسم إلى قبائل و القبائل تنقسم إلى عشائر و كل هذه القبائل لم تكن تجمع بينها وحدة و كذلك الشأن بين الإمارات ،فالإحساس باللإنتماء كان محصورا في حدود القبيلة و العشيرة بحيث لم تتشكل هوية واحدة واضحة المعالم تجمع بين إمارت نجد و الحجاز لذلك لم تكن العلاقات بين القبائل مستقرّة بل كانت تخضع لمنطق القوة و المصلحة لذلك لم تخضع هذه القبائل المتناحرة لنظام سياسي و اجتماعي تحت لواء دولة واحدة بل شكّلت ما يمكن أن ننعته بمجتمع "السيبه" أي مجتمع تكونه قبائل عاصية لنظام الحكم و محتاجة بالتالي إلى قوة عسكرية تقمعها لأنها تحول دون قيام نظام دولة مركزي .فالنظام القائم في هذه اللإمارات كان دائما هدفا لثورات القبائل التي تقوم حياتها على الصراعات و الغزوات داخل القبيلة الواحدة أو بين القبائل أو بين هذه القبائل و النظام الحاكم لذلك لا غرابة أن نجد أغلب القبائل مسلحة و أكثر استعدادا للعنف ،مما ولّد الحاجة بالفعل إلى وجود مركز سياسي يوحّد هذه القبائل النافرة لذلك أصبحت الدعوة الوهابية ذات مضامين سياسية ،فقد اتخذ محمد بن سعود من دعوة إحياء الدين و تطهيره من البدع راية للجهاد من أجل نصرة هذه الدعوة و اعلاء كلمة الدين الحق ،هذا في الظاهر لكن المغزى الحقيقي هو كسب قاعدة جماهيرية تلتف حول شخص أمير الدرعية بوصفه الناصر لدعوة الحق و المطهّر للدين مما علق به و بذلك يكتسب الزعامة في مجتمع قبلي تعتبر الزعامة فيه شكلا من أشكال التميز و ستمكنه هذه الزعامة من اخضاع هذه القبائل من خلال الدعم الديني الذي يكتسبه من تحالفه مع محمد بن عبد الوهاب. و بذلك تصبح العلاقة بين الأمير و رعيته علاقة روحية و من هنا يصبح على رعايا الأمير حسب ابن تيمية "إطاعته دون قيد و شرط و الأمير هو المشرف على التطبيق السليم لأحكام الشرع التي تشمل المسلمين

كافة"[111] و بهذا الشكل يضمن العاهل السعودي أن يلتف الشعب السعودي حول شخصه لا حول العرش السعودي ،من هنا يصبح الأمير السعودي أمير المؤمنين خاصة أن العرب لم يقبلوا أن يسند لقب خليفة المسلمين إلى الأتراك .لذلك عمل الأمراء السعوديون على توطيد علاقاتهم بعلماء الدين و أعطوهم أعلى المراتب في الدولة لأن علماء الدين يساهمون في تعزيز مكانة الأمراء السعوديين و يدعمون الرابطة الروحية بين الأمير و رعيته ،فالأمير يتشاور "مع العلماء في إدارة أعماله و لكن من حق الأمراء التصرف وفق ما تمليه عليه ضمائرهم و الأمير ملزم بالتمسك بأحكام الكتاب و السنة وفقا لتفسيرات العلماء و هذا يوفر للعلماء وسائل هامة و إن كانت محدّدة للتأثير و الرقابة .و من الناحية النظرية فإن الأمراء أحرار في تصرفاتهم في كل ما لا يتعلق بالدين و لكن من الناحية العملية يتخلـل الإسلام كـل ميادين الحياة في السعودية ،لذا يلعب العلماء في المجتمع الـوهابي دورا هاما و مما يزيد في هيبتهم إن الكبار منهم ينتسبون إلى آل الشيخ الذين تصاهروا مع آل سعود منذ أمد طويل"[112] و بهذا الشكل تكون الأسس التي قامت عليها الوهابية السعودية هي كالآتي : رفع راية الجهاد باسم الدين لكسر شوكة القبائل النافرة بتعلة أنها أوغلت في الشرك و ابتعدت عن التوحيد ثم توحيد صفوفها حول الأمير السعودي و اقامة دولة دينية مركزية تخضع كلها من المركز إلى الأطراف لسلطة الأمير السعودي الذي يتمتع بالسلطة المطلقة باعتباره أمير المؤمنين .هذه الهالة التي يحظى بها الأمير السعودي تمكنه من الحكم الذاتي المطلق و تؤدي بالتالي إلى شخصنة الحكم .هذه هي المهمة التي سعى إلى تحقيقها الأمير السعودي "و لم تكن تلك مهمة سهلة في مجتمع متباين يضمّ فئات و شرائح اجتماعية مختلفة [البدو و الحضر على أقل تقدير]ظلت طوال قرون تعتمد مدارس

---

[111] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،صص 382-383

[112] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص384

فقهية مختلفة و تطلب تنفيذها إيجاد حلول وسط "[113] لذلك لم يكن أمام ابن سعود لتحقيق مشروعه إلا أن يقوم بغزوات هي بمثابة فتوحات إسلامية من منظور وهابي و لكنها من منظور سياسي عبارة عن حركة توسع شنها الوهابيون السعوديون بإسم الجهاد في سبيل إحياء عقيدة التوحيد لكن الغاية الحقيقية كانت توسيع رقعة الإمارة السعودية و الظفر بالعائدات المالية المتـأتية من الغزوات و بذلك تكون الوهابية ايديولوجيا للتوسع الحربي "و قد اتخذ آل سعود من التبشير بالإصلاح الديني على الطريقة الوهابية ركيزة و راية في صراعهم من أجل توحيد أراضي نجد "[114] فالتوحيد في مجتمع منقسم على ذاته يعتبر غاية عزيزة لكن ذلك تحقق تحت راية تطهير الدين التي استقطبت القبائل النجدية و الحجازية و حتى تلك التي لم تغرها الدعوة الوهابية السعودية أخضعت بحد السيف لتحقق الوحدة في ذلك المجتمع الذي لا يمكن أن يوحد أفراده غير الوازع الديني الذي يجعلهم يشعرون بأن لهم عدوا واحدا "المشركين" ، هذا الإحساس من شأنه أن يوّحد صفوفهم و يخلق وحدة بين القبائل و قد وصل بهم هذا الإحساس إلى حدّ التعصب مما دفعهم إلى القسوة على غير الوهابيين و اعتبارهم أعداء لهم ،كذلك اعتبر الوهابيون وجهاء نجد الحجازيين بالتحديد أعداء لهم لذا "باركت الوهابية نضال وجهاء نجد السياسي و العسكري من أجل السيطرة في الجزيرة العربية ضدّ الحجازيين بالدرجة الأولى "[115] فاحساس الوهابيين بأنهم يحملون لواء الدين الصحيح بـرّر لهم الحرب ضدّ الحجازيين خاصة أنّ في الحجاز أقدس مقدسات المسلمين "الحرمين الشريفين" ، فكانت الحرب بالنسبة إليهم فرصة لصون العتبات المقدسة و لعلّ الأمراء السعوديين وجدوا في الهالة الدينية التي خلعتها عليهم الدعوة الوهابية و في ظهورهم بمظهر مناضلين في سبيل الدين مبررا لتقوية

---

[113] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص395

[114] أليكسي فاسليف ،المرجع السابق ،ص379

[115] أليكسي فاسليف ،المرجع السابق ،ص111

نفوذهم الديني أمام الحجازيين الذين طالما استأثروا بهذا النفوذ باعتبارهم من الشرفاء ، وجدوا ذلك مبررا أيضا ،لإفتكاك الزعامة الدينية و السياسية منهم فكانت بذلك الدعوة الوهابية السعودية حركة وحدوية و توسعية و تحررية فقد تحولت "عندما عارضت شكل الإسلام السائد في الإمبراطورية العثمانية إلى صيغة فكرية للحركة الوطنية لعرب الجزيرة ضدّ الأتراك "[116] .

من أهم مضامين الدعوة الوهابية في بعدها السياسي هو أن تكون تلك الدعوة الدينية أساسا للنضال الوطني و الكفاح من أجل التحرير و نيل الإستقلال و السيادة و الإتحاد أمام العدو الخارجي على هذا الأساس ناضل الوهابيون السعوديون نضالهم المرير و الطويل ضدّ العثمانيين من أجل سيادتهم على أرض وطنهم ."إنّ تمردّ الوهابيين على الإسلام العثماني كما بينت الأحداث قد تجاوز كثيرا الإطار الديني و اتسم بطابع سياسي و عسكري. لقد كان ذلك صداما بين نظام الدولة العربي في الجزيرة و بين الإمبراطورية العثمانية .و صارت راية للحركة الوطنية العربية ضذ النفوذ العثماني في الجزيرة "[117] .فكانت بذلك الدعوة الوهابية في تلك الفترة حركة وطنية لم تبن على مبادئ الحداثة السياسية التي نادت بها أروبا في القرن الثامن عشر بل كانت حركة دينية المنطلق و المنتهى فقد حرص الوهابيون السعوديون على بناء دولتهم على أسس الشريعة الإسلامية و جعل القرآن و السنّة دستور دولتهم التي تمارس فيها ملكية مطلقة .يجمع فيها الملك بين السلطتين الدينية و السياسية و يستأثر بالحكم كما هو الحال في الملكية التقليدية . و قد كانت "السلطة الفعلية كلها في يد الملك ابن سعود و حاشيته "[118] .فقد كان اعتناق الأمراء السعوديين الدعوة الوهابية معززا لمكانتهم السياسية بشكل كبير فكسبوا

---

[116] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص 110

[117] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص 386

[118] أليكسي فاسليف ،تاريخ العربية السعودية ،مرجع سلف ذكره ،ص 110

بذلك تحالف بعض القبائل. لكنّ قبائل أخرى اختارت العصيان و رفضت الرضوخ لآل سعود فتمّ إخضاعها بحدّ السيف ،و مع ذلك بقيت بعض القبائل عاصية و رفضت الرضوخ فاكتفت بدفع الأتاوات و الضرائب للدولة السعودية .و هذا دليل على صعوبة المطلب الوحدوي في الجزيرة العربية و دليل أيضا على نجاح الإيديولوجيا الوهابية السعودية في تحقيق الوحدة في هذا المجتمع المنقسم على ذاته و إن كان ذلك نسبيّا.إنّ تمسك الحكام السعوديين بالإيديولوجيا الوهابية على مدار العقود لدليل على أنهم وجدوا فيها الإستراتيجية المثلى لإقامة دولتهم فالمضامين السياسية لهذه الدعوة كانت حافزا لهم على تبني هذه الدعوة و الإلتزام بتعاليمها السياسية و الدينية ،و إن لاحظنا أنّه في القرن العشرين وقع التحلّـل من بعض التعاليم الوهابية الدينية من ذلك تعامل العاهل السعودي حينها مع بريطانيا الدولة المشركة و ذلك محرّم حسب التعاليم الوهابية .كذلك عمل آل سعود على تحديث التعليم فأدخلوا مواد كالجغرافيا و اللغات و الهندسة رغم تحريم العلماء هذه المواد، كما أقرّ استخدام السيارات و الطائرات و التلغراف و التلفون رغم معارضة العلماء الوهابيين. فالسعوديون رغم تمسكهم بالأسس الوهابية لم يستطيعوا في ظلّ ما يشهده العالم من تطور إلا أن يجاروا هذا التطور خاصة على المستوى الإقتصادي و الإجتماعي لكن في حدود. أما على المستوى السياسي فقد عمل السعوديون على الإبقاء علـى الملكية المطلقة ذات الصبغة الدينية و لم يعملوا على تحديث نظام الحكم و هذا دليل على أن الملوك السعوديين كانوا آخذين بنظرة تقليدية إلى الأشياء على المستوى السياسي و الإجتماعي و نظرة أكثر حداثة على المستوى الإقتصادي و مثل هذه الثنائية تطرح في حدّ ذاتها إشكالية تستعصي على الحــلّ.

الـفصـل الرابـع:

الـــــــــوهابية في نجد الثلث الأول من القرن العشرين

رغم انهيار الدولة الوهابية في نجد وخضوع الوهابيين للمصريين سنوات طويلة في الثلث الأول من القرن التاسع عشر فإن الحلم باسترجاع مجد الأجداد لم يفارق أحفاد ابن سعود ورغم غياب التمثيـــل السياسي للحركة الوهابية فإن تأثيرها الروحي في النجدين ظل مستمرا و على أساس من ذلك و رغبة في استرداد الحكم المغتصب عمل أبناء آل سعود على بعث دولتهم من جديد وقد وجدوا ومن جديد في الايدولوجيا الوهابية سندا لهم وعضدا قويا فقد اعتمد الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود [119] في انتفاضته على الوهابيين بإثارة الشعور الديني لديهم و قد بايعه معظم أهالي نجد بعد دخوله الريـــــاض و الواقع أنه في خلال عشر سنوات من 1824 إلى " واستسلامها له في أكتوبر سنة 1824 1834 استطاع تركي أن يثبت سلطته في نجد و الأحساء وحتى عمان و أن يبسط نفوذه على طول شـــواطئ الخليج العربي حتى رأس الحد إلا أنه ظل مع ذلك يدين بالولاء و [120] و رغم هذا الخضوع الجزئي للقاهرة التبعية لباشاوية القاهرة و يدفع لـــها الجزية " فإننا يمكن أن نعد انتفاضة تركي بن عبد الله جريئة و فاتحة لعهد جديد بدأت فيه نجد

---

[119] الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود(.-1833)إمام من أمراء نجد وليها بعد مقتل ابن عمه مشاري بن سعود بولاية تركي انتقل الحكم في آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد وبقي في هؤلاء إلى اليوم و استمر تركي في الحكم إلى أن اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمان بن سعود و كان قتله أول جريمة من نوعها في آل سعود (خير الدين الزر كلي .معجم الأعلام ,مرجع سلف ذكره,ص 66).

[120] السيد رجب حراز ,الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب,مرجع سلف ذكره , ص 135

تتخلص من نير الاحتلال العثماني و بالفعل فقد تمكن فيصل بـــــن تركي [121] بعد وفاة والده تركي من قطع الجزية التي كان يدفعها والده لباشاوية القاهرة و قد ساعده على ذلك و إهمال القاهرة شؤون نجد في تلك الفترة لأن اهتمامها كان منصبا على الحجاز و عسير اليمن لكن محمد علي قرر إخضاع فيصـــــل و إخماد ثورته و قد تمكن من ذلك فعلا بتوليـــــــــــته

صنيعة الأتراك في ذلك الوقت – على نجد على إثر هزيمة فيصل أمام -خالد بن سعود [122] الحملة المصرية حيث أسر وأرسل إلى القاهرة في ديسمبر 1838. و من جديد ترسخت "و بدأ ما يطلق عليه هارولد ديكسون احتلال المصريين الثاني لنجد الأقدام المصرية في نجد وهو احتلال لم يطل أمده و انتهى بعد عامين باستدعاء القوات المصرية من شبه جزيرة و بانسحاب القوات المصرية من شبه جزيرة العرب أصبحت نجدا مسرحا " العرب[123] لصراعات آل سعود حول السلطة التي تنازعها خالد بن سعود و ابن عمه عبد الله بن ثنيان

---

[121] فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود إمام شجاع حازم كان ممن حمل إلى مصر من أمراء نجد في أيام استيلاء جيش محمد علي على كثير من بلاد العرب و فر من مصر هاربا من الروم فعاد إلى نجد و أبوه في الرياض و ظلت =الرياض فقاد جيش أبيه لاسترداد البلاد الأخرى بضع سنين . سار سيرة حسنة و جعل الإمارة في= بلاد نجد مضطربة كف بصره و توفي بالرياض (خير الدين الزركلي المرجع السابق , ص 52).

[122] خالد بن سعود : أحد أفراد العائلة السعودية المالكة الذين أخذهم إبراهيم باشا معه إلى المنفى في مصر حيث أمضى زهاء ثمانية عشر عاما حكم نجد أقل من ثلاث سنوات (السيد رجب حراز , الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب 1840-1909 مرجع سلف ذكره ,ص 136 -137)

[123] السيد رجب حراز , الدولة العثمانية و شبه جزيرة العرب , مرجع سلف ذكره , ص 136

[124] لكن هروب فيصل بن تركي من سجنه بالقاهرة في سنة 1843 أعاده إلى مسرح الأحداث و حسم الأمر لصالحه فقد تمكن من الإطاحة بابن ثنيان و دخول الرياض واستعادة "و امتدت المرحلة الثانية من حكم فيصل من عام 1843 إلى عام 1866 و في عرش أجداده خلال هذه المرحلة لم تكن الاستانة

أو القاهرة تمارس أي سلطة أو نفوذ في نجد تحت أي شكل من الأشكال و تعتبر هذه المرحلة من حكم فيصل من عهود ازدهار الدولة السعودية أو على حد قول فيلبي "مدخل تاريخ شبه [125] فقد استطاع فيصل أن يبسط نفوذه على الجزء الأكبر من شبه " الجزيرة العربية الحديث جزيرة العرب و أن يسترجع كل أملاك الدولة السعودية المسلوبة سابقا و قد ساعده على ذلك عدم وجود أي قوة أجنبية في نجد فبانسحاب الحاميات التركية من صحاري وسط شبه الجزيرة لم يبق أي جهة مناوئة لفيصل فترسخ بذلك حكمه خاصة بعد إخضاعه الأحساء و تشتت شمل القبائل التي كانت تتنازع عليها و قد بلغت الإمارة السعودية الثانية قدرا كبيرا من القوة إلا أن وفاة فيصل كانت إيذانـــــا بضياع الملك وبداية عهد من الفتن و الاقتتال على " و حين وفاة فيصل كان ابنه الأكبر السلطة بين أبناء فيصل الذين انقسموا شيعا و أحزاب عبد الله أميرا على الرياض و ابنه الثاني سعود أميراعلى الخرج والافلاج و ابنه الثالث محمد أميرا على المنطقة الشمالية من الإمارة في حين كان ابنه الصغير عبـــــد الرحمان في

---

[124] عبد الله بن ثنيان (ت 1843) من أمراء نجد قدم في الرياض الطاعة لخالد بن سعود ثم دخل الرياض فاتحا و فتك بأكثر من كان فيها من الترك و المغاربة رجال خالد , أطاعته نجد وصفت له الإمارة إلى أن عاد فيصل بن تركي من أسره في مصر و حبسه في الرياض . مات في السجن (خير الدين الزركلي , الأعلام مرجع سلف ذكره, ص 202)

[125] السيد رجب حراز , الدولة العثمانية , مرجع سلف ذكره , ص 137.

[126] و في هذا الجو من النزاعات قويت شوكة الخصوم " الرياض إلى جانب أخيه عبد الله وخاصة آل رشيد الذين نصبهم العثمانيون أمراء على شطر نجد وقد عمل العثمانيون على دعم آل رشيد الشمريين لإضعاف دولة آل سعود خاصة في هذا الظرف المشحون بالتنافس بين الأخوين عبـــــد الله وسعود على الحق في العرش و تمكن سعود من الاستيلاء على الأحساء و الرياض بالاعتمـــــاد على القبائل البدوية في حين توجه أخوه عبد الله إلى طلب المساعدة من والي بغداد العثماني و في عـــــام 1871 احتلت القوات العثمانية جميع الممتلكات الساحلية للوهابيين ووقع الأمير عـــبد الله في أسر العثمانيين كما أثيرت ضد "و أصبح ســــــعود الذي لجأ إلى القبائل الأمير سعود عدة انتفاضات في الرياض البدوية يقوم بغزوات استنزافية على واحات الأحساء وغيرها من المناطق و دخل إلى الصراع مجددا السلطان عبد الله الذي هرب (أو أعطي الفرصة ليهرب) من المعسكر التركي و دارت حـــرب طويلة دامت سنوات عديدة بنجاح متبادل بين أنصار عبد الله و سعود و قد استمر الصراع بعد وفـــاة سعود عام 1875 و انتقلت الرياض ثماني مرات من يد إلى يد خلال [127] و بذلك فان الوهابية التي على أساسها و حد السعوديون القبائل " فترة 1865-1876 المتنازعة لم تستطع أن توحد كلمة أمراء العائلة السعودية بل طغت المصالح الشخصية على الروابط الدينية و الأسرية و أصبحت نجد الوهابية مسرحا للصراع السعودي العثماني و السعودي الشمري فقد عمل التحالف العثماني الشمري ضد بعث دولة آل سعود الوهابية ,

---

[126] السيد رجب حراز ,الدولة العثمانية , مرجع سلف ذكره , ص 140

[127] كوتلوف , تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر 1908 دمشق , مطبعة وزارة الثقافة و الإرشاد القومي , 1981 , ص302.

فالدولة العثمانية السنية الحنفية بالإضافة إلى عدائها التقليدي للدولة السعودية الوهابية الحنبلية فإنها باتت تخاف على مصالحها في شبه الجزيرة العربية التي تهددت في وقت ما عند حكم فيصل بن تركي لذلك وجدت في آل رشيد حليفا قادرا على قمع آل سعود و قد اتفقت مصالح "الأمر الذي حدد اتجاه السياسة الشمرية الموالية لتركيا في شبه شمر مع المصالح العثمانية الجزيرة العربية فقد كانت تركيا و شمر تقفان بدرجة متساوية ضد بعث نفوذ و قوة سلالة السعوديين المعادين لهما و كلما حرك آل سعود مطالبهم بفعالية كلما كان يزداد ارتباط سياسة العثمانيون في آل رشيد المعروفين بتسامحهم الديني [128] و قد وجـــــد شمر بتركيا متانة " جوادا يمكن المراهنة عليه للحفاظ على مصالحهم في شبه الجزيرة و القضاء على السعوديين المتعصبين و قد رأى العثمانيون أن آل رشيد لا يمكن أن يشكلوا خطرا عليهم و يمكن إخضاعهم في حين أن آل رشيد كانوا ينتظرون من التحالف مع العثمانيين القضاء على آل سعود المنافس الأقوى لهم في نجد تمهيدا لإقامة حكمهم متظاهرين بالولاء الشـــــكلي للعثمانيين و بذلك عملت المصالح المشتركة بين آل رشيد و العثمانيين من جهة و تفتتت الأسرة السعودية المالكة وصراع أمرائها من جهة أخرى على القضاء على الدولة السعودية "فاختفى نجم آل سعود من نجد و غدا محمد بن رشيد[129] الثانية و قد حقق هذا التحالف أهدافه

---

[128] كوتلوف ,المرجع السابق , ص 303

[129] محمد بن رشيد (.-1897) من شمر أكبر أمراء آل رشيد أيام حكمهم في حائل و ما حولها كان أبو عبد الله قد لجأ إلى آل سعود و أقامه الأمير تركي بن سعود أميرا على حائل و توفي بها . قام محمد بن رشيد فقتل خمسة من أبناء أخيه طلال و توطدت الإمارة له و امتد حكمه إلى أطراف العراق و مشارف الشام ونواحي المدينة واليمامة وما يلي

سيد المنطقة و رجلها القوي بـــــدون منازع و بذلك أصبح آل رشيد حكام المناطق الداخلية بدل آل سعود و اكتفى العثمانيون بالإدارة المباشرة على السواحل الشرقية من نجد "[130] لكن هذا لم يمنع عبد الرحمان أصغر أبناء فيصل من أن يـــحاول أن يشق عصا الطاعة و أن فأخذ على عاتقه يستقل بنجد عن آل الرشـــــيد فبعد وفاة أخيه عبد الله عقدت له البيعة مكافحة آل رشيد و العثمانيين إلا أن محاولته باءت بالفشل فلجأ إلى الكويت ضيفا على شيخها و قد أمن له في الحقيقة هذه الضيافة و تكفل بنفقاتها الحكومة العثمانية في محاولة منها لدرء الخـــــطر الشمري المتضاعف و لموازنة القوى في شبه الجزيرة "يحدوها الأمل في إمكان استخدامـــــه (عبد الرحمان) لتحقيق سيادتها في قلب شبه العربية و استتب الأمر في السلطنة الوهابية السابقة للعثمـــــانيين و آل الجزيرة "[131] الرشـــــــيد لكن مع مطلع الـــــقرن العشـــــرين تبدلت مـــــــوازين القوى و تمكن الأمير الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمان

اليمن وغلب على نجد وانتهز فرصة الخلاف بين آل سعود فأدخل بلادهم في طاعته توفي بحائل (خير الدين الزركلي , الأعلام ,مرجع سلف ذكره,ص 122)

[130] السيد رجب حراز "الدولة العثمانية" مرجع سلف ذكره , ص 151

[131] السيد رجب حراز, المرجع السابق,ص 151.

آل سعود [132] من بعث الدولة السعودية الوهابية من جديد مستفيدا من ظروف محلية و عالمية مختلفة عن الظروف التي نشأت فيها الـــدولة الســـــــــعودية الوهابيـــــــــة الأولى و لكن على نفس المبادئ الوهابية فكانت بذلك الايدولوجيا الوهابية مرة أخرى الأساس الذي اعتمده آل سعود في إرساء ملكهم في شبه الجزيرة, فهل وظف عبد العزيز آل سعود الايدولوجيا الوهابية كما وظفها أسلافه في القرن الثامن عشر و هل التزم بمبادئها أم أن تغير الأوضاع التاريخية فرض تغييرا في السياسة السعودية ؟ ثم هل أن الوهابية بوصفها حركة دينية سلفية استطاعت أن تحافظ على مقوماتها في الثلث الأول من القرن العشرين؟ لقد شهدت

---

[132] عبد العزيز آل سعود : هو عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من آل مقرن بن ربيعة بن مانع من ذهل بن شيبان ملك المملكة العربية السعودية و منشئها ولد في الرياض و دولة آبائه في ضعف و انحلال و استقر مع أبيه في الكويت سنة 1981 و شب فيها وشن الغارات على آل رشيد و أنصارهم و فاجأ عامل بن رشيد في الرياض و استولى عليها و جدد فيها إمارة آل سعود سنة 1902 وضم إلى الرياض ما هو قريب منها و كانت بينه وبين الملك حسين بن علي الهاشمي وابنه على أحداث انتهت بالقضاء على دولة الهاشميين في الحجاز (سنة 1925) و أصبحت مكة عاصمة آل سعود ونودي به ملكا على الحجاز و نجد و كان من قبل الأمير و السلطان و الإمام, أعلن سنة 1932 توحيد الأقطار الخاضعة له و تسميتها المملكة العربية السعودية. لم يشغله خوض المعارك و تجهيز الجيوش وقمع الفتن عن تنظيم بلاده وسن ما بلائمها من النظم و إنشاء العلاقات السياسية و الاقتصادية مع الدول العربية و الأجنبية .توفي بالطائف ودفن في الرياض سنة 1953 (خير الدين الزركلي ,معجم الأعلام ,مرجع سلف ذكره , الجزء الرابع ,صص142-143-144)

نجد و الخليج العربي أواخر القرن التاسع عشر احتداد صراع القوى الاستعمارية الغربية من أجل كسب حلفاء من شبه الجزيرة العربية و تنافست ألمانيا و أنقلترا حول اقتسام المستعمرات في الخليج العربي و فرض الهيمنة عليه هذا بالنسبة إلى القوي الأجنبية . أما محليا فقد استتب الأمر لآل الرشيد بصفة مطـــلقة بمساندة العثمانيين و قد رأت ألمانيا في العثمانيين حليفا يمكن المراهنة عليه للحفاظ على مصالحها ضد أنقلترا التي وجدت في دعم البيتين السعودي و الكويتي سبيلا إلى تحقيق أهدافها الإستراتيجية في المنطقة وفي هذه الأجواء دخلت نجد وشبه الجزيرة العربية في خضم السياسة الدولية .لقد وأد آل الرشيد حكام نجد الجدد الوهابية في الظاهر لكن تأثيرها الروحي والديني في النجدين ظل قائما فوهابيو نجد قبلوا حكم آل الرشيد على مضض وفي خضم هذه الظروف بدأ عبد العزيز آل سعود المتمتع بالدعم الكويتي" يتطلع إلى تنفيذ فكرة استرداد ملك أبائه تلك الفكرة التي كانت تختمر في ذهنه منذ أن التجأ والده إلى الكويت حتى أصبحت شغله الشاغل" [133] وانطلق عبد العزيز في تنفيذ وأفـــــراد أسرته مشروعه بدعم مـــن الكويتيين وبدعم غير مباشر من الانقليز و ساعده أيضا تذمر النجديين من آل رشـــــــــــــــــيد و توقهم إلى عودة حكم آل سعود من هنا تهيأ وضع ملائم لبعث الدولة الوهابية السعودية من جديد و تمكن عبد العزيز بمعية آل الصباح من الاستيلاء على الرياض بعد أن فشل في محاولات سابقة " و أقسم أهل الرياض يمين الولاء لعبد العزيز [134] لكن عبد العزيز أراد أن يكرم والده وطالب أهل الرياض بأن يقسموا يمين الولاء له » "و أعلن أن ابنه هو الأمير وصار عبد الرحمان لكن الأمير عبد الرحمان رفض هذا التكريم

---

[133] السيد رجب حراز , الدولة العثمانية , مرجع سلف ذكره , ص 155

[134] أليكسي فاسليف,تاريخ العربية السعودية ,مرجع سلف ذكره ,ص 276

حاكما للرياض و هو في الثانية و العشرين وظل أبوه مستشارا رئيسيا له و إماما للمسلمين [135] ومنذ البداية أدرك عبد العزيز آل سعود قوة الدين فأقام علاقة طيبة مع علمائه واستغل "

"فشرع بالكفاح ضد شمر وفي 1902-1903 التعصب الديني لدى الوهابيين لتوسيع ملكه استرجع القسم الجنوبي من داخل الجزيرة (الخرج و الافلاج ووادي الدواسر) وقبيل صيف 1904 أخضع الوشم وسودير و القصيم و هكذا بعث عبد العزيز آل سعود الإمارة الوهابية آل وكان عليه في حربه هذه أن يحارب العثمانيين و [136]»السعودية إلى تخومها السابقة و قد صرح بعدائه للعثمانيين في مؤتمر الكويت الأول المنعقد في 1916 إذ قال : " الرشيد كلكم يعلم أني عدو صحيح للأتراك وهم أعداء لي أيضا وسأطاردهم و لو بقيت وحدي لأني لا أنسى ما لقيته على يدهم من الاعتداءات علي و على أسلافي من القتل و شناعة التمثيل و زيادة على ذلك فهم دائبون على تفكيك عرى الأمة العربية و إضعافها بينما نجد الدولة [137] وبالفعل فقد ساعد الانقليز عبد العزيز " البريطانية مجدة في لم شعث الأمة وتقوية أمرائها على بعث الدولة السعودية الثالثة لكن هدف الانقليز لم يكن "لم شعث الأمة و تقوية أمرائها" "فقد كان الانقليز يتوخون هدفين في إسنادهم الحملة الوهابية كما صرح عبد العزيز آل سعود ضد الأتراك أولهما : القضاء على بؤرة النفوذ الألماني –التركي في الخليج العربي فإن

---

[135] أليكسي فاسليف ,تاريخ العربية السعودية ,مرجع سلف ذكره ,ص 277

[136] فلادمير لوتسكي , تاريخ الأقطار العربية الحديث,مرجع سلف ذكره,ص426

[137] عبد الله زامل , أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود ببيروت , المؤسسة التجارية للطباعة و النشر,1972,ص 510

الحرب كانت على الأبواب وكانت تركيا الخاضعة لسلطة أنصار تركيا الفتاة إلى جانب ألمانيا وإن وصول القوات التركية إلى الأحساء دل على وجود القوات الألمانية هناك أيضا وكان من الواجب تصفية هذه البؤرة و ذلك لا يمـــــــــكن أن يتم إلا علـــــــــى يدي عبد الـــــــــعزيز آل ســـــــــــــعود و ثانيهما : إبقاء نجد الوهابية طيلة هذه الحرب [138] و بذلك بعثت الدولة السعودية الثالثة في نجد على يدي عبد العزيز " تحت حماية انكلترا آل سعود ولكن عبد العزيز لم يكتف بذلك فقد كان طموحه أن يبسط نفوذه ويوسع ممتلكاته في الخليج العربي جميعه وأن يؤسس دولة مركزية موحدة وقد تحول عبد العزيز آل سعود إلى قوة بات يخشاها الانكليز أنفسهم لأنهم يعملون ضد تحقيق الوحدة في الجزيرة العربية بل يعملون على تدعيم الانفصالية الإقطاعية والقبلية ليتمكنوا من التحكم في الجزيرة والمحافظة على مستعمراتهم لذلك ساندوا التمردات الإقطاعية المختلفة و سارعوا حين تبينوا أن الدولة السعودية النامية يمكن أن تهدد مصالحهم إلى فرض الحماية على نجد طيلة مدة الحرب " وقد وعد ابن سعود بريطانيا بأن يكون تحت حمايتها ويسندها طيلة مدة العالمية الأولى الحرب وكلفه وعده هذا ثمنا غاليا للاستيلاء على الأحساء وعليه عقد اتفاقا في كانون الأول (ديسمبر) 1915 تعهد بموجبه بأن لايهاجم انكلترا و أن يوفق سياسته الخارجية معها و أن لا ينقل ملكية بلاده إلى دولة ثالثة ويحترم سلامة الممتلكات الانكليزية في الجزيرة العربية وبقيت هذه الاتفاقية نافذة المفعول حتى عام 1924 و لم تكن الحماية الانكليزية عقبة كبيرة في سبيل عبد العزيز آل سعود الذي كان يسعى إلى تأسيس دولة إقطاعية موحدة مركزية في و بالفعل فإن خضوع عبد العزيز آل سعود للحماية الانكليزية لم يعق داخل الجزيرة "[139]

---

[138] فلاديمير لوتسكي , تاريخ الأقطار العربية الحديث,مرجع سلف ذكره ,ص 429

[139] [139] فلاديمير لوتسكي ,المرجع السابق , ص 429

تطور دولته ولم يوقف انتصاراته فالانكليز لم يتدخلوا في السياسة الداخلية للإمارة السعودية . لئن كان للانكليز اليد الطولى في مساندة عبد العزيز آل سعود على بعث الدولة السعودية الوهابية فإن ذلك كان في مرحلة أولى فقط لأن عبد العزيز اعتمد في توطيد أركان دولته في مرحلة ثانية على الوهابية باعتبارها حركة دينية و لا ننسى أن الدولة السعودية الأولى قد قامت على الدين الذي وظف للقضاء على الانفصالية والقبلية و لذلك حرص عبد العزيز آل سعود على استبدال الولاء القبلي بالولاء الديني ولما حقق عبد العزيز آل سعود نوعا من أقبل الوهابيون بقوة مضاعفة على نشر مبادئ « الاستقرار للدولة الوهابية السعودية الثالثة فالوهابية في أواخر "[140] التوحيد و كأنهم كانوا يعوضـــــــــون عن هفوة ارتكـــــــــــبوها القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تراجعت باعتبارها" حركة دينية " بفعل الاضطهاد الذي تعرض له وهابيو نجد وأمرائها وباضمحلال الدولة السعودية توارت هذه الحركة الدينية و هذا يبين لنا أن الايدولوجيا الوهابية هي في حاجة دائمة لشوكة عسكرية و هذا ما وعاه "ساند ابن سعود المبشرين الوهابيين جيدا آل سعود على مر التاريخ وأجادوا استغلاله لذلك الذين وجد فيهم وسائل لمكافحة الانفصالية الإقطاعية القبلية و لإعادة تنظيم المجتمع الإقطاعي [141] ولئن كانت غايات عبد العزيز آل البدوي التقليدي للجزيرة العربية بصورة جذرية "

---

[140] فلاديمير لوتسكي ,تاريخ الأقطار العربية الحديث ,مرجع سلف ذكره ,ص 429

[141] فلاديمير لوتسكي , المرجع السابق , ص 465

سعود سياسية فقد ألبسها ثوبا دينيا فحربه ضد العثمانيين و القبائل المتمردة هي حرب ضد أعداء الدين .

إنه لا شك أن الظروف التي بعثت فيها دولة السعوديين الثالثة تختلف عن الظروف التي نشأت فيها هذه الدولة أول مرة فالقرن العشرون ليس القرن الثامن عشر والوهابية أيضا اتخذت شكلا جديدا و العلاقة بين الوهابيين الجدد والأمير السعودي لم تعد نفسها و إن بقي التوظيف السياسي للحركة الدينية هو ذاته فقد لعب الإخوان خلال الثلث الأول من القرن العشرين الدور الأول في توطيد دولة آل سعود وبفضل الإخوان ضم عبد العزيز آل سعود الحجاز إلى مملكته . وحركة الإخوان التي ظهرت في الثلث الأول من القرن العشرين هي شكل جديد للوهابية فبالإضافة إلى الالتزام الصارم بالفرائض الأساسية « تقوم على نفس المبادئ لكنها أكثر تعصبا الخمس في الإسلام كان الإخوان مطالبين بالإخلاص لإخوانهم في الدعوة و بالخضوع للإمام ومساعدة بعضهم بعضا بكل الوسائل وعدم التعامل مع الاروبيين ومع سكان البلدان التي يديرها الأوربيون "[142] وظهرت هذه الحركة بين البدو ولكن البدو تخلوا عن نمط الحياة "وتحول التعاضد القبلي البدوي واستقروا في الهجر التي بنوها وتحولوا بذلك إلى حضر التقليدي إلى تعاضد بين الإخوان فإذا فقد أحد أملاكه بسبب غزوة أو سبب هلاك الماشية فإن [143] ويعيش الإخوان على ممارسة الزراعة وأول الهجر التي الإخوان يجمعون له التبرعات" أنشأهاالإخوان هجرة "الأرطاوية"وتتعددت بذلك الهجر التي أنشأها البدو فبعد أن كان عدد الهجر خمس وعشرين هجرة في الجزيرة كلها في سنـــــــــة 1920 فإنـــــها أصبحت مـــــــائة وعشـــــرين هـــــــــــــجرة في سنة 1929 وقد ساعد ابن سعود البدو ماديا

---

[142] أليكسي فاسليف ,تاريخ الغربية السعودية ,مرجع سلف ذكره ,ص 295-296

[143] أليكسي فاسليف ,المرجع السابق ,ص 296

"كان الحماس الديني على الاستقرار في الهجر وزودهم بالسلاح والذخيرة للدفاع عن الدين لدى الإخوان يستهدف طاعة الله ويخدم بالطبع أوليائه في الأرض وكان من المنتظر الثواب على جهودهم الدينية والدنيوية كما في السابق عن طريق غنائم الحرب ولكن ليس بشكل غزو بعض القبائل لبعضها الآخر أو النهب في الطرقات بل في الجهاد ضد المشركين" [144]

يتميز الإخوان بتعصبهم الديني الشديد فهم يرفضون التعامل مع غير الوهابيين ويرفضون أن يقيموا علاقات متينة معهم حتى وإن كانوا اقرب أقربائهم وبهذا الشكل أصبح المجتمع الوهابي "كان البدو الذين استوطنوا الهجر يعتقدون بأنهم انتقلوا منعزلا يرفض أي مؤثرات أجنبية فقد من الجاهلية واعتنقوا الإسلام الحقيقي وكانوا ينهمكون في نشر معتقداتهم بحماس كبير حتى [145] و قد أنهم كانوا يضربون البدو الحضر الذين لا ينضمون إليهم ويعتبرونهم من الكفرة " أجاد العاهل السعودي إستغلال تعصب الإخوان وجعلهم يشاركونه في حروبه باسم تجديد الدين أكد "ومحاربة المشركين فضاعف تعصبهم القدرة الحربية لجيش عبد العزيز آل سعود أن ابن سعود نفسه لم يكن متعصبا قط و قد انتفع من حركة الإخوان مؤلفون كثيرون [146] لكنه مع ذلك لم يثق في الإخوان ثقة واستخدمها متجاوزا بمهارة مطالبها المتطرفة" كاملة نظرا إلى منحدرهم البدوي , بل تعامل معهم باحتراز ونستطيع أن نقول إنه هادنهم لأنه وكانت قرى الإخوان قواعد استند إليها "وجد فيهم أدوات أساسية لسياسته الداخلية والخارجية

---

[144] أليكسي فاسليف,المرجع السابق,ص 297

[145] أليكسي فاسليف, تاريخ العربية السعودية , مرجع سلف ذكره, ص 298-299

[146] أليكسي فاسيليف , المرجع السابق ,ص 299

ابن سعود لتشكيل جيشه الجديد وبمساندة الإخوان قمع التمردات وكشف المؤامرات وجرد القبائل المتمردة من السلاح واعتمادا عليهم أيضا خاض عبد العزيز آل سعود الكفاح لتوحيد الجزيرة العربية و لتأسيس دولة وهابية موحـــــــــدة "[147] و بالفعل فقد اعتمد عبد العزيز آل سعود على الإخوان في توحـــــيد نجـــــــــد ومن ثمة في احتلال مكة و المدينة سنة 1925 فقد التقت رغبة النجديين الوهابيين في ضم الحرمين إلى دولتهم بما يعنيانه لهم من قيمة دينية برغبة قائدهم السياسي في الاستيلاء على العوائد التي يدرها الحج وبذلك تخلى الأمير السعودي عن الدعم الكويتي لأنه وجد في الإخوان أي في الايدولوجيا الدينية الوهابية " سندا ودعما قوى شوكته السياسية وساعده في مواجهة أعدائه وفي توسيع إمارته وبالفعل فقد جمع عبد العزيز قادة الإخوان ليعرض عليهم مسألة غزو الحجاز فلقي عرضة صدى ايجابيا في نفوسهم وقد أراد الإخوان أن يجاهدوا في سبيل تطهير بيت الله ولكي يغتنموا الأموال أجرا [148] لكن هذا الجهاد كان في الحجاز نوعا من الترويع والتدمير فقد لقي الحجاز "لجهادهم وأهله من السلب والنهب والتخريب ماجعل شريف مكة حسين بن علي يتنازل عن عرشه لابنه علي ويترك الحجاز لكن عبد العزيز آل سعود لم يكتف بهذا وأنهى صراعه الطويل مع العائلة الهاشمية بطردها من الحجاز وقد دخل مكة سنة 1924 وأعلن برنامجه في الحجاز وجاء فيه 1 سيكون أكبر همنا تطهير هذه البلاد المقدسة من الأعداء أنفسهم الذين مقتهم العالم " : الإسلامي في مشارق الأرض و مغاربها بما إقترفوه من الآثام في هذه الديار المباركة 2

---

[147] فلادمير لوتسكي ,تاريخ الأقطار العربية الحديث , مرجع سلف ذكره ,ص 430

[148] أليكسي فاسليف, تاريخ العربية السعودية , مرجع سلف ذكره , ص 341

سنجعل الأمر في هذه البلاد المقدسة بعد هذا شورى بين المسلمين وقد أبرقنا للمسلمين كافة في سائر الأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لإنفاذ أحكام الله في هذه البلاد المطهرة 3 إن مصدر التشريع و الأحكام لا يكون إلا من كتاب الله ومما جاء عن رسول الله عليه الصلاة و السلام أو ما أقره علماء الإسلام الأعلام بطريق القياس" [149] و بذلك اتخذ الغزو السعودي للحجاز شكلا دينيا فالإخوان قد استجابوا لدعوة أميرهم لتطهير العتبات المقدسة من الحجازيين الغير وهابيين –وكل من خالف الوهابيين فهو عندهم مشرك-ولكن الغريب أن هذا التطهير أو هذا الجهاد الديني تم بدعم انقليزي فكيف أمكن لهذا الأمير الوهابي الحامل للواء الدين أن يتحالف مع هذا البلد المشرك؟ قد يعد ذلك غريبا من وجهة النظر الدينية الصرفة ولكن إذا نظرنا إلى الأمور بمنظور موازين القوى أي من وجهة النظر السياسية وجدنا أن التدخل البريطاني في الخليج العربي تعزز بشكل واضح وأن بريطانيا قادرة على حماية الدولة السعودية الناشئة لذلك قرر عبد العزيز آل سعود أن يتعاون مع الدولة البريطانية لتقدم له الحمـــــــاية على الأقل في بـــــداية تأسيـــس دولتـــــــــــــه . بعد أن ألحق عبد العزيز آل سعود الحجاز بممتلكاته وأصبح ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاته وترسخت دولته واعترفت بها عدة دول بدأ خطر داخلي يهدده خطر الإخوان الذين ساعدوه في توسيع ملكه .فكيف يمكن أن يشكل الإخوان خطرا على أميرهم وطاعة الأمير والإمام عندهم تعد ركنا هاما في عقيدتهم ؟ وفيهم ينطبق قول أحمد بن "إن طاعة الأئمة من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله و إن عبد ربه في العقد الفريد الحاكم هو الراعي والشعب هو الرعية وإن إماما عادلا خير من مطر وابل وإماما غشوما

---

[149] أليكسي فاسليف, المرجع السابق , ص 343

إن الإخوان لم يستطيعوا أن يتقيدوا بهذا المبدأ لوقت طويل فنازعوا خير من فتنة تدوم " [150] عبد العزيز آل سعود الذي بدأ يجد صعوبة في التعامل معهم خاصة بعدما أتوه في الحجاز إذ هدموا القباب وأزالوا الشاهد المقام عند موضع الرسول عليه الصلاة والسلام وهدموا منزلي خديجة و أبي بكر بدعوة تطهير الحجاز من البدع لذلك حرص عبد العزيز آل سعود على عدم إعطاء قادة الإخوان أي مناصب إدارية هامة في الحجاز بل حظر رسميا على الإخوان حمل السلاح في مكة. فقد كان "عبد العزيز يخشى تعدي الإخوان على الحجاج المسلمين و بالفعل فقد ضربوا عددا من الحجاج مما أثار احتجاج القناصل الأجانب وحاولوا قتل عدد من فقد اعتبر الإخوان التعامل مع الأجانب المسلمين العاملين في القنصليات الأجنبية " [151] ضربا من الشرك لذلك لم يغفروا لعبد العزيز تعاونه مع الانقليز كذلك لم يتقبلوا سياسته في الحجاز وأشهر مثال على ذلك هو التالي فحين حضر المصريون موسم الحج صيف 1926 بمحمل تصحبه الموسيقى اعتبر الإخوان ذلك ضربا من الزندقة فهموا بمنع المحمل من التقدم فأطلق عليهم ضابط مصري مرافق للمحمل الرصاص فقتل عددا من الإخوان لكن الملك عبد العزيز اكتفى بحجز الضابط ومنع المحمل من دخول مكة فظل الإخوان يلومونه لأنه لم يسلط عقوبة أشد على المصريين الذين اعتبروهم مشركين و من هنا بدأت العلاقة بين الملك عبد العزيز والإخوان تسوء بالرغم من أن الملك سعى قدر المستطاع إلى التقيد بالمذهب الوهابي "تطبيق ما يدعو إليه المذهب الوهابي بصرامة وذلك لغرضين أولهما : كسب فأعلن ضرورة

---

[150] أحمد بن عبد ربه, العقد الفريد, الجزء 1, بيروت, منشورات الرسالة, 1979, ص5

[151] أليكسي فاسليف ,تاريخ العربية السعودية ,مرجع سلف ذكره ,ص 354

رضا الإخوان وثانيهما تعزيز هيبته وسلطته فإن المنقطع عن الصلاة يعاقب بالحبس مدة تتراوح بين 24 ساعة إلى عشرة أيام وبغرامـــــة ومن يتعاطى الخمر يحبس لمدة شهر ويدفع غرامة وإذا ما عاودها فيحبس لمدة قد تصل إلى سنتين والعقاب الصارم يطال كل من يصنع كان عبد العزيز آل سعود يقيم اعتبارا كبيرا للإخوان " الخمر أو يبيعها وقد حظر التدخين [152] ويحذر من تألب التعصب الوهابي عليه فهو وقد تولى الحكم لم يعد يتقيد بالأسس الوهابية بل ربما وجد فيها كما وجد مستشاروه وبعض الأوروبيين غلوا في التعصب لكنه مع ذلك عمل على إظهار حرصه على نقاء الدين وعمل على أن يخلع على نفسه صفة الملك بالمفهوم الوهابي فهو ظل الله في الأرض وخليفته لذلك أقام مملكة ذات طابع إقطاعي ومركزية وإسلامية. لكن هذا التقيد بالمبادئ الوهابية طبقه الملك عبد العزيز على المستوى السياسي فحسب أما من نواح أخرى فإنه قد ألغى بعض المحظورات الوهابية وتحلل من بعضها من ذلك تعامله مع الانكليز وغيرهم من "المشركين" واستقباله لسفراء البلدان الأجنبية في مملكته كذلك محاولته تحديث دولته من خلال إدخال بعض المعدات الحديثة –بمعيار ذلك الوقت- ورغم معارضة الإخوان في بادئ الأمر فالملك عبد العزيز كان .كالهاتف والسيارة والراديو يرحب بتحديث المملكة إداريا واقتصاديا لكنه يرفض التحديث على المستوى الاجتماعي السياسي ويتمسك بنظام إقطاعي وسلطة سياسية مطلقة لذلك اصطدم النـــــظام السعودي بحركة الإخوان التي تقوم أساسا على مبدأ الأخوة والتعاون بين الإخوان وتنادي بالمســـــاواة والديمقراطية وتغلب عليها السمات التعادلية. كانت تصرفات الإخوان تبدو للوافدين الاروبيين وللمتعلمين من مستشاري الملك نوعا من الغلو في التعصب وحتى الوحشية غير أنها مع ذلك

---

[152] أليكسي فاسليف ,تاريخ العربية السعودية,مرجع سلف ذكره ,ص255

كانت تنم عن ســـعي الجماهير الواسعة من عرب الجزيرة إلى الحياة البسيطة التي دعت إليها الوهابية وتمسكت الجمـــــاهير بالدعوة إلى المساواة التي تضمنتها الوهابية وحاولت تحقيق مثلها عمليا وفق ما ترتئيه وقد اصطدمت طموحات الإخوان وممارستهم بالمصالح الفعلية لعلية الإقطاعيين" [153] فتفكير الإخوان من جهة ما يبدو أكثر تقدمية من تفكير الملك عبد العزيز آل سعود . ومن هنا بدأت الصدامات بين الإخوان ونـــظام آل سعود الآخذ بنظرة حديثة إلى الأشياء على المستوى الاقتصادي ونظرة موغلة في التقليدية من الناحية الاجتماعية والسياسية" ولقد بلغ الأمر بين عبد العزيز آل سعود والإخوان حد التأزم فأعلن الإخـــوان الانتفاضة على الملك وزعموا أن العاهل السعودي لم يعد حامي الدين بل يؤثر مصالحه الشخصية على الإسلام ويتعاون مع الانكليز "الكفار" وأعلن قادة الإخوان أنفسهم حماة الدين الجدد ووجهوا التهم إلى الملك عبد العزيز آل سعود في الاجتماع العام الذي عقده زعماء الإخوان في نوفمبر –ديسمبر 1926 وهذه التهم هي التالية :"1-سفرة ابنه سعود إلى مصر (اثر حادث المحمل) 2-سفرة ابنه فيصل إلى لندن (سنة 1926 للتفاوض مع الانكليز) الأمر الذي يعني التعاون مع بلد الشرك 3- استخدام التلغراف و التلفون والسيارة في أراضي إسلامية وكانت هذه النقطة خليطا من الاحتجاج الشعبي على تعزيز السلطة المركزية والعصبية البدوية 4- فرض رسوم جمركية على مسلمي نجد وكان هذا في الواقع احتجاجا على تشديد استغلال السكان عن طريق الضرائب التي تجبى مركزيا. 5-منح قبائل الأردن والعراق حق الرعي في أراضي المسلمين وهذا انعكاس للصراع بين القبائل في سبيل

---

[153] أليكسي فاسلسف ,تاريخ العربية السعودية,مرجع سلف ذكره ,ص 356

الحصول على المراعي 6-حظر المتاجرة مع الكويت فلو كان سكان الكويت كفارا فان على عبد العزيز إعلان الجهاد ضدهم وان كانوا مسلمين فلا يجدر به الوقوف ضد المتاجرة معهم 7-التسامح مع الروافض (الشيعة) – والوهابيون يعتبرون الشيعة غير مسلمين –في الأحساء [154] وقد حاول " والقطيف فقد أراد الإخوان لعبد العزيز إما إن يهديهم إلى الإسلام أو يقتلهم عبد العزيز آل سعود بطرقه الدبلوماسية الحد من الخلاف من خلال الاجتماع بالإخوان ومحاولة الوصول إلى حل وسط من خلال النظر في مطالبهم ورغم حذر عبد العزيز آل سعود "ولم يعد ابن سعود مسيطرا على فان الإخوان أعلنوا الانتفاضة عليه صراحة سنة 1927 الوضع سيطرة تامة فقد اغتر الإخوان اثر انتصاراتهم في الحجاز بقوتهم وزعموا أن سيوفهم هي التي أعلت كلمة ابن سعود وأدرك الإخوان أنهم عماد جيش الملك الذي لم يكن لديه قوات نظامية ليضبطهم وكانت الانتفاضة الصريحة ضد ابن سعود صعبة فهو الإمام ويخطى بتعاطف أهل نجد ولكنهم اعتبروا أن من الواجب المقدس محاربة الشيعة العراقيين لأنهم خوارج ولكونهم تحت حماية الانكليز وأتهم ابن سعود بالتسامح في الدين ورفض محاربة لسائل أن يسأل هنا هل أن الاتحاد بين الايدولوجيا الوهابية والايدولوجيا أعداء الله " [155] السعودية أصبح عديم الجدوى بعد أن بنيت على أساسه الدولة السعودية الأولى

---

[154] أليكسي فاسليف ,تاريخ العربية السعودية ,مرجع سلف ذكره,ص 358-359

[155] أليكسي فاسليف ,المرجع السابق ,ص 326

وعلى أساس منه بعثت الدولة السعودية الثالثة مطلع القرن العشرين أم أن الملك عبد العزيز أصبح هو أيضا يرى في الايدولوجيا الوهابية حركة رجعية موغلة في التعصب ولم يعد قادرا على مجاراتها خاصة بالشكل الجديد الذي اتخذته ؟

إن الملك عبد العزيز آل سعود أراد في الواقع أن يجمع بين متناقضين أراد أن يخلع على نفسه صفة أمير المؤمنين والسلطان الحامي لحمى الدين ترسيخا لدولته الإقطاعية المركزية ذات الصبغة الدينية وأراد في الآن نفسه أن يكسر العزلة المضروبة على نجد والحجاز وأن ينفتح على العالم الخارجي من خلال إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع البلدان الأخرى بغض النظر عن انتماءاتها الدينية كما أراد أن تستفيد دولته من منجزات الحداثة في مظاهرها الاقتصادية والتقنية باستثناء المظهر السياسي ولم يفهم الإخوان أو لعلهم لم يقبلوا تفكير عبد العزيز آل سعود السياسي الذي لم يكن ارتباطه بالدعوة الوهابية ارتباطا دينيا بل كان ارتباطا سياسيا الغرض منه تدعيم الملكية المطلقة وترسيخ الحكم الاتوقراطي ونبذ الأنظمة اللائكية التي بدأت تظهرفي العالم العربي كالقومية التي عزف عبد العزيز آل سعود –العروبي الإسلامي- بعدائه لها فالقومية العربية تقوم على فكرة الأخوة العربية بدل الأخوة الإسلامية وعلى العكس من ذلك نجد عبد العزيز آل سعود يعتبر الإسلام دينا وجنسية وقد عبر عن ذلك "حياة المسلم المؤمن أحد الصحفيين السعوديين في مقال بعنوان " فلتسقط القومية العربية بقوله تقوم على الأخوة الإسلامية بعيدا عن القوميات والعصبيات والنعرات.تحيا أمة الإسلام وتسقط القومية العربية. " [156] يمكن إذن اعتبار تفكير عبد العزيز آل سعود أفضل نموذج للتيار

---

[156] هشام علي حافظ ,جريدة الشرق الأوسط,مقال فلتسقط القومية العربية عدد بتاريخ 1980/4/1 ص 5

العروبي الإسلامي على المستوى السياسي حتى وإن بدا أن عبد العزيز آل سعود بدأ يتحلل من بعض المبادئ الوهابية مما سبب اصطدامه بالإخوان فكأن لسان حاله يقول إن الوهابية نفسها في حاجة إلى التجديد بعد أن رسخ قواعد مملكته .لكن الإخوان قرروا إسقاط النظام السعودي ووضعوا خططا لاقتسام ممتلكات آل سعود وذلك بقيادة فيصل الدويش [157] وانقسمت نجد بين مؤيد للملك وهؤلاء هم سكان حواضر وواحات نجد ومؤيد للإخـــــــوان وأغلب هؤلاء من البدو وبدأت بذلك حرب أهلية بين الإخوان وحضر نجد ورغم بسالة الإخوان والدمار الذي ألحقوه بالجزيرة بقيادة فيصل الدويش فإن عبد العزيز آل سعود تمكن في نهاية الأمر من قمع هذه الحركة بمساعدة الانقليز وظل فيصل الدويش ثابتا على موقفه من الأمير السعودي يرفض "ومات وهو يقسم بمحاسبة عبد العزيز في يوم القيامة . وفي الاعتراف بأنه ارتكب معصية 1930 انتهت انتفاضة الإخوان عمليا وبذا انهزمت وتلاشت حركتهم التي لعبت دورا هاما في تعزيز سلطة عبد العزيز آل سعود وغزواته وتوقفت حتى عملية تحضر البدو وانتقالهم إلى الزراعة وكانت للدولة الإقطاعية المركزية الغلبة على الحركة الشعبية للبدو الذين قاوموا [158] بشكل غريزي تشديد الاضطهاد ووقفوا ضد التطلعات الإقطاعية الانفصالية لزعمائهم "

ومن هنا يتبين لنا أن عبد العزيز آل سعود استعمل الدين لترسيخ شرعية ملكه وبذلك أصبحت الايدولوجيا الوهابية ذات وجهين وجه شعبي وآخر إقطاعي أي وهابية شعبية تبناها الإخوان في القرن العشرين ودافعوا عنها ووهابية إقطاعية تبنتها الطبقة الحاكمة التي لم تعد وفية

---

[157] فيصل الدويش : أحد أهم قيادي الإخوان في القرن العشرين دخل في صراع مرير مع عبد العزيز آل سعود, اعتبر نفسه الممثل الحقيقي للوهابية(أليكسي فاسليف, تاريخ العربية السعودية,مرجع سلف ذكره, ص 263)

[158] أليكسي فاسليف ,تاريخ العربية السعودية,مرجع سلف ذكره,ص 369-370

للوهابية التأسيسية بل أدخلت عليها عددا من التحويرات وخرجت عن بعض مبادئها لتجعلها خادمة للمصالح السياسية للطبقة الإقطاعية الحاكمة وبقضاء الملك عبد العزيز آل سعود على حركة الإخوان تمكن من فرض الايدولوجيا الوهابية السعودية الجديدة,وإن كانت نواة الحركة الحاكمة الوهابية واحدة فإن كل واحد أصبح يفسرها بما يخدم مصالحه "وقد استعملت الطبقات الدين لمصلحتها واتخذته قناعا لسياستها ومصدرا لشرعيتها ووسيلة من وسائل القمع ".[159] لذلك قضى عبد العزيز آل سعود على حركة الإخوان التي ساهمت في تعزيز سلطته والتي حاولت فرض الوهابية كما تفهمها الطبقات الشعبية فهل هذا إنكار للحركة الأصولية التي بنيت عليها المملكة العربية السعودية وارتبطت بها منذ القرن الثامن عشر أم أن السعوديين ألبسوا هذه الحركة الســـــلفية ثوبا يتماشى مع العصر؟لا يمكن أن نقر بأن آل سعود أنكروا الحركة الوهابية التي أصبحت اليوم تعرف بالسلفية لأن المملكة العربية السعودية قامت ولازالت قائمة على الحركة الوهابية فهذه المملكة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس ديني و لا يمكن أن ينجح فيها إلا التيار العروبي الإسلامي لأن الوحدة لا يمكن أن تتحقق فيها إلا على أساس ديني تماما كما هي الحال في المغرب الأقصى حين تبنت العائلة العلوية الايدولوجيا الوهابية الســـــــعودية أو ما يعرف بالحركة "السلفية الجديدة" لكن هذا التمسك بالدعوة الوهابية لم يمنع آل سعود من إدخال بعض التغيير والتحديث على هذه الدعوة بشكل يخدم مصالحهم السياســـية وذلك بالخروج عن بعض المبادئ الوهابية التأسيسية التي بدأالسعوديون يرون فيها غلوا .هذا الإنزياح النسبي عن الوهابية التأسيسية مكن آل سعود من الإبقاء على دولتهم لكنه

---

[159] حليم بركات ,المجتمع العربي المعاصر بحث إستطلاعي إجتماعي ,بيروت,مركز دراسات الوحدة العربية,1984,ص241

قوى من ناحية أخرى العناصر المناوئة للحكم السعودي خاصة في الآونة الأخيرة حيث أدانت هذه العناصر بشدة التعاون السعودي البريطاني الأمريكي بل إن الهجمات المسلحة على المملكة العربية العربية السعودية من قبل عدد من السعوديين أنفسهم أو ما يسمى اليوم بالهجمات الإرهابية تعبر عن رفض السياسة السعودية ورفض الوهابية بشكلها الجديد وتعبر عن محاولة للإطاحة بها لإحلال الوهابية القديمة محلها.بل لقد أظهر آل سعود عجزهم في "وفوق ذلك عن حماية نظامهم على الرغم من الوقت الراهن عن ضمان أمن الجزيرة العربية مليارات الدولارات التي أنفقوها لشراء الأسلحة الأكثر تطورا وكانت فضيحة وجود أكثر من نصف مليون كافر على أقل من ألف كلم عن الكعبة تبدو كأنها تضع على المشرحة أساس سلطانهم وكان التوتر بين الدينيين الذين ينادون بالعودة إلى العقيدة الوهابية الصارمة....وبين المحدثين الذين يدعون إلى الإصلاح يتهدد المجتمع بالانفجار ". [160]

[160] جان فرنسوا نودينو,21 دولة لأمة عربية واحدة ؟ بيروت,بيسان للنشر والتوزيع,1993,ص165

القسم الثانـي:

السلفيـة الجديدة في مرّاكش

الفصل الأول:

الثلث الأول من القرن العشرين في أروبا و بلاد المغرب عامة ومرّاكش خاصة

رغم التباعد الجغرافي بين المشرق و المغرب العربيين فان التأثير و التأثر كانا موجدين على المستوى الثقافي والسياسي ورغم الاختلاف النسبي في البنى الاجتماعية و الخصوصيات المحلية فقد لقيت الدعوة الوهابية ذات الخصوصية المشرقية السعودية صدى كبيرا في المغرب الأقصى لا في القرن العشرين فحسب ولكن كذلك في بدايات القرن التاسع عشر[161] و وقع تبنيها إيديولوجيا للعرش العلوي المراكشي.

قبل دراسة مضامين هذه السلفية المراكشية رأينا أن نقدم لها بدراسة الأوضاع التي مرت بها بلاد المغرب في الثلث الأول من القرن العشرين- زمن نشأة السلفية المراكشية – لأنّ الراغب في دراسة أوضاع قطر من أقطار بلاد المغرب لا يتسنى له ذلك إلا متى ألـمّ بأوضاع بقية الأقطار المغربية لان هذه الأقطار مترابطة ترابطا كبيرا سواء تاريخيا أو اجتماعيا أو سياسيا. وقد لعبت أروبا وبالتحديد فرنسا واسبانيا وايطاليا دورا كبيرا في تاريخ هذه الأقطار خاصة في الثلث الأول من القرن العشرين نظرا إلى ارتباط بلاد المغرب بهذه الدول الأوربية بعلاقات استعمارية. لذلك سندرس الأوضاع التي مرت بها اروبا في الثلث الأول من القرن العشرين.

ساهم ضعف الدولة العثمانية في تعاظم القوة الأوربية التي بدأت تشكل خطرا كبيرا على بعض القوى العالمية المتراجعة وقد ساعدت الثورة الصناعية الثانية في تدعيم مكانة الدول الأوربية التي تمكنت منذ أواسط القرن التاسع عشر من مزيد الرفع من عدد مستعمراتها ومن خلال اتفاقياتها ومعاهداتها اقتسمت هذه الدول الأوربية المهيمنة بقية دول العالم ومنها بلدان شمال إفريقيا وقد كانت الجزائر أول بلاد المغرب خضوعا للاستعمار الفرنسي سنة 1830 ،

---

[161] انظر الملحق عدد1

وتكبّد الجزائريون ويلات هذا الاستعمار الذي أراد المعمرون الفرنسيون أن يحولوه إلى استيطان دائم لأنهم يعتبرون الجزائر امتدادًا لفرنسا.

انطلاقا من ذلك مارس الفرنسيون في الجزائر سياسة استعمارية تعسفية قوامها إقصاء الأهالي ومنح المعمرين الامتيازات مما ألّب المقاومة الشعبية ضد الوجود الفرنسي بزعامة الأمير عبد القادر.[162]

وتعتبر حركة الأمير عبد القادر حركة المقاومة الأولى في الجزائر وقد " كون جبهة قومية متّحدة أمام العدو فبعث بذلك في نفوس الجزائريين شعورا بروح وطنية و عربية طالما أخمدها الاضطهاد القبلي"[163] وقد تواصلت المقاومة الجزائرية لكنها لم تتمكن من القضاء على الاحتلال الفرنسي الشيء الذي تدعم في الجزائر وحوّل وجهة الحركة التحريرية من المطالبة بالاستقلال إلى المطالبة بالمساواة : المساواة بين الفرنسيين المعمرين و الجزائريين. فلم يجد الشعب الجزائري الذي عانى من الاستعباد الفرنسي و من سلب حقوقه سبيلا سوى التعلق بأهداب المساواة التي لوّح بها إمبراطور فرنسا نابليون الثالث لكن مع انهيار الإمبراطورية و بداية حكم

---

[162] الأمير عبد القادر الجزائري :الأمير عبد القادر ناصر الدين هو ابن الأمير محي الدين الحسيني يتصل نسبه بالإمام علي بن أبي طالب ، ولد في ماي عام 1807 بقرية القيطنة ويعتبر الأمير عبد القادر قائدا عسكريا وسياسيا تربطه صلة الشبه بالإمام محمد عبده و السيد جمال الدين الأفغاني مع الفارق الكبير الذي امتاز به الأمير وهو حمله راية الثورة التحريرية زهاء السبعة عشر عاما و الأمير عبد القادر من قادة الفكر وأبطال التاريخ (يحي بوعزيز ، الأمير عبد القادر الجزائري رائد الكفاح الجزائري ، تونس ، الدار العربية الكتاب ،1983،ص 36).

[163] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مراكش ، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال مطبعة الرسالة،1948 ، ص37

الجمهورية الثالثة في فرنسا لم تعد حتى المساواة ممكنة و بذلك ألغيت الشخصية الجزائرية ورغم تواصل المقاومة الجزائرية فان القمع الفرنسي كان اعنف ذلك أن الجزائر كانت تحتل "من أول الأمر مكانة ممتازة بين الممتلكات الفرنسية وكم احتد الجدال و احتدمت المناقشات في ما إذا كانت مستعمرة أم تعتبر مجرد امتداد لفرنسا" [164]. لكن المعمرين الفرنسيين رغم اعتبارهم الجزائر جزءا من فرنسا فإنهم كانوا يعتبرون الجزائريين مواطنين من الدرجة الثانية ليس لهم أي حقوق أو امتيازات " فالأهالي قاصرون " خلقة و لا يمكن أن يساسوا إلا بطريقة الشدة و لا تنفذ المبادئ الديمقراطية الى عقولهم و لا يستطيعون تطبيقها لأنّ مجتمعاتهم لا تعرف غير أحد الأمرين أما النظام الإقطاعي وأما الفوضى" [165] وكأنّ مبادئ التنوير التي نادى بها فلاسفة الأنوار خاصة بفرنسا وحدها و ليست مبادئ إنسانية عامة و من المفارقات أن واضعي هذه المبادئ و المروجين لها هم منتهكوها بامتياز من خلال سياستهم الاستعمارية التي انتهكت كل حقوق الإنسان و نكّلت بالأهالي الذين لم تُجد انتفاضتهم التي قمعها الفرنسيون بكل شدة و قد زاد الفرنسيون في التّنكيل بالأهالي بمنح اليهود الجزائريين الجنسية الفرنسية لتكثير سواد الفرنسيين في الأراضي الجزائرية فتحول الجزائريون من المطالبة باسترداد وطنهم و الاستقلال إلى المطالبة بالمساواة لذلك لم تظهر الحركة الوطنية الجزائرية إلا بعد قرن من الاستعمار و لم يظهر طيلة الثلث الأول من القرن العشرين العمل السياسي و لم تكن الانتفاضات التي قام بها الأهالي سوى ردود فعل عشوائية تجاه السياسة الاستعمارية " الاحتلال بقرن تقريبا و لم تكن الظروف مواتية فالوطنية لم تظهر في الجزائر إلا مؤخرا بعد لها مثل ما كانت مواتية في تونس و المغرب الأقصى فالمجتمع في الجزائر كان مشتتا منذ

---

[164] شارل أندري جوليان ، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية ، تونس الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر، 1976، ص42

[165] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص44

قانون 1863 وقانون 1873 اللذين كما قال "جون كامبون" خضدا شوكة العشائر " [166] بالإضافة إلى هذا التشتت الاجتماعي فقد وجد الفرنسيون في الجزائر و بلاد المغرب عامة ظاهرة اجتماعية ملائمة أجادوا استغلالها و هي ظاهرة " المرابطون " و الطرق و ما يعنيه ذلك من تكريس للفكر الخرافي و لعبادة الأولياء و البدع و إضعاف للدين الإسلامي الحق و قد عُرف المرابطون عموما بولائهم للسلط الفرنسية خاصة المرابطون الكبار لذلك شن عدد من علماء الدين الإصلاحيين حملة على هؤلاء المرابطين الذين قال فيهم أحد العلماء" المرابطون حيوانات الاستعمار الدجنة فهم اليد التي تنفذ الأوامر المشؤومة و الجسر الذي يفتح له الطريق و و ما انفكوا يناقضون الله في ظهورهم بمظهر الأنفة أمام الشعب و العبودية إزاء المستعمرين الرؤساء الإداريين الطغاة " [167] و قد قام العلماء ببث الوعي الديني في الجزائر من خلال إحيائهم حقيقة الإسلام و قد كان للعلماء دور كبير في إيقاظ الرأي العام الجزائري و قد شبه المستشرق شارل أندري جوليان العلماء الجزائريين بالوهابيين في رفضهم للبدع و اعتمادهم القرآن والسنة دون سواهما و يرجع هذا الشبه إلى الصرامة التي عُرف بها العلماء في الدين لكنه يُقرّ باختلافهم عن الوهابيين في المذهب و طرائق العمل و لعلّ العلماء الجزائريين قد تأثروا أكثر بالسلفية الجديدة التي ظهرت عند محمد عبده [168] و رشيد رضا [169] بالإضافة إلى

---

[166] شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص56

[167] شارل اندي جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية ، مرجع سلف ذكره ، ص 126

[168] محمد عبده (1849-1905) أبوه تركماني و أمه عربية نشأ في بيئة فلاحيه تعلم بالأزهر كان عزمه إصلاح العقيدة و المؤسسات الإسلامية كالأزهر فقد كان مصلحا دينيا و مصلحا اجتماعيا مذهبه السياسي هو تنبيه الرأي العام حتى

تأثرهم بالأمير الدرزي شكيب أرسلان [170] و بالدستوريين في تونس و بالأخص عبد العزيز الثعالبي[171]. و قد عمل العلماء الجزائريون على تأسيس جمعية العلماء الجزائريين سنة (1931) و يُعتبر الشيخ عبد الحميد باديس [172] أبرز أعلام هذه الجمعية و أبرز المؤسسين لهذه الحركة السلفية التي قامت عليها جمعية العلماء الجزائريين التي لقيت صدى كبيرا في كل بلاد المغرب حيث اتخذت منبرا للإصلاح الديني " و كان لها اثر فعال في تنوير الرأي العام

يميز ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب و ما للشعب من حق العدالة على الحكومة و أن الحاكم من البشر يخطئ و يصيب (احمد أمين زعماء الإصلاح، مرجع سلف ذكره،ص 357)

[169] محمد رشيد رضا (1865-1935) محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل الحسيني النسب صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتاب العلماء بالحديث و الأدب و التاريخ و التفسير و لد و نشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) ثم رحل إلى مصر فاتصل بالشيخ محمد عبده وتتلمذ له وأصدر مجلة المنار لبث أرائه في الإصلاح الديني و الاجتماعي (خير الدين الزر كلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين ،مرجع سلف ذكره ،صص 149-150)

[170] شكيب أرسلان (1871-1946) أديب و سياسي لبناني من أعلام النهضة العربية ولد في الشويفات من مؤلفاته " الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية (المنجد في اللغة و الأعلام مرجع سلف ذكره، ص 37)

[171] عبد العزيز الثعالبي (1874 -1944) أديب تونسي جزائري الأصل صحافي و خطيب من زعماء الحركة الوطنية و من المناضلين لتحرير بلاده من الاستعمار رئيس حزب الدستور اعتقل عدة مرات غادر تونس الى البلاد العربية من سنة 1923 الى سنة 1937 حيث عاد الى تونس و اعتزل السياسة (المنجد في اللغة و الأعلام مرجع سلف ذكره ، ص191)

[172] عبد الحميد باديس:(1889-1940): عالم جزائري من رواد الإصلاح و النهضة الأدبية و من كبار المجاهدين في سبيل استقلال بلاده ولد في قسنطينة أتم دراسته في جامعة الزيتونة بتونس اصدر مجلة الشهاب منبر الأفكار الإصلاحية الاجتماعية و مبادئه الاستقلالية وتعليمه الديني يعتبر رائد الفكر الإسلامي المعاصر في الجزائر (المنجد في اللغة و الأعلام مرجع سلف ذكره، ص5)

الإسلامي بالجزائر و نشر الثقافة العربية في سائر الأوساط زيادة على بعثها للوعي العربي في نفوس ثلة من أنصارها العديدين "[173] لم ترم هذه الجمعية إلى العمل السياسي بصفة مباشرة إنما كان هدفها المباشر" تطهير العقيدة الإسلامية في الجزائر من الخرافات و إحياء اللغة العربية في البلاد و تقوية الشعور بالشخصية العربية في الجزائر" [174] لكن هذه الغايات تعارضت مع السياسة الفرنسية التي كانت ترمي إلى القضاء على الشخصية الجزائرية و على الإسلام لذلك اعتبر الفرنسيون أن عمل هذه الجمعية هو ضرب من السياسة و عملوا على حلّها. فهذه الجمعية رغم صبغتها الدينية فان غاياتها سياسية و إن لم تنخرط في العمل السياسي المهيكل ورغم ذلك فإنها لعبت دورا كبيرا في بث الوعي الديني و القومي في الجزائريين و في العمل على بعث الشخصية الجزائرية كذلك طالبت الجمعية و خاصة الشيخ عبد الحميد بن باديس باستقلال الجزائر عن الحكم الفرنسي و من هنا بدأت تتكون الحركة الوطنية الجزائرية من خلال انتقالها من مجرد المطالبة بالمساواة إلى المطالبة بالاستقلال فقد عملت هذه الجمعية على بث الوعي لدى الجزائريين باختلاف وطنهم عن فرنسا و بوحدته و خصوصيته الدينية و الحضارية. و قد قامت هذه الجمعية بدور نشيط من خلال نشرياتها و مجلاتها كمجلة الشهاب كذلك توسع تأثيرها من خلال فروعها المنبثة في كامل الجزائر و دعاتها الذين عملوا على نشر السلفية و الوطنية فكانت هذه الجمعية بذلك أهم حركة وطنية في داخل البلاد أما على الصعيد الخارجي فقد مثلت جمعية " نجم شمال إفريقيا " التي أسسها جملة من الطلبة المغاربة في باريس سنة 1926 وجها من وجوه اتحاد النضال بين شعوب المغرب العربي و هذه الجمعية هي "عبارة عن هيئة إغاثة للمغاربة ثم أصبحت في مارس 1926 جمعية سياسية تعمل للدفاع

---

[173] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب، مصدر سلف ذكره، ص16

[174] علال الفاسي ، المرجع السابق، ص17

عن كيان المغرب العربي و تطالب بحقوقه وقد بذلت هذه الجمعية مجهودا كبيرا في تنظيم العمال المغاربة بفرنسا و تربيتهم تربية سياسية و اجتماعية على غرار الأحزاب السياسية الفرنسية " [175] و تميزت جمعية النجم باتجاهها الديني القومي " فعلى الصعيد الديني أعلنت الأخوة و الوحدة الإسلاميتين و على الصعيد القومي طالبت بالاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية و باستعمالها كذلك في التعليم و بالخصوص إحداث برلمان وطني منتخب انتخابا حرا مباشرا" [176] وقد قامت هذه الجمعية بدور كبير في دفع الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي و قد أسست منذ وقت مبكر لوعي بوحدة مصير بلاد المغرب و بضرورة اتحاد النضال في جبهة واحدة ضدّ الجمهورية الثالثة الفرنسية. لكن هل أن هذا الاختيار سيصمد أم أن التوجهات الفكرية السياسية للقادة ونزاعاتهم الشخصية ستتضارب مع مطالب الوحدة التي نادت بها شعوب المغرب العربي و أملتها الضرورات التاريخية و الجغرافية ؟

أمام هذا المد الثوري و أمام المطالب الجريئة التي نادت بها جمعية نجم شمال إفريقيا لم تجد فرنسا إلا اتهام هذه الجمعية بالشيوعية و بالعمل لصالح موسكو- الشيوعية- وصدر بذلك أمر يحلّ الجمعية بعدما نادت بمطالب جريئة في اجتماعها المنعقد في 22 ماي 1933 ذلك أنها طالبت بحرية الصحافة و الاجتماع و ببرلمان قومي جزائري منتخب وبجلاء جيوش الاحتلال عن الجزائر ومن أهم مطالبها المناداة باستقلال الجزائر ونزع الملكية عن المستعمرين. و قد تم حل هذه الجمعية فعليا اثر تحالف أحزاب الجبهة الشعبية الفرنسية

---

[175] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مصدر سلف ذكره، ص14

[176]) شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، مرجع سلف ذكره، ص 142

عليها وذلك في سنة 1937 و مع ذلك لا يمكننا إنكار الجهود التي قامت بها جمعية نجم الشمال الإفريقي في سبيل دفع الحركة الوطنية و تحقيق استقلال الجزائر فقد كانت منبرا وطنيا للجزائريين في الخارج و من داخل الجزائر عملت كذلك جمعية العلماء الجزائريين على تحقيق استقلال الجزائر ورغم اختلاف الجمعيتين في المنهج و المذهب فأنهما لم تختلفا غاية وقد مثلتا أهم مظاهر الحركة الوطنية في الجزائر خلال الثلث الأول من القرن العشرين.

لم تكن الأوضاع في تونس في الثلث الأول من القرن العشرين لتختلف عن أوضاع القطر الجزائري فقد لقي التونسيون المستعمر الفرنسي بنفس الضراوة و عبّر الشعب عن رفضه الاحتلال من خلال انتفاضاته العديدة في مختلف أرجاء البلاد التونسية. و بحكم الروابط التاريخية فقد كان المناخ الاجتماعي مشابها الى حدّ كبير لنظيره الجزائري، من ذلك كثرة الطرق الدينية و الزوايا و الأولياء الصالحين و ما يعنيه ذلك من ترسيخ للفكر الخرافي و للغيبيات و قد وُجدت في البلاد التونسية وفقا للإحصائيات التي قدمها شارل أندري جوليان في كتابه إفريقيا الشمالية تسير " 19 طريقة تمثلها 500 زاوية ينتمي إليهما ما يقرب من 300.000 من الإخوان زد على ذلك 40.000 من سلالة الأولياء و أتباعهم الذين يخدمون 178 زاوية طرقية و أخيرا 622 من قبور الصالحين المقدسة ، قد أثر مجموع ذلك التأثير البليغ خاصة على العناصر المحافظة و الشعبية من أعراب وعمال وقد حافظت الطرق على أتباع لها في الطبقات العليا حتى في القصر الملكي" [177] لذلك لم تُجّد الإصلاحات التي حاول القيام بها بعض المصلحين التونسيين.

---

[177] شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية للنشر، مرجع سلف ذكرهن ص 87

إضافة إلى ذلك فقد تميز الوضع الاجتماعي بالبلاد التونسية في مطلع القرن العشرين بتفاقم مظاهر البؤس و الفقر نتيجة سياسة التمييز و العنصرية التي انتهجتها السلط الاستعمارية التي انتهكت مبادئ فلسفة التنوير و لم تتوان عن تحقيق أهداف الاستعمار الاستغلالية فكرست بذلك سياسة ميز عنصري كانت نتيجتها بروز طبقتين في المجتمع التونسي: طبقة محظوظة مسيطرة تتمتع بكافة الامتيازات يمثلها المعمرون الفرنسيون بدرجة أولى وبدرجة ثانية تمثلها الجاليتان الايطالية و المالطية و اليهود التونسيون. أما الطبقة الثانية فهي في الحقيقة ثلاث طبقات و يمثل الطبقة الأولى العائلة المالكة أي البايات الذين جردتهم فرنسا من اغلب صلاحياتهم فخضعوا لإرادتها و أصبح وجودهم في البلاد صوريا رغم ما أبداه بعض البايات من مقاومة ومن مساندة للحركة الوطنية و الطبقة الثانية تمثل البورجوازية التونسية وهي تضم كبار الموظفين التونسيين الذين سحبت منهم فرنسا جميع صلاحياتهم بسيطرتها على الهياكل الإدارية و السياسية التونسية و تضم هذه الطبقة أيضا البورجوازية المتوسطة التي يمثلها الفلاحون و التجار الذين تضررت مصالحهم إبان انتصاب الحماية بتونس.

و تمثل الطبقة الثالثة السواد الأعظم من التونسيين من حضر وبدو. وقع عانى المجتمع التونسي على اختلاف مشاربه من سياسة الميز الاستعمارية التي تتجلى مثلا في السياسة التعليمية التي توخاها المعمرون في تونس فقد كانت الأولوية في التعليم لأبناء المعمرين و للجالية الاروبية بينما كان عدد التلاميذ التونسيين ضئيلا جدا بالنسبة الى عدد التلاميذ من أبناء المعمرين كذلك لم تعمل السلط الاستعمارية على إصلاح التعليم في المؤسسات التربوية التونسية كالزيتونة و الصادقية رغم مطالبة الأهالي بذلك و رغم تتالي إضرابات الطلبة كإضراب طلبة الزيتونة سنة 1910. ولم تكن الأوضاع الاقتصادية في تونس أفضل من الأوضاع الاجتماعية فسياسة الاستعمار الاستغلالية و سياسة الميز العنصري أثرت في القطاعين الفلاحي و التجاري فقد تضرر كبار التجار التونسيين جرّاء سيطرة الفرنسيين على التجارة الخارجية و

تجارة الجملة بل تضرر الحرفيون من منافسة البضائع المصنعة . كذلك عانى الفلاحون من السياسة الاستعمارية حيث اغتصبت أراضيهم و أصبحوا مجرد أجراء لدى المعمرين.

كانت السياسة الاستعمارية في تونس استنـزافية بقدر كبير حيث نهبت ثروات البلاد وجردتها من سيادتها. أما على المستوى السياسي فقد شهد الثلث الأول من القرن بداية انطلاق الحركة الوطنية التي أعلنت عن ميلادها من خلال تأسيس الجمعيات و إصدار الصحف لبعث الوعي و للتعريف بالقضية التونسية وقد بدأ هذا العمل الصحفي مع تخرج أول دفعة من تلاميذ الصادقية من أروبا و بإصدار جريدة "الحاضرة" التي لعبت دورا كبيرا في النضال الوطني وهي أول جريدة تونسية ناطقة بالعربية كذلك لعبت جمعية قدماء المدرسة الصادقية دورا هاما في دفع العمل الوطني لكن العمل السياسي الفعلي بدأ مع حركة الشباب التونسي التي ظهرت مع صدور أول عدد من جريدة "التونسي" و تتألف هذه الحركة من بعض رجال "الحاضرة" كما انضمّ إليها آخرون و أغلب أعضاء هذه الحركة من العاصمة من أبناء العائلات الميسورة التي أضر بها الاستعمار و تختلف ميولاتهم الفكرية التي يمكن أن نحصرها في ثلاثة اتجاهات:

- اتجاه متشيع لليبرالية الغربية المنبثقة عن فلسفة التنوير و يمثله حسن القلاتي [178] و عبد الجليل الزواش [179]

---

[178] حسن القلاتي (1880- 1966) ينحدر من عائلة جزائرية تلقى تعليمه بمعهد كارنو الفرنسي حيث تحصل علي الباكالوريا سنة 1898، انتسب إلى كلية الحقوق ثم انخرط في سلك المحاماة. اشتغل بالسياسة و شارك في النشاط الثقافي و الاجتماعي ساهم بعد الحرب العالمية الأولى في تأسيس الحزب الدستوري التونسي ولكنه لم يلبث أن انفصل عنه ليؤسس الحزب الإصلاحي سنة 1921 (عبد الكريم عزيز. نضال شعب أبي، مرجع سلف ذكره صص140-141)

- اتجاه متأثر بالحركة الإصلاحية الدينية التي ظهرت في المشرق العربي التي لا ترفض الأخذ عن الغرب لكن تنتقي ما يتلائم مع الشريعة الإسلامية و هو اتجاه ديني إصلاحي في جوهره لأنه يرى أن إصلاح المجتمع لا يتم إلا بالرجوع إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي و هو اتجاه سياسي في أهدافه و قد مثل هذا الاتجاه الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي تتلمذ على يد الشيخ الزيتوني محمد السنوسي [180] الذي تزعم الحركة الوطنية إبان الحماية.

- اتجاه معتدل و يمثله علي باشاحانبه [181] و هو آخذ بمبادئ الليبرالية الغربية و يحافظ على القيم الإسلامية و يؤكد على هوية تونس الإسلامية. و عموما فقد " تناغمت حركة الشباب التونسي مع محاولات الإصلاح التي ظهرت في العالم الإسلامي علي يدي جمال الدين الأفغاني و محمد عبده وغيرهما و قد كانت حركة فكرية سلمية تندد بالمشاريع الاستعمارية"[182]. لم تكن حركة الشباب التونسي حزبا سياسيا مهيكلا و منظما بل اقتصر عملها على الحملات الدعائية و على مناهضة الإجراءات التعسفية التي تتخذها السلط الاستعمارية " كانت الحركة سلمية

---

[179] عبد الجليل الزواش(1873-1947) ولد بتونس تلقى تعليمه بمعهد سان شارل (كارنو) تحول إلى فرنسا لدراسة الحقوق بجامعة باريس تحصل على الإجازة سنة 1900 فعاد إلى تونس و باشر المحاماة لمدة قصيرة ثم تفرغ للأعمال الخاصة عرف باعتداله و بميله للمحاججة القانونية و الحوار (عبد الكريم عزيز: مرجع سلف ذكره ص 141)

[180] محمد السنوسى (1850-1900) أديب و مؤرخ تونسي حرر جريدة "الرائد التونسي الرسمية" من كتبه "مجمع الدواوين التونسية" و "الرحلة الحجازية" (المنجد في اللغة و الإعلام، مرجع سلف ذكره، ص 311)

[181] علي باشاحانبه (1876-1918) أصله من عائلة تركية ولد بتونس درس بالزيتونة و بالمعهد الصادقي و أحرز على الدكتوراه في الحقوق من فرنسا. أسس المنتدى التونسي وجمعية قدماء الصادقية و جريدة التونسي توفي بمنفاه بتركيا(عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي مرجع سلف ذكره،ص 134)

[182] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي ، مرجع سلف ذكره، ص 134

إصلاحية تعمل على التعايش بين التونسيين و الفرنسيين في ظلّ نظام الحماية بشرط المساواة في المعاملة"[183] وقد تفاعلت هذه الحركة مع عدّة أحداث وطنية و عالمية وساندت التحركات الشعبية كأحداث الزلاج أيام 7 و8 نوفمبر 1911 و أحداث مقاطعة الترامواي سنة 1912 و رغم دورها الوطني الهام فإنها كانت نخبوية تضمّ الطبقة البرجوازية من أبناء العاصمة ونشاطها لم يتجاوز العاصمة "ولم تعمّر هذه الحركة طويلا فقد تم تفكيكها بنفي و إبعاد و سجن رجالها سنة 1912"[184] لكنها وفرت الأرضية السانحة لانطلاق تجارب سياسية اكبر و أهم إثر انتهاء الحرب العالمية الأولى التي هزت أحداثها أروبا و مستعمراتها" و أدخلت تحولا هاما في حياة الشعوب التي شاركت فيها من قريب أو من بعيد و أدت إلى تغييرات جذرية فظهرت " [185] رئيس Welsonلأول مرة المفاهيم الجديدة التي وقع الإعلان عنها مثل مبادئ ولسن الولايات المتحدة الأمريكية التي انضمت إلى الحرب مع دول الوفاق (و هي فرنسا و انقلترا) الإمبراطوريتين الاستعماريتين وانضمت إليهما فيما بعد ايطاليا وذلك لمحاربة دول ألمانيا و النمسا و بلغاريا و تركيا " [186] وقد تعلقت الشعوب المستعمرة بمبادئ و لسن خاصة بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها و مبدأ عدم حكم شعب ضد إرادته وقد كان ذلك دفعا للحركة الوطنية . لكن فرنسا التي سخرت مستعمراتها في هذه الحرب لم تعبأ بمبادئ و لسن و لم تف

---

[183] عبد الكريم عزيز ، نضال شعب أبي ، مرجع سلف ذكره ، ص 135

[184] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي ، مرجع سلف ذكره، ص 137

[185] (1856- 1924) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (1913-1921) اشترك بمعاهدة Welson ولسن(توماس) الصلح بفرنسا و أراد أن يركز السلام العالمي على نقاطه الأربعة عشر تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1919 (??????????????????????????????????????و الأعلام، مرجع سلف ذكره ، ص 612????المنجد في اللغة

[186] عبد الكريم عزيز نضال شعب أبي، مرجع سلف ذكره ، ص 174

بوعودها التي قطعتها لتونس و الجزائر و المغرب الأقصى اللتين ساندتها في حربها ظنا منهم أنها ستمنحهما الاستقلال، لكن في الحقيقة لم تكن هذه الوعود إلا لضمان ثورة دول شمال إفريقيا مع بقية الدول العربية التي تحرضها انقلترا ضد الخلافة العثمانية واستغلت فرنسا المغاربة اشد استغلال خاصة الجزائريين " وشارك الجنود التونسيون ببسالة في جميع المعارك الدامية حيث قتل منهم 10.723 أي ما يساوي 13% من مجموع الجنود التونسيين المساهمين في الحرب كما تحول عدد كبير من التونسيين للعمل بالمعامل و الحقول عوضا عن العمال و الفلاحين الفرنسيين المجندين"[187].

تعتبر الحرب العالمية الأولى منعرجا حاسما في تاريخ اروبا الحديث فقد كانت قادحا لعدة هزات و ثورات اجتماعية ففي " أكتوبر 1917 قامت الثورة البلشفية وثار الفلاحون على قياصرة روسيا و وُجدت فكرة حرب الطبقات التي تدعو إلى التناحر فيما بينها لاستعادة الطبقة الكادحة عمالا و فلاحين لحقوقهم من الأثرياء" [188] و قد تزامنت هذه الثورة مع إعلان مبادئ ولسن التي أيدها الاتحاد السوفياتي الذي قام بثورته التحريرية ضد الطبقة الارستقراطية، كذلك نادت بعض الدول الاروبية ومن بينها فرنسا بالمساواة و بتحرير الشعوب المضطهدة، وقد أعلنت فرنسا أن دخولها الحرب هو من اجل تحرير الشعوب المضطهدة لكن في الواقع كانت غايتها الظفر بمستعمرات الدولة العثمانية. و خلال الحرب العالمية الأولى و تحديدا سنة 1916 صوتت الدول الغربية بالإجماع على لائحة المنظمة العالمية لحقوق الإنسان لكن الغريب أن و خرقت هذه الدول الغربية التي أعلنت هذه المبادئ لم تلتزم بها في علاقتها بمستعمراتها

---

[187] أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956) تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص 426

[188] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، مرجع سلف ذكره، ص 174

المبادئ خرقا كبيرا. لكن رغم خيبات الشعوب المستعمرة و يأسها من وفاء فرنسا بوعودها فان الأحداث التي شهدها العالم خلال الحرب العالمية الأولى خلقت جوا تحرريا و بثت الوعي الوطني " و من اجل ذلك يمكن أن نعتبر أن فترة الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة في حياة الشعوب و منها الشعب التونسي الذي أصبحت لديه نخبة جديدة من المثقفين بدأوا يظهرون على الساحة السياسية و بعد التجارب التي مرت بها الحركة الوطنية التي بلغت مرحلة من النضج جعلت المفكرين ورواد الإصلاح يعملون على جمع شملهم في إطار حركة سياسية جديدة منظمة و لها نظرة شاملة الى الأوضاع و المتغيرات و برامج إستراتيجية مدروسة و أهداف محددة تتمثل في بعث حزب سياسي يعمل على تحقيق تلك الأهداف" [189] لذلك عمل جماعة حركة الشباب التونسي المنحلّة على لـمّ شملهم من جديد لتأسيس حزب سياسي على غرار الأحزاب السياسية الغربية فتم تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي على يد عبد العزيز الثعالبي و نخبة من المثقفين في 14 مارس 1920 و قد سمي بالدستور إشارة إلى دستور البلاد التونسية الذي وقع الإعلان عنه سنة 1861 و قد كان " معظم قادته – الحزب- نخبة بورجوازية مثقفة لم تفكر في أن يكون لها قاعدة شعبية لأنها قد تثير المشاكل مع السلطة و هي أيضا تستنكف من التعامل معها أو الجلوس إليها " [190] و قد يكون هذا من بين الأسباب التي أدت إلى انشقاق الحزب سنة 1933 فقادة الحزب الدستوري" محافظون إلى أقصى حدّ فلا يتصورون قيام نظام اجتماعي مختلف عن النظام الذي عاشوا في كنفه دوما و أبدا ولئن وافق الشعب التونسي بالإجماع على برنامج الحزب الدستوري موافقة تامة فإنّ القاعدة الأساسية لذلك الحزب تتركب من سكان المدن و من العناصر التقليدية بالبلاد كمدرسي و طلبة الجامع الأعظم و أرباب

---

[189] عبد الكريم عزيز، المرجع السابق ، ص 176

[190] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، مرجع سلف ذكره ، ص 179

العقارية و لا غرابة و الحالة تلك أن لا يميل الصناعات التقليدية و التجار و أصحاب الممتلكات قادة الحزب و أتباعه كل الميل الى الاصطدام و المواجهات العنيفة خلال مختلف مراحل الكفاح الوطني" [191]. بل أن بعض أعضاء الحزب نادوا بالمساواة في ظل الحماية و لم يطالبوا بالاستقلال وقد حدد الحزب برنامجه الذي أكد على ضرورة المساواة بين التونسيين و الفرنسيين و الإدارة و طالب هذا البرنامج بمجالس منتخبة في الحقوق و المسؤوليات و في الحكم موزعة بالتساوي بين الفرنسيين و التونسيين. هذا و قد تركز نشاط الحزب على التعريف و قد ساند محمد الناصر باي [192] بالمطالب التونسية لدي السلط الفرنسية و لدى الباي ، الحزب الدستوري التونسي و المطالب الوطنية بعد استقباله لوفد الحزب في أفريل 1922 لكنه تنازل عن هذه المساندة تحت ضغط المقيم العام الفرنسي لوسيان سان Lucien Saint [193] ومع ذلك تواصل عمل الحزب الدستوري وحاول الحزب أن يبعث له فروعا داخل البلاد لكن ذلك لم يجعله حزبا شعبيا فقد حافظ قادته على موقفهم المحافظ إلى حدود الثلاثينات حيث بدأت تبرز

---

[191] احمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر، مرجع سلف ذكره، صص505-506

[192] محمد الناصر باي: (1855-1822) هو ابن محمد الصادق باي الذي اصدر عهد الأمان سنة 1857، ولد بالمرسي سنة 1855 في عهد أنشئت الحالة المدنية بالبلاد التونسية سنة 1908 تميز عهده بظهور حركة الشباب التونسي و تأسيس الحزب الحر الدستوري كان متعاطفا مع الحركة الوطنية (نور الدين الدقي ، تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1998، ص186)

[193] لوسيان Lucien Saint (1867-1938)) بجهة النورماندي مجاز في الحقوق. اشتغل Evreux (ولد بافرو بالمحاماة، ثم شغل خطة وال بجهات متعددة بفرنسا و مع الحصار بتونس في مارس 1921 و بعث وزارة تونسية للعدالة، شجع الأجانب و خاصة الايطاليين و المالطيين على التجنيس بالجنسية الفرنسية، عمل بدهاء لإضعاف الحركة الوطنية)فشجع الانقسامات داخل الحزب الدستوري (نور الدين الدقي، تنظيم الحكم بتونس، مرجع سلف ذكره،ص 200

L'action مجموعة من الشباب الدستوري "التفوا حول جريدة " العمل التونسي"" و كان لهم تفكير و " سنة 1932 تخرج الكثير منهم من الجامعات الفرنسية Tunisienne و متوسطة من أسلوب في العمل السياسي مغاير لأنهم ينتمون إلى فئات اجتماعية ضعيفة الريف أما الشيخ الثعالبي و جماعته من النخبة الدستورية القديمة فمعظمهم من سكان العاصمة و من الفئات الميسورة و بعض المدن فإنهم لم يقوموا بربط الصلة بين نضال المدن والقرى و و كانت أعمال نضال القبائل في الريف و تعبئتهم ضد الميز العنصري الذي تمارسه السلطة التوعية تكاد تقتصر على النخب و نشر المقالات الصحفية و التنديد بأعمال التعسف وكل ذلك في محيط ضيق لا يصل إلى أعماق البلاد ولا إلى عامة الشعب" [194] و على العكس من ذلك فقد عمل الدستوريون الشبان على ربط صلتهم أكثر بالشعب لذلك احتدت الخلافات بين شبان الحزب و قدمائه ذلك أن الدستوريين الشبان و على رأسهم الحبيب بورقيبة [195] قد أدركوا أن أساليب الحرب القديمة لم تأت أكلها و لم تحقق مطالبهم لذلك انشق الحزب الدستوري التونسي في مؤتمره الاستثنائي بقصر هلال في 2 مارس 1934 و ظهر الحزب الدستوري الجديد.

مثل الثلث الأول من القرن العشرين فترة تبلور و تطور للحركة الوطنية في بلاد المغرب وفترة بروز للحركة الاستقلالية التي عملت على الانفصال عن القوى الأروبية المتنامية النفوذ التي اكتسحت الحداثة كل مجالاتها، و لم تعد ترى في البلدان ذات البنى التقليدية سوى غنيمة

---

[194] عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي ، مرجع سلف ذكره، ص 208

[195] الحبيب بورقيبة: ولد بالمنستير سنة 1903 و دخل المعهد الصادقي سنة 1913 و أنهى تعليمه الثانوي بمعهد كارنو و تحصل على الباكالوريا ثم سافر الى فرنسا سنة 1924 حيث درس الحقوق و تخرج محاميا من باريس و عاد الى تونس سنة 1927 وعمل على إبراز صورة البلاد التونسية بأنها جزء متميز من الأمة العربية الإسلامية و كيان قائم بذاته (عبد الكريم عزيز، نضال شعب أبي، مرجع سلف ذكره، ص 216)

تتنافس على اقتسامها و تُعتبر فرنسا و أنقلترا أكثر حظا في هذه القسمة المقارنة بايطاليا التي ترى أنها قد غبنت حقها في هذه القسمة لذلك بذلت جهودا جبارة لتحظى بطرابلس الغرب - ليبيا- بعد منافسة شديدة مع فرنسا. و لم تكن ليبيا ذات ثروات اقتصادية لكن ايطاليا كانت تنظر إليها

باعتبارها " تشكل بحد ذاتها قاعدة ملائمة للفتوحات المقبلة في إفريقيا أو كرأس جسر حيث التوسع في المستقبل منطلقة منه إلى كافة الجهات و أعطت الحيازة على ايطاليا- من-تتمكن طرابلس الغرب إمكانية تهديد تونس الفرنسية و منطقة بحيرة التشاد و السودان الشرقي" [196]. فبلاد المغرب و سائر الأقطار العربية لم تمثل لأروبا- القوة الامبريالية المتنامية – سوى بلاد فاقدة السيادة تحتاج دائما للوصاية و الحماية لا تشملها مبادئ التنوير و لا تطبق عليها حقوق و لا حق لها في تقرير مصيرها بنفسها باعتبارها شعوبا قاصرة لذلك عملت في الثلث الإنسان الأول من القرن العشرين بل منذ منتصف القرن التاسع عشر على توطيد سياستها الاستعمارية و استغلال مستعمراتها بشكل يكرس الطبقية و العنصرية بقدر كبير لذلك تحكمت أروبا في بلاد و البلاد العربية بشكل كبير و أصبح مصير شعوب بأكملها رهين اتفاقيات و المغرب معاهدات تبرمها البلدان الأروبية فيما بينها للاستيلاء على الشعوب الضعيفة ولم تكن هذه المعاهدات و الاتفاقيات في حقيقة الأمر سوى صفقات بين الدول الامبريالية الكبرى لسحق الدول الضعيفة التي لم تكن في ذلك الوقت قادرة على الدفاع عن نفسها و بهذا الأسلوب سيطرت ايطاليا على ليبيا " ففي 1900 عقدت ايطاليا اتفاقية مع فرنسا حول تحديد مناطق و بموجبها تخلت فرنسا لصالح ايطاليا عن جميع النفوذ في البحر الأبيض المتوسط

---

[196] فلاديمير لوتسكي، تاريخ القطار العربية الحديث، مرجع سلف ذكره، ص 325

مطامعها في طرابلس الغرب ولقاء ذلك منحتها ايطاليا حرية العمل في مراكش و أقرت هذه الاتفاقية في عام 1902 ثم أعيد إبرامها في تشرين الأول / أكتوبر/ 1912 عندما اعترفت فرنسا و ايطاليا باستيلائهما بصورة متبادلة الذي قد تم في السابق" [197] وبذلك تم احتلال طرابلس الغرب التي أطلق عليها الايطاليون اسم "ليبيا". لم يتم هذا الاحتلال ببساطة فقد اصطدم بمقاومة الباب العالمي فليبيا كانت إلى حدود 1911 لا تزال إيالة تابعة للسلطنة العثمانية لذلك عاشت ليبيا خلال مطلع القرن العشرين على وقع الحرب الايطالية التركية فقد الاستعمارية لذلك أعلنت الحرب ضد وجدت ايطاليا في تركيا حجرة عثرة أمام مشاريعها الوجود التركي في ليبيا، لم تكن تركيا مستعدة لتلك الحرب التي أثقلت كاهل الشعب الليبي جراء الحصار البحري الذي فرض عليه و أمام التواطؤ الدولي الذي أعلن عن نفسه بصمته أمام مواقف ايطاليا و أمام التخاذل و الاستسلام التركيين تمكنت ايطاليا من احتلال ليبيا عسكريا هذا الاحتلال الذي طالما رفضته الدولة العثمانية، فرغم موقفها المتخاذل فهي لم تقبل أبدا بالاحتلال العسكري لليبيا و قاومته، و انتهت الحرب الايطالية العثمانية بعقد اتفاقية صلح لوزان فالدولة العثمانية لم تستطع مواصلة الحرب لانشغالها بالحرب البلقانية لذلك نصت اتفاقية صلح لوزان على إقامة حكم ثنائي عثماني ايطالي على ليبيا لكن ايطاليا اعتبرت ليبيا مستعمرة تابعة لها و أمام الاعتراف الدولي بالسيادة الايطالية تنازلت الدولة العثمانية عن حقوقها و سيادتها على ليبيا. لكن الوجود الايطالي لقي إلى جانب المعارضة التركية الضعيفة مقاومة عنيفة من قبل القبائل العربية الليبية فقد " أعلن السنوسيون الجهاد المقدس ضد ايطاليا " [198]. وهنا لابدّ من الوقوف عند الحركة السنوسية و دورها في مقاومة الاحتلال الايطالي لليبيا و للاحتلال التركي

---

[197] فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سلف ذكره، ص 322-323

[198] فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سلف ذكره، ص 322-323

من قبله فقد قادت هذه الطريقة الدينية الانتفاضات ضد العثمانيين ثم ضد الايطاليين بزعامة السنوسيون أبناء و أحفاد أبي عبد الله السنوسي [199] الذي أسس الطريقة السنوسية. و الحركة السنوسية وجه من وجوه الحركة السلفية الإصلاحية و هي طريقة صوفية جمعت بين النظرة الوهابية للإصلاح الديني و محاسن الطرق الصوفية. و تأثر هذه الحركة بالدعوة الوهابية جلي وواضح و تهدف السنوسيـة" إلى مقاومة الاستعمار الفرنسي الايطالي في إفريقيا كما تهدف إلى نشر التعليم و تقوية نفوذ الدين و إبعاد الخرافات و الأوهام عنه " [200] وان كان اتجاه الحركة السنوسية سلفيا دينيا بالأساس يهدف إلى تنقية العقيدة و الرجوع بها إلى أصولها الأولى و محاربة البدع التي علقت بالدين فإنها اصطبغت بصفة سياسية حيث أعلنت "الجهاد المقدس" ضد المحتل و أعداء الدين. مارست هذه الحركة مبادئها في الزاوية التي هي مركز الحياة و الزراعية و التجارية و السياسية و الزاوية مركز سلطة في القبيلة و الاقتصادية و اقتصادي للمنطقة المحيطة بها. مركز تعليمي و ثقافي

عاش القطر الليبي في الثلث الأول من القرن العشرين على وقع مقاومة الاحتلال العثماني و الاحتلال الايطالي من بعده و قد أبدت القبائل الليبية مقاومة عنيفة للوجود الايطالي " لم يكن بوسع الطغمة الحربية الايطالية إخضاع البلاد و انجاز احتلال ليبيا و استعمارها إلا في عام 1932 بعد مذابح جماهيرية وتنكيلات وحشية بالقبائل المحبة للحرية" [201] و لم يشهد الثلث

---

[199] أبو عبد الله السنوسي (1787-1859) صوفي جزائري ولد في مستغانم و درس بفاس مؤسس الطريقة السنوسية بني الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر بليبيا و انتقل إلى زاوية الجغبوبي وفيها قبره. من كتبه " الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية و بغية المقاصد و شفاء الصدر.(المنجد في اللغة و الأعلام، مرجع سلف ذكره، ص 311)

[200] عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية الى إعلان الاستقلال الرباط، مطابع الشركة المغربية للطبع و النشر، 1976، ص21

[201] فلاديمير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية، مرجع سلف ذكره، ص 373

الأول من القرن العشرين ظهورا للعمل السياسي و ظهورا للأحزاب السياسية في ليبيا لأنها عرفت الاحتلال حديثا مقارنة بالجزائر و تونس و تبعا لذلك ظهرت الأحزاب السياسية الليبية بصفة متأخرة و بذلك مثلت فترة الثلث الأول من القرن العشرين فترة المقاومة الشعبية و الانتفاضات.

خضعت بلاد المغرب في مطلع القرن العشرين لنفس المؤثرات الداخلية و الخارجية تقريبا لكن مراكش تميزت بتركيبة اجتماعية و ثقافية و حتى سياسية فريدة جعلتها تمتاز عن بقية بلاد المغرب وتتبنى الايدولوجيا الوهابية (من دون الريف الذي احتلته اسبانيا) في حين رفضت بدايات دينية كجمعية العلماء بقية أقطار بلاد المغرب هذه الدعوة رغم أن حركاتها الوطنية بدأت الجزائريين و حركة الشباب التونسي التي تأثرت بمحمد عبده رائد السلفية الجديدة وكذلك ليبيا التي احتضنت الدعوة السنوسية التي تعتبر ربيبة الدعوة الوهابية. لكن كل بلاد المغرب باستثناء مراكش و جدت في الحركات الدينية بعض الرجعية لذلك هجرتها و اتجهت نحو الحركات الليبرالية و ارتمت في أحضان التجارب السياسية الغربية في حين تبنت مراكش الدعوة الوهابية السلفية و تواصل هذا التبني الرسمي و الشعبي لهذه الحركة الى ما بعد الاستقلال و الى اليوم و ظروف نشأة السلفية رغم و جود بعض الحركات المناوئة. قبل البحث في أسباب هذا التبني المراكشية، سنبحث في الأوضاع العامة التي عاشتها مراكش في الثلث الأول من القرن العشرين.عرفت مراكش وحدة دينية و مذهبية منقطعة النظير فهي بلد مسلم " و الإسلام الذي استقر في المغرب منذ الفتح الإسلامي و أخذ يتغلغل في جسم المجتمع المغربي على مر العصور كان هو الإسلام الأول الإسلام الذي حمله معهم الفاتحون من الصحابة و التابعين إنه إسلام " السلف الصالح " وطريقة أهل السنة الأوائل... و الاتجاه العام الذي بقي سائدا في و على مدى جميع عصورها التاريخية هو الاتجاه السني كما يعبر عنه المذهب مجموع البلاد

المالكي في الفقه و المذهب الأشعري في العقيدة " [202]. فمراكش إضافة إلى وحدتها الدينية تعيش وحدة مذهبية فالمراكشيون كلهم مسلمون باستثناء أقلية يهودية وكلهم سنيون و كلهم مالكيون، هذه الوحدة الدينية ساهمت في توجيه الحركات السياسية المراكشية فيما بعد لكن هذا الالتزام الديني قد يخالطه في أحيان كثيرة اعتقاد في الأولياء الصالحين و أتباع الطرق الصوفية. خاصة مع انتشار " المرابيط " الذين روجوا البدع و اثروا روحيا في المراكشيين الذين آمنوا بقدرتهم و ببركتهم و اعتقدوا أيضا في بركة " الشرفى" أو الشرفاء أي أهل البيت من سلالة النبي محمد عليه الصلاة و السلام " فقد عرف المغرب حركات صوفية و تنظيمات طرقية وزوايا وربطا غزت مختلف الأوساط الشعبية " [203] ويتوزع المراكشيون على مختلف و الولاء للزاوية أو الطرقية كان أقوى و أعمق في النفوس من الزوايا و الطرق الصوفية " أي ولاء آخر يربط الشخص بموضوع ما ماديا كان أو معنويا " [204] إذا فالمجتمع المراكشي ظل يحافظ الى حدود القرن العشرين على بنية اجتماعية تقليدية. لكن الظاهرة الأبرز التي تميز بها المجتمع المراكشي هي خضوعه للانقسامات الإثنية و الجغرافية. فالمراكشيون يتوزعون الى عرب و بربر: بربرهم السكان الأصليون لمراكش و عرب هم المسلمون الفاتحون القادمون الى مراكش . كذلك تسيطر القبلية على مراكش وتتوزع القبائل المراكشية بين عاصية و تابعة للسلطان و تنقسم مراكش تبعا الى ذلك الى بلاد السيبه وبلاد المخزن حسب الاصطلاح المراكشي. و بلاد المخزن هي التابعة للسلطان المراكشي، و المخزن هو نظام في الحكم

---

[202] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر الخصوصية و الهوية الحداثة و التنمية، الدار البيضاء، مؤسسة بنشرة للطباعة و النشر، 1988،ص47

[203] محمد عابد الجابري، المرجع السابق ، ص 49

[204] محمد عابد الجابري، المرجع السابق ، ص 52

اعتمدته مراكش منذ القدم يمثل السلطة المركزية و يتركز على جيش قوي يجمع الضرائب و يردع القبائل العامة. أما بلاد السيبه فهي التي لا تشملها سلطة السلطان العلوي " فقلّ أن كانت سلطة السلطان المدنية أي المخزن تشمل المغرب بكامله فمنذ عهد الموحدين في القرن الثاني عشر و بعض القبائل البربرية ترفض الخضوع للمخزن. هذه القبائل بما فطرت عليه من خروج على السلطة و بسبب هذا التعشّق الجنوني للاستقلال القبلي لم تكن تدفع الضرائب للدولة و لا تقدّم رجالها للجيش الشريفي و لا تعترف بأي شكل كان بأن تكون سلطة الملك المدنية متحكمة فيها. هذه القبائل العاصية تسمى بلاد السيبه و هي قائمة في أنحاء مختلفة من البلاد و لا يربط بينها إلا كونها بربرية و كونها تقاوم السلطان ، أما المناطق التي قبلت حكم السلطان المدني و حماية المخزن و الواجبات التي يتطلبها مثل هذا الارتباط فتسمى بلاد المخزن وغالبا ما يكون القبول بالسلطان جزئيا ونفعيا دون أن يخالطه إيمان ثابت به ومن الناحية الثانية فقد يكون لدى بعض القبائل العاصية شيء من الارتباط بالمخزن و الواقع انّه حتى في أقصى نواحي بلاد السيبه ليس ثمة قبلية إلا و لها هذه الصلة به فلا تقطع علاقتها قطعا تاما بدولة مسلمة ترفع من شأن الوحدة الإمبراطورية "[205] .

عانى سلاطين و ملوك مراكش من عصيان القبائل و لم ينجحوا في خلق وحدة بين المراكشيين و ظلت مراكش بلدا مجزءا و حالت بلاد السيبه دون تحقيق الوحدة ليستمر الصراع بين السلطة و القبائل العاصية لذلك كان " الضغط الدائم و العنف بدرجات مختلفة الخطوط المميزة للمجتمع المراكشي " [206]. تواصلت هذه الصراعات الداخلية في مراكش على مدى

---

[205] روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، بيروت نيويورك، 1963، ص41

[206] John Waterbury, le commandeur des croyants, la monarchie marocaine et son élite. Paris, presses universitaires de France, 1975, P92

قرون طويلة مما وقف أمام سبل تقدم هذا القطر الذي شغل بصراعاته الداخلية و انقساماته الإثنية ولم تكن الوضعية الاجتماعية أيضا تسمح بتغيير البني التقليدية للمجتمع المراكشي نظرا الى انتشار البدع و الطرق الصوفية التي تسيطر سيطرة روحية كبيرة على المراكشيين. خضعت مراكش في مطلع القرن العشرين للاحتلالين الفرنسي و الاسباني وقد مثل ذلك حدثا هاما جدا للمراكشيين ذلك أن مراكش لم تعرف الاحتلال الأجنبي من قبل وهي القطر المغربي الوحيد الذي لم يخضع للسلطة العثمانية. و قد ساهم هذا الاحتلال في تعميق التجزئة في مراكش، فالإضافة إلى انقسام مراكش إلى بلاد مخزن و بلاد سيبه أصبحت تنقسم إلى مناطق تابعة للنفوذ الفرنسي و مناطق تابعة للنفوذ الاسباني (منطقة الريف)، و سنهتم بالمنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي لأنها التي تبنت السلفية المراكشية في حين رفضتها منطقة الريف.

عملت قوى الاحتلال على تدعيم التجزئة في المجتمع المراكشي بدعمها أصحاب الطرق و المتصوفة الذين يقفون على الخط النقيض للعلماء – فقهاء القرويين- الذين عملوا على مقاومة البدع و الطرق و أصحابها اللذين والوا سلط الاحتلال مع بعض القبائل العاصية ضد السلطة المحلية لذلك يمكن القول إن مراكش "بلد مجزئ على نطاق واسع"[207] فبالإضافة إلى الانقسامات الإثنية و الجغرافية التي توراثتها ساهم الاحتلال الأجنبي في تدعيم التجزئة و حال دون الوحدة المراكشية و هذا ما سيؤثر في وقت لاحق في الاختيارات السياسية المراكشية.

[207] John Waterbury, le commandeur des croyants , op-cit,P92

لم تعرف مراكش منذ فرض الحماية عليها و إلى حدود سنة 1930 العمل السياسي بل عبّرت المقاومة عن نفسها من خلال العمل العسكري فالقبائل لم ترضخ للحكم الأجنبي و لعل أهم عمل تحرري عرفته مراكش هو الحرب الريفية بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي [208] الذي

---

[208] محمد بن عبد الكريم الخطابي (1882-1963) ولد في آجدير، التحق بجامعة القرويين تخرج فيها سنة 1905 أبوه و أخوه قام بجهود كبيرة لمواجهة المستعمرين مجاهد عربي زعيم قبائل الريف بالمغرب ثار على الأسبان و هزمهم قرب مليلة سنة 1921، استسلم إلى الفرنسيين سنة 1926 توفي بالقاهرة (المنجد في اللغة و الإعلام، مرجع سلف ذكره، ص 367)

كان عمله تحريرا و انفصاليا في الوقت نفسه : تحريري لأنه أراد من خلال العمل العسكري و المقاومة المسلحة تحرير الريف و أعلن تبعا لذلك حربه ضد اسبانيا ثم أعلن الحرب على فرنسا. لكن عمله هذا يعتبر عملا انفصاليا لأنه أعلن قيام جمهورية الريف و أعلن نفسه رئيسا لهذه الجمهورية التي أصبح لها دستور وحكومة ووزراء و هو أمر يعني إقامة جمهورية داخل

المملكة العلوية و إقامة كيان جديد داخل الكيان الأم، وإن أكد الأمير عبد الكريم على ولائه للعرش و للملكة الشريفية و على أن " ثورته " هي من اجل تحرير الوطن، فإن هذا العمل الثوري الانفصالي هو تدعيم لحالة التفكك و التجزئة التي عاشتها مراكش في مطلع القرن العشرين و نتيجة لذلك أصبح الوطن أوطانا منفصلا احدها عن الآخر ومع ذلك لا يمكن إنكار العمل البطولي الذي قام به الأمير عبد الكريم الخطابي " الذي كان و لا يزال في عيون الوطنيين

الوطني الأول و يمثل في أعين القبائل الريفية المناضل التقليدي الأمثل" [209] الذي شارف على القضاء على الإسبان و أدخل الرعب في صفوف الفرنسيين مما استدعى تحالف القوتين الاستعماريتين للإطاحة به فقد "حشدتا حوالي 800 ألف مقاتل في مقابل 20 ألفا من المقاتلين و استسلامه ونفيه إلى جزيرة الريفيين و انتهت المجابهة بهزيمة عبد الكريم الخطابي لارينيون " [210] و على إثر ذلك وقع التخلي عن الاختيار العسكري و تم التوجه نحو العمل السياسي " فقد شكلت هزيمة عبد الكريم الخطابي في الريف منعطفا هاما في التاريخ السياسي للمغرب المعاصر إذ بدأت النخبة " الحضرية " في تجاوز آثار الإخفاق العسكري عبر العمل السياسي و لم يكن العمل السياسي ممكنا في غياب تنظيم سياسي يسهل عمليات التواصل و إمكانيات التنسيق في هذا السياق تم تأسيس أول تنظيم يمكن أن نعتبره " سياسيا " مباشرة عقب الحرب الريفية و سمي هذا التنظيم " الرابطة المغربية " [211] و هو نضال من نوع جديد

---

[209] John Waterbury, le commandeur des croyants, op-cit P56

[210] عبد الله بلقزيز، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية -1947-1986 ، بيروت ،دار القلم، 1992، ص 278

[211] محمد الضر يف الأحزاب السياسية المغربية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1988، ص11

تقوده الطبقة الحضرية بعد أن قادت المقاومة في السابق القبائل و هذا العمل السياسي السلمي يعبر عن و عي بفشل العمل العسكري و الاتجاه نحو العمل السياسي في إطار توحيد صفوف المراكشيين و عدم الاعتراف بواقع التجزئة الذي يعيشه المغرب لذلك ضمت الرابطة المغربية ممثلين عن منطقة الحماية الفرنسية و ممثلين عن منطقة الحماية الاسبانية تجمع بينهم غاية واحدة هي طلب الإصلاحات و المساواة و لم يكن مطلب الاستقلال مصرحا به لدى النخبة السياسية.

من أهم الأحداث التي عاشتها مراكش في الثلث الأول من القرن العشرين و تحديدا في 16 ماي 1930 صدور الظهير البربري الذي أدى إلى توحيد صفوف الوطنيين و آذن ببداية ظهور من خلال إصدار الظهير البربري تقوية التجزئة في العمل الحزبي. حاولت السلط الاستعمارية مراكش و تعميق الفرقة بين البربر و العرب وذلك بالعمل على خلق كيان بربري مستقل و قد استغلت سطحية إسلام البربر لفصلهم عن العرب و لكسبهم لصفها " ويقرر الظهير البربري أن الخلافات المرتكبة في القبائل البربرية توكل إلى نظر رؤساء القبائل و ينشئ الظهير محاكم عرفية تنظر في جميع الدعاوي المدنية و التجارية و العقارات و المنقولات كما يوكل إليها النظر في قضايا الأحوال الشخصية و أمور الإرث و تطبق في كل الأحوال العوائد المحلية كما ينشئ محاكم عرفية استثنائية ترفع إليها أحكام المحاكم الأولى قصد الاستئناف " [212] و قد هدد الظهير البربري وحدة البلاد و سعت فرنسا إلى فرنسة البربر فقد تم حذف تعليم الديانة الإسلامية و اللغة العربية في المدارس البربرية. رفض المراكشيون هذه السياسة الرامية إلى

---

[212] محمد الضر يف، المرجع السابق، ص 12

و البربر و قد خلقت هذه السياسة الفرنسية رغبة كبيرة لدى المراكشيين التفرقة بين العرب في التوحيد و لقيت مسألة الظهير البربري صدى كبيرا في مراكش و في العالم العربي عامة.

تزامن إصدار الظهير البربري مع إقامة المؤتمر الأفخارستي بتونس من طرف السلط الفرنسية ومع الاحتفال بمئوية احتلال الجزائر مما و لد ثورة و سخطا كبيرين في نفوس المغاربة و كانت هذه الأحداث سببا في التفاعل و التضامن بين الشعوب المغربية.

لم تعرف بلاد المغرب في الثلث الأول من القرن العشرين العمل الحزبي المهيكل بل لم تظهر الأحزاب السياسية في بعض أقطارها إلا بعد الثلاثينيات فكانت هذه الفترة فترة مقاومة شعبية و قد أثرت الحركات الإصلاحية الدينية السلفية التي ظهرت في العالم العربي كالسلفية الجديدة في مصر و المهداوية في السودان و الألوسية في العراق في بلاد المغرب لكن هذا التأثير كان سطحيا ووقتيا لأنّ بلاد المغرب - باستثناء مراكش- استعاذت عن هذا التوجه بالمشاريع الليبرالية الغربية في حين تبنت مراكش هذا التوجه و في وجهه الأكثر تشددا المتمثل في الدعوة الوهابية التي كانت النواة الأولى للعمل السياسي المغربي فماهي ظروف نشأة هذه السلفية المراكشية ؟

الفصل الثاني:

ظروف نشأة السلفية المرّاكشية العلوية"الجديدة"

للسلفية المراكشية التي تبنتها مراكش في القرن العشرين ولازالت تتبناها إلى اليوم جذور قديمة ترتقي إلى بدايات القرن التاسع عشر زمن نشأة الدعوة الوهابية السعودية التأسيسية التي أخذ القائمون عليها بعدما استتب لها الأمر يقومون بعمل تبشيري من خلال بعث الرسائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية لنشر دعوتهم وقد تناقل الحجاج المغاربة مضامين هذه الدعوة الدينية وروجوا لها في أوطانهم وقد عرفت مراكش الدعوة الوهابية "لما حمل الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المولى سليمان [213] الذي أعجب بها وحاول نشرها بالمغرب" [214] و بالفعل فقد أرسل المولى سليمان ابنه إبراهيم لأداء فريضة الحج وكلفه بإبلاغ عبد الله بن سعود تأييده الدعوة الوهابية وترحيبه بمبادئها التي لم يجد فيها غلوا"وبعد أن أتم الأمير المغربي سفرته رجع إلى البلاد مؤكدا في تقريره أن الحركة الوهابية ليست شيئا غير ما يرمي إليه المصلحون من تطهير العقيدة وتطبيق الشريعة".[215]

يؤكد المؤرخون المراكشيون على أن الدعوة الوهابية كانت إيديولوجيا المملكة العلوية في عهد السلطان سليمان في حين أن فقهاء الدولة الحسينية في تونس رفضوا هذه الدعوة منذ زمن مبكر

---

[213] المولى سليمان: (1792-1822) سليمان بن محمد (مولاي أبو الربيع)سلطان المغرب اشتهر بعدله,(المنجد في اللغة ،مرجع سلف ذكره ،ص 307). والأعلام

[214] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، الرباط،منشورات عين ،دت،ص 126

[215] علال الفاسي ، المصدر السابق ، ص 127

وردوا على الرسائل الوهابية التبشيرية وقد أورد لنا ابن أبي الضياف في الإتحاف نص الرسالة الوهابية ونص الرسالة التونسية [216].وهنا نتساءل لماذا وجدت الدعوة الوهابية صدى طيبا وتأييدا رسميا من قبل السلاطين المراكشيين في فترة كانت فيها هذه الدعوة في طور التأسيس و التثبيت لكيانها؟

يفسر الباحث المغربي محمد عابد الجابري هذا التبني المراكشي للدعوة الوهابية في القرن التاسع عشر بكون المخزن المراكشي وجد في هذه الدعوة "سلاحا إيديولوجيا ملائما يقاوم به خصومه في الداخل الذين كانوا أساسا من مشايخ الطرق و أحد خصومه في الخارج الحكم التركي » [217] ، أي أن هناك تمثّل للدور الذي يمكن أن تلعبه الايديولوجيا الوهابية على الصعيدين الديني و السياسي فدينيا وظّف السلاطين المراكشيون الوهابية لمقاومة الطرق الصوفية و البدع التي تفشت في المجتمع المراكشي و سياسيا أرادوا أن يحوّلوا هذه الدعوة الدينية إلى أداة سياسية و عسكرية لمحاربة خصومهم أي أن المراكشيين أرادوا أن تضطلع الوهابية بالدور الذي اضطلعت به في نجد لكن هذه الدعوة وجدت في تلك الفترة صدى دينيا أكثر منه سياسيا فقد ظهر عدة شيوخ سلفيين يعملون على تطهير الدين و محاربة المتصوفة و ينشرون المبادئ السلفية و قد " واصل جميع الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب الدعوة إلى السلفية في كل تصرفاتهم و لكنهم لم يستطيعوا في الواقع أكثر من التخفيف من وطأة الخرافة على العلماء و رجال الدين و لعل ذلك راجع لأنهم لم يتعدوا فيما فعلوه أسلوب الوعظ و الإرشاد و منع بعض المواسم التي

---

[216] انظر النصين في الملحق عدد2

[217] محمد عابد الجابري ، المغرب المعاصر ، مرجع سلف ذكره ، ص 12

و مهما كان من أمر أثر الدعوة الوهابية في مراكش في تلك الفترة كانت تتسم بالمغالاة" [218] فالمهم هو أنها هيأت التربة المناسبة لنشأة السلفية الجديدة في الثلث الأول من القرن العشرين فقد برز في تلك الفترة العلماء السلفيين مثل الشيخ عبد الله السنوسي " وهو واحد من علماء القرويين[219] سافر إلى المشرق و اتصل بأقطاب هذه الدعوة - الوهابية – في مصر و الحجاز و تأثر بهم و اقتنع بأفكارهم و عاد للمغرب ليصدع بدعوته في داخل الجامعة القروية و ليجمع من حوله ثلة من الطلبة و الأنصار" [220] و قد قام هذا الشيخ بدور كبير في الدعوة للسلفية و لكنها لم تتجاوز عنده الحدود الدينية و اقتصرت مهمته في محاربة البدع و الدعوة إلى الإسلام الصحيح و لم تقترن الدعوة لديه بالعمل السياسي مثل أبو شعيب الدكالي[221] الذي يعتبره السلفيون الجدد في مراكش الأب الروحي لهم و المعلم الأول و قد التفّ من حوله جماعة من الشباب النابغ " يوزعون الكتب التي يطبعها السلفيون بمصر و يطوفون معه لقطع الأشجار المتبرك بها و الأحجار المعتقد فيها " [222] و قد كان عمل أبي شعيب الدكالي بمثابة الإرهاصات الأولى لمولد

---

[218] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 127

[219] القرويين : جامع في فاس بالمغرب بني في القرن التاسع ميلادي وهو أقدم جامعة إسلامية مشهور بأبوابه الأربعة عشر (المنجد في اللغة و اللأعلام ، مرجع سلف ذكره ص 437)

[220] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 128

[221] أبو شعيب الدكالي : من شيوخ الرباط السلفيين ذو علم و فصاحة خدم الحركة السلفية في المغرب كثيرا (علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ،ص 118)

[222] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مصدر سلف ذكره ، ص 131

السلفية الجديدة التي دعا إليها و بثها في المجتمع المراكشي الشيخ محمد العربي العلوي [223] الذي تتلمذ على يديه رواد السلفية المراكشية العلوية و يمكن اعتبار عمل الشيخين المصلحين الدكالي و العلوي بمثابة العمل القاعدي الذي نشأت على أساسه السلفية الجديدة فقد تجمع الطلبة المراكشيون حول الدكالي في الرباط و حول العلوي في فاس فتكونت بذلك نخبة من السلفيين الشبان " الذين نقلوا الفكرة إلى ميدان التطبيق فأخذوا يطوفون في البلاد ناشرين الدعوة منادين بها هادمين لكل الأصنام مقتلعين الأنصاب " [224] لكن هذه الدعوة ظلت نخبوية ذلك أن المجتمع المراكشي لم يتقبل في البداية هذه الدعوة التي أنكرت عليه معتقداته و عاداته و شعائره المقدسة كالنذور و لكن السلفيين استمروا في مقاومة الطرقية التي عملت سلط الحماية المواسم و التضرع للأولياء. على تدعيمها و حمايتها و على إحيائها و بعثها من جديد ، ذلك أن سلط الحماية قد وجدت في الصوفيين و الطرقيين مساندا لها و لمشاريعها الاستعمارية لذلك عملت بمعاضدة الطرقيين على وأد الحركة السلفية في مهدها خاصة عندما تسلم الشيخ محمد العربي العلوي المشعل من أستاذه أبي شعيب الدكالي ، ذلك أن الحركة السلفية تحولت على يدي العلوي إلى حركة وطنية في حين كانت دعوة الدكالي مسالمة نسبيا لسلط الحماية الفرنسية فقد كان الشيخ الدكالي يرى فيما يبدو " أن النهضة و الإصلاح يجب تبدأ بإصلاح حال الدين و نشر الخلقية الإسلامية السلفية في جسم المجتمع حتى يتهيأ بعد وقت للنهوض ضد المستعمر .... و مهما يكن فإنّ أهمية أبي شعيب الدكالي في تاريخ المغرب الحديث ليست في نوع تصوره للأمور و إنما في حملته المتواصلة ضد الطرقية و الشعوذة على المستوى الشعبي و في تكوينه لنخبة من العلماء التقليديين و لكن

---

[223] محمد العربي العلوي: ولد في فاس و يعتبر من اكبر دعاة السلفية في المغرب تتلمذ على يديه أهم رجال الحركة الوطنية ، و معه بدأت الحركة السلفية تمتزج بالحركة الوطنية ، دعم الحركة الوطنية كثيرا و دخل من اجل ذلك في مواجهة مع سلط الحماية الفرنسية (علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 106)

[224] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 131

المتفتحين الذين حملوا لواء " السلفية الجديدة " المناهضة للاستعمار الداعية للتحديث و كان على رأس هؤلاء جميعا السلفي المناضل محمد العربي العلوي " [225] .

يمكن ،إذن، اعتبار الحركة السلفية التي دعا إليها الشيخ الدكالي امتدادا للوهابية من حيث هي حركة دينية تعتمد السلف الصالح مرجعا و تعمل على الرجوع إلى الينابيع الأولى للدين الإسلامي و تحارب كل ما يتنافى مع ذلك ، لكن هذه الحركة اتخذت مع الشيخ محمد العربي العلوي بعدا آخر إذ أخذت الوهابية تتطور على يديه إلى سلفية جديدة تمتزج فيها الدعوة الدينية و بالوطنية و قد كونت هذه السلفية الوطنية " الجيل الأول من رجال الحركة الوطنية المغربية قدمت لهم الأساس الفكري العربي الإسلامي لتطلعاتهم النهضوية التحديثية و مواقفهم السياسية النضالية " [226]

و يعتبر علال الفاسي [227] رمز السلفية المراكشية و مؤسسها و الزعيم السلفي الأول في مراكش و لعلنا إذا قلنا " السلفية المراكشية العلالية " لا نبالغ فقد نظّر الفاسي للسلفية الجديدة و حاول تطبيقها في مشروعه السياسي و جعلها إيديولوجيته الخاصة و إيديولوجيا الحركة الوطنية

---

[225] محمد عابد الجابري ، المغرب المعاصر ، مرجع سلف ذكره ، ص 24

[226] محمد عابد الجابري ، المغرب المعاصر ، مرجع سلف ذكره ، ص 25

[227] علال الفاسي : ولد علال الفاسي في مدينة فاس سنة 1910 و درس في جامعة القرويين و نال العالمية منها في سن مبكرة تزعم الأنوية الأولى للعمل الوطني في فاس و برز مبكرا كداعية سلفي معاد للاستعمار يجتذب الطلاب و الجمهور الواسع إلى حلقاته ، انتخب في نهاية 1936 رئيسا لكتلة العمل الوطني بعد المواجهات المفتوحة بين الحزب الوطني الذي خلف الكتلة و بين السلطات الاستعمارية سنة 1937 نفي علال الفاسي الى الغابون و لم ينته نفيه إلا سنة 1946 ، ظل يواكب مختلف التطورات الفكرية إلى جانب مهامه في رئاسة حزب الاستقلال و نشاطه في التدريس الجامعي إلى أن وافته المنية و هو ضيف على رومانيا في ماي 1974 (عبد الاله بلقزيز ، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية ، مرجع سلف ذكره ، ص 276)

،ولعلّ هذا الأمر يفسر بالتكوين الديني الذي تلقاه في الجامعة القروية و انحداره أصلا من عائلة محافظة دينيا بالإضافة إلى تأثره بأعلام السلفية في المشرق و المغرب و خاصة بالشيخ محمد عبدة الذي تأثرت به النخبة الثقافية المراكشية في مطلع القرن العشرين فبدأت في تلك المرحلة تنشأ السلفية في

مراكش لكن بخصوصيات مراكشية، و قد اثر الشيخ محمد العربي العلوي تأثيرا كبيرا في الفاسي و رفاقه فقد كان " علال الفاسي ورفاقه في نهاية العشرينات يتحلقون حول أستاذهم الكهل و يستمعون عنده إلى صدى الالوسي و الأفغاني و محمد عبده فيما كانوا يشاهدون في أوساط الشعب تفشي الخرافة و النـزعات التواكلية الانهزامية سيترسخ عند هؤلاء الشباب وعي ديني – وطني معا يربط بين التأخر و الانحطاط و واقع الاستعمار من جهة أولى و بين التنكب عن جادة الإسلام من جهة ثانية " [228] .

مثل التدخل الفرنسي في مراكش حافزا على تبني الدعوة السلفية التي تحارب الطرقيين عملاء الفرنسيين و قد نبهت الحرب الريفية المراكشيين إلى حقيقة الشيوخ و المرابطين الذين ساندوا

---

[228] السعيد بنسعيد ، في النهضة و التراكم ، الدار البيضاء الشركة المغربية للنشر ، 1986 ص 120

فرنسا و اسبانيا " فالتفتوا و إذا بأشهر مشاهير المشايخ الذين يستغلون الدين و التصوف لأغراضهم الشخصية قد انضموا لصفوف الفرنسيين و الإسبان و أخذوا يوجهون الرسائل المختلفة و ينادون بها القبائل المكافحة في سبيل الله و الوطن إلى العدول عن الجهاد و للذين يريدون الاستسلام للأعداء رأى الناس هذا بأعينهم و لمسوه بأنفسهم فأصبح الميدان واسعا العمل في سبيل توسيع الجهد السلفي مقرونا بما يتطلبه العصر من حركة سياسية و اجتماعية كبرى " [229] . انتشار البدع و الطرقية كان إذن من بين أسباب نشأة السلفية المراكشية تماما مثل صدور الظهير البربري و انكشاف السياسة الفرنسية الرامية إلى الحيلولة دون الوحدة المراكشية بتدعيم الانقسامات الإثنية وضرب الإسلام و إلغاء هوية مراكش العربية الإسلامية يقول علال الفاسي عن ذلك « تنمّر الفرنسيون بمجرد نهاية الحرب الريفية للإسلام و أخذوا يعملون على مقاومة الشريعة الإسلامية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى و وضعوا المناهج الرسمية العلنية لفرنسة المغرب عن طريق تمسيحه و صدر المرسوم البربري في 16 مايو 1930 فتقدمنا نحن الذين كنا جنود السلفية و أعوانها للقيام برد الفعل العظيم الذي قاوم الخطر الماس بالدين في الصميم و إذا

بنا في حركة سلفية و وطنية في وقت واحد لأنها تقاوم السيطرة الأجنبية و كل برامجها للامتلاك الأبدي لبلادنا » [230] فانطبعت بذلك السلفية ذات الطابع الديني و التي بدأت في مراكش بداية دينية بطابع سياسي و مضمون وطني نتيجة دخول الاستعمار عاملا جديدا في و السياسية المراكشية فربط السلفيون بذلك فساد العقيدة الدينية بفساد التركيبة الاجتماعية الوضع السياسي و وجدوا في الحركة السلفية أداة فعّالة لمقاومة الأمرين معا خاصة عندما

---

[229] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 131

[230] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 131

أعلنت فرنسا حربها على العروبة و الإسلام " فكان رد الفعل الوطني الذي قادته النخبة المثقفة بسلا و الرباط و فاس و غيرها من المدن هو الدفاع عن الإسلام و العروبة معا بوصفهما يؤسسان الوحدة الوطنية المغربية ، إن هذا يعني أن العروبة قامت للدفاع عن الإسلام في المغرب و بالتالي فالتعارض بين الإسلام و العروبة الذي كان يعاني منه المشرق و مازال ، حل محله في المغرب التضامن بين العرب و البربر تحت راية الإسلام الدين و الإسلام الأمة ، الذي ظلّ على الدوام يؤسس الوحدة الوطنية المغربية منذ الفتح الإسلامي . و مع غياب التعارض بين الإسلام و العروبة و قيام التضامن بينهما بل استمراره ينتفي بصورة مباشرة التعارض بين الأصالة و الحداثة باعتبار أن الأصالة هي هنا الإسلام و العروبة معا و أن الحداثة ضرورية للنهوض ضد المستعمر الذي لم يعد خطره منحصرا في إفقاد البلاد سيادتها و بسياسته البربرية الوحدة الوطنية لا بل كيان الأمة الديني و سلبها خيراتها ... بل لقد أصبح يهدد الثقافي و الحضاري " [231]. ويرى علال الفاسي أن تطهير العقيدة الإسلامية و العودة إلى أصولها الأولى هما السبيل إلى مقاومة الاستعمار الذي كان يعمل على طمس الهوية الإسلامية من خلال تدعيم البدع و النزعة البربرية الانفصالية . وجد المراكشيون في العودة إلى الإسلام سبيلا إلى تحقيق الوحدة بينهم لذلك تبنّوْا الدعوة السلفية و هذا هو ما يفسر تبني الساسة المراكشيون على اختلاف نزعاتهم لدعوة دينية سلفية ، فهاجس الوحدة في مجتمع متفكك يتهدده الخطر الاستعماري دفع القوم على اختلاف نزعاتهم إلى الالتفاف حول الحركة السلفية ذات و قاموا بفضح الطابع الوطني من البداية و خلال الحرب الريفية على بث الوعي الديني

---

[231] محمد عابد الجابري ، المغرب المعاصر ، مرجع سلف ذكره ، ص 41

و قد أبدى السلطان محمد الخامس [232] دعمه و تأييده هذه الحركة " بل دسائس الطرقيين أصبح من أشدّ دعاة السلفية و أنصارها و قد بذل في نصرها كل ما يستطيع من جهد و من نفوذ " [233] . وجدت الحركة السلفية في بداية نشأتها تأييدا رسميا من السلطان المراكشي مما دعم هذه الحركة و جعل لها أنصارا من النخبة المثقفة و حتى من الأوساط الشعبية و اتخذت أبعادا سياسية جليّة فقد عمل السلفيون المراكشيون إلى جانب تطهير الدين الإسلامي على مقاومة الاستعمار ثمّ مقاومة التفكك الاجتماعي من خلال خلق وحدة بين العرب و البربر على أساس الانتماء إلى الإسلام دينا توحيديا كذلك تقوية الرابطة الوطنية بين مختلف فئات المجتمع لمقاومة عدو خارجي واحد و هو المستعمر و بذلك عرفت الحركة الوطنية منذ الثلاثينات وحدة من خلال الاتحاد في الرؤى و الأهداف فقد " كان الدين القاسم المشترك بين جميع المواطنين مهما تباعدت أقاليمهم و اختلفت قبائلهم و لذلك كانت معارك التحرير ضد الأجانب – و كلهم كانوا مدفوعين بدافع ديني لغزو المغرب – تتخذ من الدين وسيلة لتجميع المواطنين حول الفكرة الوطنية التي لم تكن تعني شيئا غير الفكرة الإسلامية و كانت انطلاقة الحركة الوطنية الحديثة في منتصف العشرينات و أوائل الثلاثينات ذات طابع إسلامي و ظلّ الدين و لا يزال عاملا فعالا في الفكرة الوطنية حوله يتداعى المواطنون و يتجمعون للدفاع عن الوطن" [234] . و التي رفعت لواء الوحدة من اجل الاستقلال التقت جهود على أساس من الدعوة السلفية الوطنية الوطنية الإصلاحية في فاس و أحمد الوطنيين ، فبعد أن كان علال الفاسي يقود الحركة

---

[232] محمد الخامس: محمد بن يوسف (1909 – 1961) سلطان المغرب 1927، نفاه الفرنسيون إلى مدغشقر من سنة 1953 إلى سنة 1955 ، أعلن الاستقلال سنة 1956 و أعلن ملكا سنة 1957 (المنجد في اللغة و الأعلام ، مصدر سلف ذكره ، ص 523)

[233] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 132

[234] عبد الكريم غلاب ، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ، مرجع سلف ذكره ، ص 10

بلافريج [235] يتزعم حركة أصدقاء الحقيقة في الرباط توحدت الحركتان و رغم أن حركة و تسيّسًا و أقلّ تديّنًا من حركة الفاسي فان الفريقين اتحدا في سنة بلافريج « أكثر عصرية و رغم أن السلط الفرنسية حاولت عرقلة عمل الوطنيين بإصدارها الظهير 1927 " [236] ، البربري الذي دعمت به انفصال القبائل البربرية عن السلطة الشريفة فان الظهير البربري كان سببا في وحدة العمل الوطني و في بروز كتلة العمل الوطنـي التي ضمت جماعة يختلفون من حيث تكوينهم و من حيث نظرتهم إلى الأشياء من أمثال محمد الحسن الوزّاني [237] و علال و إن انتمى الجماعة إلى الطبقة البورجوازية المثقفة فان التكوين الذي الفاسي و أحمد بلافريج ،

---

[235] أحمد بلافريج : من الرعيل الأول لقادة الحركة الوطنية المغربية ، ولد في الرباط سنة 1908 و درس في ثانويتها العصرية الشهيرة ثانوية مولاي يوسف و درس في القاهرة ثم في باريس التي حصل من جامعة السوريون فيها على الإجازة في الأدب ، ساهم في تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين و في تأسيس كتلة العمل الوطني سنة 1930 و في تحرير و تقديم " دفتر مطالب الشعب المغربي" و على إثر رفض محمد بلحسن الوزاني منصب الأمين العام لكتلة العمل الوطني انتخب أحمد بلافريج بدلا منه و ظل في هذا المنصب عندما تحولت الكتلة إلى الحزب الوطني و عندها تحول هذا الأخير إلى حزب الاستقلال ، عين وزيرا للخارجية في 1956 ثم رئيسا للحكومة في 1958 ثم عين ممثلا شخصيا للعاهل المغربي ثم تخلى عن هذا النمصب (عبد الاله بلقزيز ، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية ، مرجع سلف ذكره ، ص 272)

[236]Attilio Gaudio , Allal el fassi ou l'histoire de l'istiqlal , Paris , Alain Moreau,1972, P34

[237] محمد الحسن الوزّاني : (1910-1978) ولد بفاس و درس بثانويتها العصرية، ثانوية مولاي إدريس ، حضّر الباكالوريا في باريس. درس في المدرسة الحرة للعلوم السياسية في الكوليج دو فرانس وفي الصحافة و في مدرسة اللغات الشرقية ، في 1927 شارك في تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين و انخرط الوزّاني كذلك في نجم الشمال الإفريقي . بعد انفصاله عن كتلة العمل الوطني و امتدادها "الحزب الوطني" أسس "الحركة القومية " و لم يمنعه الانفصال من إعلان تضامنه مع الحزب الوطني و على إثر ذلك نفي إلى قرى الجنوب الشرقي المغربي بعد عودته أسس حزب الشورى و الاستقلال بعد انشقاق واسع في هذا الحزب أطلق عليه اسما جديدا هو "حزب الدستور الديمقراطي" (عبد الاله بلقزيز ، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية ، مرجع سلف ذكره ، ص 277)

تَلقوْه ليس موحدا فخريجو القرويين من ذوي التكوين التقليدي ذي الطابع الديني يختلفون عن خريجي المدارس و الجامعات الفرنسية من ذوي التكوين العصري الأقل تدينا و يمثل التقاء هذه الأقطاب المتنافرة أصلا إستراتيجية عمل فرضتها الظروف التي مرت بها مراكش في تلك الفترة لكن هذه التكتلات كانت دائما تحمل أسباب انفجارها داخلها.

رغم الاختلافات في الرؤى و الصراعات الشخصية داخل الكتلة الوطنية فقد عمل الوطنيون على تبني الدعوة السلفية نواةً للعمل السياسي و وسيلة لمحاربة الاستعمار و هنا نتساءل ما الذي يدفع سياسيين يختلفون نظرة إلى الأشياء و بعضهم يحمل فكرا غربيا ليبراليا إلى رفع لواء السلفية ؟ إنّه ببساطة تكتل مصالح فرضه الوضع السياسي و الاجتماعي سينتهي بانتهاء الظروف الحافة بنشأته أو ربما قبل انتهائها، و قد نشطت الكتلة على الصعيدين السياسي و الاجتماعي فسياسيا قاومت السياسة البربرية من خلال بثّ الوعي بين المواطنين بضرورة الاتحاد في وجه عدو واحد كذلك قامت الكتلة بإصدار المجلات و الجرائد كمجلة "المغرب" و جريدة "عمل الشعب" الناطقة بالفرنسية كذلك أصدرت الكتلة مجلة الناطقة بالفرنسية الإسلام باللغة العربية هذا إضافة إلى الدروس الشعبية التي كان يلقيها علال الفاسي في جامعة القرويين و قد كان لهذه الدروس « أثرها الفعال في نشر المبادئ الصحيحة و الأفكار النيرة و لها فضل تكوين ثلة من الشباب المثقف و تأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية كما كان توجهه الوجهة الصحيحة في القومية و السلفية و ملئه بالروح القومية " [238] و قد نشطت كتلة العمل الوطني الشمالية بقيادة

---

[238] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مصدر سلف ذكره ، ص 178

عبد الخالق الطريس [239] و محمد المكي الناصري [240] و الجنوبية بقيادة علال الفاسي و محمد بن الحسن الوزّاني . و قد عملت الكتلة الوطنية على خلق وحدة حقيقية بين المنطقة الخليفية و المنطقة السلطانية لا يمكن أن تحققها إلا الدعوة السلفية فالدين عامل هام و مؤثر في المجتمع المراكشي خاصة لغياب الأقليات الدينية في مراكش ، و لما التقى الإصلاح الديني بالإصلاح السياسي أصبحت مقاومة الاستعمار غاية يتجمع حولها المراكشيون متعالين عن كل و خلافاتهم والى جانب العمل السياسي الذي قامت به كتلة العمل الوطني فقد كان اختلافاتهم مستمد من روح الدعوة السلفية التي تشبع بها أفرادها يقول علال لها نشاط اجتماعي وديني . الوطنية بتأسيس جمعيات المحافظة على القرآن الكريم و الفاسي في هذا الصدد " قامت حركتنا إلى جانب الاعتقاد كان للحركة السلفية فضل البداية بتجديد أساليب التعليم فأسست في مدينتي فاس و الرباط المراكز النموذجية الأولى للمدارس القرآنية المحدثة و أقبلت النخبة على الاقتداء بدعاة السلفيين فأسست هي الأخرى مدارس حرة تقوم على تطبيق برامج عصرية مصحوبة و القرآني .... و قامت الحركة السلفية من أول يوم بالدعوة إلى تجديد أسلوب بالتعليم الديني الدراسة في جامعة القرويين و المعاهد الدينية " [241] ، يتبين لنا من كلام الفاسي أن كتلة العمل

---

[239] عبد الخالق الطريس : ولد في تطوان و كان من القلائل الذين درسوا في القاهرة في نهاية العشرينات خلف الحاج عبد السلام بنونة بعد وفاته على رأس الكتلة الوطنية لشمال المغرب سنة 1935، اغتيل بالسلاح الأبيض في عرض الشارع (عبد الاله بلقزيز ، الحركة زوال يوم 18 ديسمبر 1975 من طرف أشخاص محسوبين على أحد التنظيمات الأصولية الوطنية المغربية و المسألة القومية ، مرجع سلف ذكره ، ص 271 - 272)

[240] محمد المكي الناصري: ولد في الرباط، ساهم في تأسيس كتلة العمل الوطني، التحق بالمنطقة الشمالية المغربية سنة 1934 و في سنة 1936 أسس حزب الوحدة المغربية عرف بمهادنة السلطات الاستعمارية خاض صراعا حادا ضد حزب الإصلاح الوطني، في بداية الاستقلال ناوأ حزب الاستقلال (عبد الاله بلقزيز ، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية ، مرجع سلف ذكره ، ص 278)

[241] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية ، مصدر سلف ذكره ، ص 133

الوطني كانت تؤكد على اتجاهها السلفي و على أن مشروعها ليس سياسيا فحسب بل ديني و اجتماعي أيضا فمن بين أولويات هذه الحركة التأكيد على انتماء مراكش الإسلامي العربي، و قد كافحت هذه الحركة في سبيل تحقيق أهدافها رغم تعنت الآلة الاستعمارية الفرنسية و الاسبانية ، و قد ظلت كتلة العمل الوطني حزبا منغلقا على نفسه و ظلت قيادته جماعية إلى حدّ صعود الجبهة الشعبية الفرنسية إلى الحكم سنة 1936 فأصبح حينها حزبا منفتحا و أكثر جماهيرية و هنا طُرحت مسألة القيادة و وقع الانشقاق - علّة الأحزاب السياسية المراكشية الدائمة - سنة 1937 بانسحاب محمد بن الحسن الوزّاني من الكتلة إثر انتخاب لجنة تنفيذية للكتلة عُيّن فيها و قد اكتفى رئيس الكتلة الوطنية علال الفاسي في تعليقه أمينا عاما و علال الفاسي رئيسا . على انسحاب الوزّاني بقوله: " بمجرّد ما أعلنت النتيجة أعلن الأستاذ الوزّاني استعفاءه من الكتلة و لا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا الانشقاق الذي حدث و ما نتج عنه و كلّ ما هنالك أن الأستاذ الوزّاني أخذ يعمل لاكتساب أنصار جدد باسم الحركة القوميّة " [242]. و بالفعل فقد أسس الوزّاني "الحركة القوميّة" و انفصل عن الفاسي و جماعته والحقّ أن الزّعيمين الوطنيّين الفاسي و الوزّاني لم يجمع بينهما غير الرّغبة في مقاومة الاحتلال و هما في الحقيقة متناقضين في طريقة التفكير و النظر إلى الأشياء و لم يكن التقاؤهما و عملهما في إطار حركة واحدة إلا إستراتيجية فرضتها الظروف الوطنية لكن هذا الالتقاء لم يطل إذ عصفت به النزعات الشخصية و اختلاف الرؤى و الإيديولوجيات " ذلك أن المطلب الاستقلالي و التّوحيدي هو وحده الذي وحّد بين جماعات تختلف نظرة إلى الأشياء مثل الوزّاني و الفاسي " [243] ، و لما طُرحت مسألة قيادة الكتلة وقع الانشقاق في هذه الكتلة ذلك أن الفاسي و الوزّاني شخصيّتان قياديّتان تتوفّر

---

[242] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مصدر سلف ذكره ، ص 224

[243] محمد الناصر النفزاوي ، التفكير السياسي و الاجتماعي في المغرب الأقصى ، درس عام ألقي على طلبة السنة الأولى ماجستير حضارة معاصرة السنة الجامعية 2003 / 2004

فيهما معا صفات الزّعامة السياسيّة لذلك لا يمكن أن ينضويا في حزب واحد أضف إلى ذلك الاختلاف في النّظرة إلى الأشياء بينهما و يؤكد المفكر المغربي محمد الضريف في كتابه "الأحزاب السياسية المغربية". إن التحول الذي أصاب الكتلة الوطنية و تحولها من حزب منغلق على نفسه إلى حزب منفتح على القواعد الشّعبية هو الذي طرح "مسألة السلطة داخل الحزب إذ أن فكرة القيادة الجماعية لم تعد صالحة بعد هذا التحول" [244] و يؤكد الضريف أيضا على أن علال الفاسي " استغلّ وجود الوزّاني رفقة عمر بن عبد الجليل في باريس لتقديم لائحة المطالب المستعجلة ليدعو إلى عقد المؤتمر الأول لكتلة العمل الوطني يوم 25 أكتوبر 1936 بالرباط و حين عاد محمد الحسن من فرنسا يوم 29 أكتوبر وجد نفسه أمام حزب جديد يقوده شخص واحد هو علال الفاسي و كان علال الفاسي ينتظر فقط مرور بعض الوقت ليضع الوزّاني أمام الأمر الواقع " [245] .

بالإضافة إلى هذا الانشقاق فقد حدث انشقاق آخر في كتلة الشمال نتج عنه تأسيس حزب "الوحدة المغربية" على يدي محمد المكي الناصري و تأسيس حزب الإصلاح الوطني على يدي عبد الخالق الطريس ، و لم تصمد كتلة العمل الوطني أكثر أمام تنكيل الإقامة العامة التي استصدرت أمرا بحلها يوم 8 مارس 1938 و هكذا انفجرت كتلة العمل الوطني و تأسيس الحزب الوطني و بدأت مرحلة جديدة من تاريخ الحركة الوطنية هي مرحلة العمل في ظل الانشقاق فظهرت على الساحة السياسية المراكشية أربعة أحزاب : الحزب الوطني بقيادة الفاسي و الحركة القومية بقيادة الحسن الوزّاني و حزب الوحدة المغربية بقيادة الناصري و حزب الإصلاح الوطني بقيادة الطريس . لكن و رغم هذا التفكك الذي شهدته الحركة الوطنية فان

---

[244] محمد الضريف ، الأحزاب السياسية المغربية ، مرجع سلف ذكره ، ص 24

[245] محمد الضريف ، المرجع السابق ، ص 24

علال الفاسي تمكن من خلق حزب ذي قاعدة جماهيرية متمسك بأصول السلفية التي يرى الفاسي أنها لا تتنافى مع تجديد الأنظمة السياسية و الاقتصادية لان " الإسلام يخاطب الفرد لاسيما كعضو في جماعة و لهذا فهو مهتم بما تحتاج إليه الحياة وسط الجماعة التي أثقلتها الأجيال بأنواع من القيود يجب أن يتحرر منها و عليه ففصل السلطات و مشاركة الشعب في و الانتخاب و المساواة في الحقوق و الواجبات كلها مبادئ ليست تدبير مصالح الدولة جديدة بالنسبة للمسلمين بل هي عقائد جاء بها القرآن و أكدتها السنة " [246] إضافة إلى تمسك الحزب الوطني بالدعوة السلفية فقد أعلن تمسكه أيضا بالنظام الملكي لكنه طالب بتطويره وجعله نظاما ملكيّا دستوريا " وهكذا أصبحت الوطنية المغربية مجسمة في عقيدة بينة هي تحرير المغرب في دائرة دينية مع الإخلاص لعرشه المجيد" [247] ، فالفاسي لا يجد تنافرا بين العقيدة السلفية والنظام الملكي، بل هو يتمسك بالنظام الملكي مع إدخال بعض التحويرات عليه، فالإسلام حسب الفاسي " لا يجب أن يمنعنا من التقدّم" [248] وهو يرى أيضا أنّ النظام الملكي لا يتنافى مع الحداثة، وهذا ما لم يكن بعض الوطنيين يؤمنون به مثل محمد بن الحسن الوزّاني ذي النزعة الحداثية " الذي كان طيلة حياته لا يرى في تحقيق الاستقلال الغاية من النشاط السياسي إذ يشترط الشورى فكأنه يطلب ملكا يملك ولا يحكم وهو يدعو إلى قيام نظام ديمقراطي وهذا هو الاختلاف الأساسي بين الفاسي والوزّاني"[249] ولعلّ هذا هو السبب الرئيسي في دعم السلطان المراكشي للحزب الوطني و حزب الاستقلال فيما بعد.

---

[246] علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مصدر سلف ذكره ، ص 232

[247] علال الفاسي، المصدر السابق ،ص 232

[248] Attilio Gaoudio, Allel El Fassi, op-cit , P31

[249] محمّد الناصر النفزاوي درس عام التفكير السياسي، مرجع سلف ذكره

واصل الفاسي العمل على ترسيخ قواعد السلفية الجديدة التي حاول تحديثها وإعطائها بعدا ليبراليا لكن مع المحافظة على البعد الديني لذلك كان من بين لجان الحزب الوطني لجنة تسمّى "لجنة الإصلاح الديني و الاجتماعي" وقد واصلت هذه اللجنة " العمل لتثبيت دعائم السلفية و مقاومة أدعياء التصوف ونزع الخرافات من الأذهان وشكلت لجنة تابعة لها لتنظيم الوعظ الديني والدعوة لإصلاحه فوضعت خطبا عصرية وسعت لتعيين بعض الشباب المصلح لتولّي مناصب

دينية و اهتمت بجماعات المحافظين على القرآن الكريم فجمعت أشتاتهم وكوّنت منهم لجانا يد (لجنة الإصلاح الديني) و هذه الجمعيات هي التي وحدت القراءة منظمة تتركّز كلّها في القراءة وأنشأت عدّة خزائن ممتلئة بالمصاحف بصوت واحد في المساجد ودعت إلى التجويد في سمعة الوطنيين في وسط في كلّ مكان وقد كان لها دور في الدعاية لنشر الفكرة الوطنية وإعلاء مؤمن بالله" [250] ورغم إضطهاد الإقامة العامة الفرنسية الحزب الوطني وتعريض قادته للاعتقال والنفي والقمع فإنّه واصل مجهوداته وشهّر بالسياسة الفرنسية وأثار الجماهير المراكشية ضدّها لكن كلّ ذلك لم يتجاوز المطالبة بالإصلاحات في إطار نظام الحماية ولم يطالب الحزب الوطني بالاستقلال بل آثر العمل ضمن سياسة المراحل ولما أصبح مطلب الاستقلال ملحّا تأسس حزب الإستقلال سنة 1944 "ويرجع الفضل الأوّل في تأسيس الحزب الجديد إلى الحزب الوطني نفسه فقد فكرت لجنته التنفيذية في ضرورة السير في هذا الإتجاه الحسن ولتتأكد من أن فكرتها متفقة عمليا مع رغبات سائر الطبقات الشعبية دعت لعقد مؤتمر عام يتمثل فيه جميع النزعات السياسية والاجتماعية للبلاد وانعقد هذا المؤتمر بالرباط في 11 يناير – جانفي – سنه 1944 حيث نشأ حزب الاستقلال كحزب مهمّته الأولى هي التحرير

---

[250] علال الفاسي، الحركات الإستقلالية : مصدر سلف ذكره، ص 235

القومي" [251] وقد نشأ هذا الحزب على نفس مبادئ الحزب الوطني تقريبا فقد طالب بملكية دستورية وطالب بعدّة إصلاحات لكنه أضاف "الاستقلال باعتباره مطلبا أساسيا وقد أعلن الحزب الجديد تمسكه بالدعوة السلفية عقيدة ومذهبا للحزب وقد ضمّ حزب الاستقلال أعضاء الحزب الوطني وبرجوازي الحركة الوطنية إلى جانب النخبة المثقفة وعددا كبيرا من الفلاحين والتجار "كما ظهر من سيكونون بعد ذلك الأعضاء الثوريين الشبان في الحزب المهدي بن بركة [252] وعبد الرحيم بو عبيد [253] "[254] ومن هنا تبين لنا أن حزب الاستقلال قد حمل منذ البداية أسباب انفجاره فكيف يمكن أن يلتقي سياسيون شبان ذوو نزعة يسارية تقدمية متكونون تكوينا عصريًا من جذور شعبية مع شيوخ الاستقلال البورجوازي الأصل ذوي النزعة التقليدية؟ وهل يمكن أن ينضوي الاستقلاليون الشبان تحت لواء حزب سلفي النزعة؟

أكد الزعيم علال الفاسي على أن السلفية الجديدة التي نظّر لها هي ركيزة حزب الاستقلال وحاول تطبيقها . و قد وجد هذا الحزب السلفي النزعة قبولا لدى الجماهير المراكشية و وجد كذلك دعما من السلطان محمد الخامس بل يؤكد واتربوري waterbury أن حزب الاستقلال قد

---

[251] علال الفاسي، المصدر السابق ، ص 284

[252] المهدي بن بركة (1920-1965) ولد في الرباط وتلقى فيها تعليما حديثا وتابع تحصيله العالي في الرياضيات في الدار البيضاء والجزائر ، إلتحق مبكرا بالعمل الوطني، عيّن مديرا إداريا للجنة التنفيذية لحزب الإتحاد الوطني للقوات الشعبية، أختطف وأغتيل في باريس في 1965/10/29 (عبد الله بلقزيز، الحركة الوطنية المغربية، مرجع سلف ذكره، ص 271)

[253] عبد الرحيم بوعبيد : (1922-1992) ولد بسلا درس بمعهد مولاي يوسف في الرباط، إلتحق بباريس لمواصلة تحصيله العالي في القانون والإقتصاد، ساهم في تأسيس وقيادة الإتحاد الوطني للقوات الشعبية وفي تأسيس وقيادة الإتحاد الإشتراكي للقوات الشعبية (عبد الله بلقزيز، الحركة الوطنية المغربية، مرجع سلف ذكره، ص 275)

[254] John Waterbury, le commandeur des croyants, op-cit, P 71

تأسس بدعم خفي من السلطان محمد الخامس و قد كان حزب الاستقلال على وفاق تام مع القصر. فالدعوة السلفية التي تبناها الحزب لقيت ترحيبا من لدن السلطان المراكشي و لما كانت السلفية العلالية الجديدة لا تتعارض مع صلاحيات الملك و مع الحكم الملكي بل تدعمها فان العلاقة بين الحزب و القصر كانت ممتازة " لذلك أو كل حزب الاستقلال لجلالة السلطان مهمة وضع نظام ديمقراطي شبيه بنظام الحكومة في البلدان الشرقية المسلمة وضمان حقوق الجميع بمختلف طبقاتهم وتحديد واجباتهم" [255] فحزب الإستقلال وإنطلاقا من الدعوة السلفية التي يتبنّاها لم يمس بصلاحيات الملك ولم يطالب بإلغاء الملكية بل حافظ على مكانة السلطان الدينية والروحية والسياسية لدى المراكشيين ولأن الديني والسياسي في مراكش يسيران في خطين متوازيين لا يتعارضان فقد وجدت السلفية الجديدة قبولا كبيرا لدى المرّاكشيين ومن مظاهر ذلك إتساع القاعدة الجماهرية والشعبية لحزب الإستقلال رافع لواء السلفية الجديدة حتى أنّه في فترة لاحقة ورغم التعددية الحزبية التي عرفتها مراكش كان يُعرف في الأوساط المراكشية " بالحزب" وكأنّه الحزب الوحيد في مراكش وبالفعل فقد مسح حزب الإستقلال الطاولة السياسية المراكشية زمن نشأته بل إكتسح الساحة السياسية بقوّة رغم وجود أحزاب سياسية مراكشية أخرى وبما أنّ حزب الإستقلال ذا توجه ديني واضح يحظى بمباركة العرش الذي يحاول الحفاظ على المظاهر الدينية فإنّ الإتحاد بين العرش والحزب كان حتميا ، مما دفع بالبعض إلى أن يقول للسلطان محمد الخامس " أنت لم تعد سلطان مراكش أنت سلطان الاستقلال »[256] بل إنّ الحزب تمكن في وقت من الأوقات من إقناع السلطان محمد الخامس بان العرش العلوي سينهار من دون دعم الحزب و السؤال المطروح هنا هو ما هي الروابط الحقيقية

---

[255] John Waterbury, le commandeur des croyants, op-cit, P 71

[256] John Waterbury, le commandeur, op – cit , p 72

التي جمعت بين العرش العلوي و حزب الاستقلال و ما هي أسباب دعم العرش هذا الحزب و الدعوة السلفية من وراءه و من ثمة ما هي أوجه توظيف هذه الدعوة الدينية لخدمة ما هو سياسي؟

وجد حزب الاستقلال جماهيرية كبيرة بل كان في بدايته ممثلا لكل طبقات المجتمع المراكشي تقريبا بل يمكن القول أنه حزب « ذوزبونية» حسب عبارة " وتربوري Waterbury " و قد توازت شعبية حزب الاستقلال مع السلطان محمد الخامس الذي كان محبوبا من قبل المراكشيين بسبب مواقفه الوطنية و لعل حزب الاستقلال قد ساهم في تنصيع صورة السلطان المراكشي بل إن البعض يعتبر أن حزب الاستقلال قد ساهم في خلق أسطورة محمد الخامس و بذلك أصبح يتنـزّل منزلة تشلّ كل حركة معارضة صريحة للعرش العلوي.

و إجمالا فقد خلقت السلفية الجديدة زمن نشأتها جوًّا من الوحدة بين المراكشيين الذين اتحدوا فيما بينهم و مع سلطانهم . هذا الانفتاح الشعبي لحزب الاستقلال و اتساع قاعدته جعلاه يضم بين أعضائه شرائح متعددة مختلفة الانتماءات الاجتماعية و متنوعة الإيديولوجيات لا يجمع بينها غير المطلب الاستقلالي و لعل هذا ما آذن بانشقاق حزب الاستقلال سنة 1959 إذ طفت على السطح تناقضاته الكامنة بعد ثلاث سنوات فقط من استقلال مراكش و لم يعد يوجد بعد تحقيق الاستقلال ما يجمع بين جماعات تختلف أصلا في التفكير فنشأت عند ذلك الاتجاهات الفكرية السياسية الكامنة داخل حزب الاستقلال و عملت على أن تمثل نفسها سياسيا من خلال تأسيس أحزاب جديدة كحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي أسسه الجناح المنفصل عن حزب الاستقلال بقيادة المهدي بن بركة و عبد الرحيم بوعبيد و عبد الله ابراهيم[257] قادة الجناح الراديكالي اليساري في حزب الاستقلال الذين تصادمت تصوراتهم و

---

[257] عبد الله إبراهيم (1918 – 2005) ولد في مراكش درس في جامعة السوربون يعتبر أحد أبرز القادة الوطنيين من الجيل الثاني تصدّر النشاط باسم الحزب الوطني و حزب الاستقلال ، أسس في 1959 الاتحاد الوطني للقوات الشعبية و

اتجاهاتهم الفكرية السياسية مع ممثلي اليمين في الحزب الذين واصلوا التمسك بالسلفية الجديدة التي نفر منها شبان الاستقلال و الشوريون أنصار الوزّاني . و ظل علال الفاسي متبنيا للسلفية الجديدة بعد استقلال مراكش و بعد تحوله إلى صفوف المعارضة سنة 1963 و ظل العرش العلوي متمسكا بهذه الدعوة السلفية العلوية العلالية رغم توتر العلاقة بينه و بين حزب الاستقلال فما هي مضامين هذه السلفية التي تمكنت من الصمود في مراكش منذ القرن التاسع عشر و إلى يومنا هذا؟

واصل قيادته و واصل إلى جانب ذلك نشاطا فكريا غنيا في عمقه و تنوعه و واصل التدريس الجامعي كأستاذ للقانون الدولي من مؤلفاته : صمود وسط الأعاصير و أوراق من ساحة النضال (عبد الاله بلقزيز ، الحركة الوطنية المغربية ، مرجع سلف ذكره ، ص 270 – 271)

الفصل الثالث:

مضامين السلفية المرّاكشية العلوية الفاسية

إن تبني مراكش- ممثلة في العرش العلوي وحزب الاستقلال- الدعوة السلفية و اتخاذ الساسة المراكشية هذه الدعوة الدينية عقيدة لهم وركيزة لعملهم السياسي يدفعنا إلى طرح السؤال التالي: ماهي الغاية السياسية من تبني هذه الدعوة الدينية و كيف تم توظيف الدين لخدمة السياسة في مراكش؟

إن الإجابة عن هذا السؤال لن تتاح لنا إلا متى بحثنا في مضامين السلفية المراكشية التي ولدت من رحم الوهابية السعودية. فإلى أي حد كانت السلفية الجديدة المراكشية تخدم الأغراض نفسها التي خدمتها الوهابية السعودية؟

ثم هل أن السلفية العلوية الفاسية قد التزمت بالمفهوم الذي حددته الوهابية السعودية للسلفية أم أنها تجاوزتها و قدمت رؤية جديدة للسلفية انطلاقا من ظروف زمنية و مكانية معينة؟ و هل إن سلفية المشرق و سلفية أختها و ربيبتها في مراكش متحدتان رؤية و أساليب أم أن بينهما تباينا و اختلافا سواء على المستوى النظري أو على المستوي الفعلي و الممارسة؟

تحمل السلفية العلوية العلالية مثل الوهابية السعودية مضامين دينية و سياسة ساهم في بلورتها العرش العلوي و علال الفاسى و كذالك ساهمت الأوضاع الاجتماعية و السياسية التي عاشتها مراكش في تدعيم هذا الاتجاه و احتضان الدعوة السلفية في وقت بدأت فيه الحداثة السياسية تفرض نفسها على العالم. و في وقت ظهرت فيه في المشرق العربي نزعة نحو تدعيم الاتجاه القومي العربي للتعالي عن الانتماءات الدينية و خلق وحدة عربية. اتجهت مراكش نحو تدعيم اتجاهها الإسلامي و تقوية القاعدة الدينية لنظامها من خلال تبني التيار السلفي الذي تجاوزته الأقطار المغربية الأخرى.

نلاحظ أن هناك دائما ارتباطًا بين الديني و السياسي في مراكش و لذلك فقد تم تبني التيار السلفي ببعديه الديني و السياسي. على المستوى الديني اتخذ المراكشيون من الدعوة السلفية

أداة لمحاربة الطرقية و التصوف المنتشرين في مراكش، وجد العلماء المراكشيون في هذه الدعوة سبيلا للقضاء على ما كان منتشرا في مراكش من اعتقاد في الأولياء الصالحين و المرابطين و في بركة "الشرفى" المنحدرين من سلالة آل البيت. وما ترتب عن ذلك من تقديس للأحجار و الأشجار و القبور و بما أن الدعوة السلفية قامت على الرجوع إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي و اعتمدت القرآن و السنة دستورا لها و اعتبرت كل ما يخالفها بدعا فإنها ألغت بذلك كل وساطة بين الله و الإنسان أي أنها رفضت التوسل بالصالحين و حرّمت طلب الشفاعة منهم، و قد حرّمت بذلك كل ما كان سائدًا من معتقدات كالنذر والقرابين و غيرها من مظاهر اعتبرتها السلفية ضربا من الشرك بالله، فالدعوة السلفية أساسها التوحيد الذي ينتفي معه كل شرك بالله . ولما أغرقت مراكش في تمجيد و تعظيم الأولياء و أصحاب الزوايا و أدخلت على الدين أشياء ليست منه ازدهر شأن "طبقة من المشايخ و المرابطين أصبحوا يملكون زمام الأمر في الأمة و يسيرونها في الاتجاه الذي يريدون" [258] لذلك دعا الملوك و السلاطين المراكشين إلى العودة إلى السلفية لمقاومة تفشي الطرقية و الجهل بالدين في المجتمع المراكشي و اتخذوا من السلفية ايديولوجيا الإصلاح الديني و ذلك بالعودة بالأمة" إلى ما كانت عليه في عهد سلفها الصالح من تمسك بالدين و عمل بمقتضياته ومن تنوير للأذهان حتى تفهم الدين على حقيقته و تسيير وفق طبيعته و خطته" [259] ، و قد زاد تحالف الطرقيين مع قوات الاستعمار الدعوة السلفية قوة ورغبة في القضاء على الطرقية فقد أصبح " العلماء كلهم متفقين على ضرورة محو كل مظاهر الجمود و الجحود التي تنشرها طرق خرافية عفى الدهر على و قتها فأصبحت الرسائل و الفتاوي توجه من جامعة القرويين و غيرها من المعاهد الدينية تطلب

---

[258] علال الفاسي، دروس في الحركة السلفية، مصدر سلف ذكره، ص 126

[259] علال الفاسي،المصدر السابق ص 125

من الملك اتخاذ القرارات الحاسمة ضد كثير من المظاهرات الطرقية التي تقام باسم الدين و هي مليئة بالبدع و المنكرات"[260].

أراد السلفيون الجدد المراكشيون إعادة إرساء المجتمع الإسلامي الأول من خلال دعوتهم إلى العودة إلى ينابيع الإسلام و مطالبتهم بإنكار كل ما يخالف هذه الأصول و قد عملوا على منع تغلغل الفكر الخرافي الذي- ارتبط بالإسلام الشعبي- في أوساط المراكشيين خاصة أن "المرابيط" قد مارسوا سلطة روحية كبيرة على المراكشيين، كذلك لعب " الشرفى" أي الشرفاء من آل البيت دورا كبيرا في ترسيخ ظاهرة التبرك و التوسل بالأحياء و الأموات. و قد استغل أدعياء التصوّف ولاء المراكشيين لهم" فخلقوا لأنفسهم باسم التصوّف مركزا خاصا في المجتمع الإسلامي و استغلوا ولاء أفراد المجتمع لهذا الزوايا ليدعوهم إلى عدم مقاومة الاستعمار باسم القضاء و القدر وخلقوا نوعا من الوثنية تتمثل في إيمان المجتمع بالخرافات و البدائيات التي تنسب إلى العلم و تلتصق بالدين و بنوا في عقول الأفراد ثقافة ضحلة لا تنتسب للماضي المشرق للفكر الإسلامي و لا تستجيب لحاجات العصر و لا ترفع مستوى الفكر... فتكون بذلك في المجتمع المغربي فورة من الأجواء الغيبية التي أصبحت وراءها الحقيقة شيئا غير مذكور... وهكذا استطاع هؤلاء الشيوخ الروحيون عن طريق التخدير و التمويه أن ينزعوا من الأغلبية الساحقة للمجتمع أحسن ما لديهم وأن يتسببوا في الانحطاط الاجتماعي و الثقافي وفى تعويق

---

[260] علال الفاسي،المصدر السابق ص 132

حركة الإصلاح و التحديث" [261] لذلك عملت السلفية المراكشية على استئصال هذه الظواهر من المجتمع المراكشي من خلال بث مبادئها الداعية إلى العودة إلى الأصول الإسلامية الأولى المستمدة مباشرة من القرآن و السنة النبوية و يمكن اعتبار علال الفاسي الشخصية السلفية الأبرز في بلاد المغرب لأنه هو الذي نظّرَ للسلفية الجديدة و أرسى مبادئها سواء في مؤلفاته أو في محاضراته أو في نشاطه السياسي و يعتبر الفاسي " أن مراكش مهيأة أكثر من كل بلد إسلامي لقبول الحركات التي تطالب بالعودة للدين الصحيح و العقيدة السنية و يبدو أن بساطة هذه الدعوة ووضوح طابعها يتفق إلى حد بعيد مع سذاجة الصوفية المغربية و حبّ الطبيعة القومية " [262] يحاول الفاسي إيجاد روابط روحية بين السلفية و الطبيعة المراكشية ليؤكد أن السلفية ليست مسقطة على المراكشيين بل هي نابعة من داخلهم لذلك كان الفاسي يعتبر أن العودة إلى الإسلام الصحيح هي أساس الإصلاح الديني و السياسي و الاجتماعي، بل نجد الفاسي يمجّد الماضي و يرى انه" لم تقم ثورة مفيدة في بلد إلا سبقتها دعوة للرجوع للماضي البعيد ذلك أن هذا الرجوع الذي يظهر في شكل تقهقر إلى الوراء هو نفسه تحرير كبير من أشياء كثيرة و ضعتها الأجيال العديدة و العصور المختلفة و التحرر منها هو تخفف يسهل السير إلى الأمام بخطى واسعة و إزالتها من الطريق يفتح أفقا عاليا يهدي السائرين للغاية الصحيحة التي يجب لن يوجهوا أنفسهم إليها" [263].

---

[261] منير الشارني، علال الفاسي و كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها، بحث معد لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الفقه الإسلامي، إشراف الأستاذ عبد القادر قحة، تونس، كلية الشريعة و أصول الدين، السنة الجامعية 1995-1996 صص89-90

[262] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مصدر سلف ذكره، ص 153

[263] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مصدر سلف ذكره ص 153

لا تجد السلفية العلوية تضاربا بين مبادئها الدينية ومفاهيم الحداثة الغربية بل أن الفاسي حاول إيجاد جذورا للحداثة الغربية في الإسلام فالفاسي إلى جانب نزعته الدينية السلفية لا يخفي نزعته الليبرالية و إعجابه بمبادئ الحداثة الغربية التي يرى أن الكثير منها مشتق من مبادئ الإسلام.

و يمكننا اعتبار الفاسي من المفكرين العرب المخضرمين الذين يجمعون بين تيارين لأنّه حاول أن يجمع بين الإسلا و اللبيرالية و قد لخص منهجه و مبادئه في كتابه الهام "النقد الذاتي" الذي أكد فيه على أهمية الإسلام و حركيته وضرورة الالتزام بمبادئه يقول في هذا الصدد: " فواجبنا اليوم أن نهتدي بهدي الإسلام الصحيح و نعمل على تجديد أحوالنا مستمدين من تراثنا ومن تراث غيرنا ومن حاضر الأمم الراقية و تجاربها ما يكون لنا عصر انبعاث حقيقي و يقظة نشطة و استئناف لمواصلة السير نحو المثل الأعلى الذي يملك قلوبنا" [264]

السلفية العلالية – التي أطلق عليها علال الفاسي اسم السلفية الجديدة تمييزا لها عن السلفية المشرقية- رغم أن جوهرها الديني هو الدعوة إلى الرجوع إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي لا تنكر الاجتهاد و لا ترفض الأخذ عن الغرب لان الإسلام دين انفتاح، يقول الفاسي في النقد الذاتي " أن الإسلام حركة ولذلك يجب أن نواصل السير دائما إلى الأمام ... يجب أن نتطور في فهم معانيه و الاهتداء لمغازيه وان لا نحيد عن الطريق التي وضعنا فيها و لكن علينا أن نطور آلة السير و نتخذ من وسائل العصر ما يقينا من الوقوع في تلك الآفات الاجتماعية"[265]

---

[264] علال الفاسي، النقد الذاتي، الرباط، مطبعة الرسالة، 1979، ص 128

[265] علال الفاسي، النقد الذاتي،مصدر سلف ذكره ص 128-129

لقد آمن الفاسي بأهمية الدين في حياة الإنسان و في بناء الحضارات و لقد ربط الفاسي بين نهضة الشعوب و التزامها الديني فهو يعتبر أن " الذين بذلوا الجهود الجبارة ليقظة أروبا و أمريكا لم يكونوا بعيدين عن الله و لا متجردين من مثالية" [266] إذن فالدين قيمة جوهرية لدى الفاسي سواء في حياة الفرد أو الجماعة و هو يعتبر أن المثالية الالهية وحدها هي " التي يمكن أن تسيطر على سلوكنا و تراقب ضميرنا وتقلل من أغراضنا و أهوائنا وتقويه حاستها في النفس هو الذي يعلمنا محاسبة أنفسنا على كل ما نريد من عمل و التفكير بها هو الذي يجعلنا نعشق التقدم دائما و العمل باستمرار" [267]. هنا تتبين لنا بوضوح الروح السلفية لدى الفاسي الذي وجد في السلفية الايديولوجيا المناسبة للإصلاح الديني و السياسي في مراكش، وقد ربط الفاسي كل شيء بالإسلام سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي" وأهم فكرة آمن بها الفاسي هي أن الإسلام دين الحياة المتطورة باستمرار و التجديد فيه لا ينقطع و بذلك اكتسب روحا تقدمية تضمن له تواصل رسالته الخالدة عبر الأجيال فلا بد من اعتماده منطلقا جوهريا للنهضة و التقدم في العصر الحديث" [268] و بذلك كانت السلفية المراكشية بمضامينها الدينية التي تولي الإسلام المقام الأول إيديولوجيا المملكة العلويـة، فالمراكشيون متشبثون بهويتهم الإسلامية خاصة لغياب الأقليات الدينية في مراكش و رغم أن الجوهر الديني للسلفيـة المراكشية هو إحياء الأصول الأولى للدين الإسلامي و إتباع السلف الصالح، فان دعاة السلفية المراكشية و على رأسهم علال الفاسي نادوا بالانفتاح على الآخرين و عدم رفض الاختلاف بل آمن الفاسي بأن الإسلام يخضع للتطور و أنّه ذو صبغة تقدمية لأنه قابل للتجديد و التجدّد يتلاءم مع كل

---

[266] علال الفاسي، المصدر السابق ص 113

[267] علال الفاسي، المصدر السابق ص 133

[268] محمد صالح المراكشي،مقال تأثير محمد رشيد رضا في بعض البلدان الإسلامية، حوليات الجامعة التونسية العدد الرابع و العشرون، تونس،1985،ص 82

عصر و أوان بل إنّ الفاسي يؤكد أن الإسلام " يمنع المسلمين من الانكماش على أنفسهم و الاستسلام لما فعلته عوامل الانحطاط في مجتمعهم بل يدفعهم للاتصال بكل العقول و التنقيب على كل المعارف و التقاط الحكمة من كل الجهات و التطلع دائما إلى كل جديد من شأنه أن يحسن حال الوسط الإسلامي أو يرفع من شأن أفراده أو يساعده على تثبيت رسالته الخالدة" [269]. فالإسلام من منظور السلفية العلالية العلوية لا يعارض التجديد و الحداثة و لا يرفض العلم و التقدم، فالفاسي مثلا لم تمنعه سلفيته من "أن يرى الرأي الجديد المبدع الذي لا يتعارض مع أصول الإسلام في شؤون الاقتصاد و لو تعارض مع الفروع كما رآها الفقهاء أو بعضهم على الأقل "[270] وهنا كأننا نستمع إلى صدى الأفغاني و عبده فمضامين السلفية العلالية الدينية لا تختلف كثيرا عن مضامين السلفية المشرقية النهضوية خاصة على مستوى المبادئ الجوهرية فالإسلام عند الفاسي كما هو عند الأفغاني وعبده قيمة جوهرية بل وأساس كل الأنظمة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و هو عنده " عقيدة و عمل ونظام سياسي و اقتصادي و اجتماعي ... ولكنها يجب أن تتحرر من رواسب عهد التخلف و من كل ما الصقه الجامدون و المتخلفون فكريا بالعقيدة الإسلامية و تلك معركته الأولى من أجل السلفية ضد الطرق و ضد كل العابثين بالإسلام"[271].

---

[269] علال الفاسي، النقد الذاتي، مصدر سلف ذكره، ص 127

[270] عبد الكريم، ملامح من شخصية علال الفاسي، الرباط، مطبعة الرسالة، 1974، ص 129-130

[271] عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي ،مرجع سلف ذكره، ص 135

إن الفاسي رغم تمجيده لماضي الحضارة الإسلامية ووعيه بدور الإسلام في بنائها لعلى وعي أيضا بحتمية التطور و التجديد و بضرورة الاجتهاد لجعل الدين الإسلامي مواكبا للتطورات التي يشهدها العالم، فسلفية الفاسي لم تول وجهها للماضي بالكامل و لم تُعرض تمام الإعراض عن الحاضر و مشاكله بل حاولت أن تتأقلم مع الحاضر بل نجد الفاسي يقدم لنا إستشرافاته للمستقبل. فالسلفية العلالية حاولت تأسيس مجتمع إسلامي تقوم قواعده على الأصول الأولى للدين الإسلامي لكنه مع ذلك مجتمع عقلاني متطور فعلال الفاسي يؤمن بإمكانية التحديث الديني و ضرورته بل لقد حاول رد بعض المقولات السياسية الحديثة إلى أصول إسلامية مثل الليبرالية يقول الفاسي عن ذلك " أن الأفكار الليبرالية الكونية التي نؤمن بها اليوم لها جذور في الثورة الإسلامية الأولى و إن حجبتها الخرافات و ابتعدنا عنها نحن بانحرافاتنا"[272].

السلفية العلالية المراكشية لا تتحرج من الأخذ بوسائل التقدم و الحداثة بل إنّها ترى هذه الوسائل إسلامية في أصلها فالديمقراطية في نظره، قيمة دعا إليها الإسلام و حتى المبادئ التي لم يكن لها جذور في الإسلام فان السلفية العلالية مستعدة لقبولها متى دعت المصلحة العامة إلى ذلك " و هكذا فالجديد لم يعد بدعة كما كان الشأن مع السلفية الوهابية و هو يُقبل ليس فقط لكونه له أصول سابقة في الإسلام كما ترى السلفية النهضوية، سلفية عبده و الأفغاني بل إنه يُقبل أيضا عندما تقره المصلحة العامة" [273].

تتصف السلفية المراكشية بالمرونة و الحركة رغم أن الجذور الأصلية للسلفية ترفض كل جديد و تحرم كل أشكال التجديد. بل نجد السلفية المراكشية تُسقط الالتزام ببعض أسس السلفية

---

[272] Attilo Gaudio, Allal el Fassi, op- cit ,p 31

[273] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره ص 25

الوهابية الهامة من ذلك أنها لا تلتزم بتطبيق مباشر و حرفي للشريعة الإسلامية بل تجيز الاجتهاد خدمة للمصلحة العامة يقول الفاسي: " إنّ تحديث الدين ليس دائما عملية تجميد إنها يمكن أن تعني أيضا ببساطة خالصة التغيير مع الحفاظ على الأصول، إنها الإيمان بالتحديث الدائم" [274] و يرى الفاسي أن هذه الروح التقدمية هي التي مكنت المسلمين في الماضي من بناء الحضارة الإسلامية لذلك فهو يرى أنه من واجب المسلمين مراعاة التطورات التي يعيشها العالم و العمل على مسايرتها و بناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة " و هكذا تتدرج السلفية الوطنية المغربية من الباعث الحنبلي للسلفية الوهابية إلى اعتماد المصلحة العامة(إحدى مرجعيات الفقه المالكي) كقنطرة يمر عبرها و من خلالها كل جديد إلى تبني المبادئ اللبيرالية الأروبية، مبادئ حرية العقيدة و حرية التفكير و حق تقرير المصير و حق تنظيم الأحزاب و النقابات" [275].

يتجاذب السلفية المراكشية على المستوى الديني، إذن قطبان: قطب يربطها بالماضي بالسلفية الوهابية يتجسد في عمل السلفية المراكشية على إحياء أصول الدين الإسلامي و محاربتها للبدع و الطرقية، و قطب يربطها بالحاضر بمتغيراته ومستجدّاته وقيمه السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية الحديثة الغربية المرجع التي حاول السلفيون إمّا ردّ أصولها إلى الإسلام أو قبولها بدعوى أنّ المصلحة العامة فرضتها.

و بما أنّ الديني و السياسي في مراكش مرتبطان منذ زمن طويل، فإن السلفية المراكشية تماما كالسلفية الوهابية السعودية كان لها بعد سياسي يتجسد فيما حملته هذه السلفية من مضامين سياسية تكشف لنا حقيقة التبني المراكشي للدعوة السلفية فقد تبنى العرش العلوي الدعوة السلفية

---

[274] Attilo Gaudio, Allal el Fassi, op- cit ,p 32

[275] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره، ص 26

قصد توحيد مراكش في إطار دولة ملكية مركزية ذات طابع ديني تماما مثلما حدث في القرن الثامن عشر عندما تحالف محمد بن سعود و محمد بن عبد الوهاب لإقامة دولة دينية مركزية و قد وظّف العرش العلوي " السلفية في خدمة المركزية السياسية و الحفاظ على الدولة" [276] فإذا نظرنا في ظروف نشأة السلفية المراكشية وجدنا أن السلفية المراكشية نشأت في مجتمع تميز بالتفكك و الانقسام بين عرب و بربر و بين بلاد سيبه و بلاد مخزن في مجتمع تسوده الروح القبلية الميّالة إلى العصيان لذلك كان خضوع هذه القوى المتنافرة لسلطة المخزن صعبا و من هنا عمل سلاطين مراكش على اللعب على الوتر الحساس لهذه الجماعات و الكتل المتنافرة و هو الإسلام أي المرجع الوحيد الذي يمكن أن يوحّد هذه الجماعات خاصة في ظلّ غياب الأقليات الدينية في مراكش- باستثناء أقلية يهودية هامشية الدور- و لما كانت السلفية تدعم فكرة دينية الدولة و قع تبني الدعوة السلفية لإقامة دولة دينية مركزية تماما كما حدث في النصف الأول من القرن الثامن عشر في نجد بدعوى كسر شوكة القبائل العاصية و مكافحة الطرقية و خلق وحدة بين المراكشيين طالما صبَوْا إليها لذلك عمل السلطان المراكشي محمد الخامس- ومن قبله أسلافه ومن بعد نجله- على أن يخلع على نفسه هالة دينية بوصفه أميرا للمؤمنين و قد ساعده على توطيد هذه الهالة و تدعيمها هالة النسب من جهة و التداخل بين السياسة و الدين في مراكش من جهة أخرى بالإضافة إلى دور العلماء الهام" و لعلّ التفاعل بين الدين و تاريخ الأسرة العلوية قلّما يتخذ من القوة في أي بلد إسلامي آخر ما يتخذه في المغرب فان سلطان المغرب هو أيضا" إمام" أي أنّه الزعيم الروحي للأمة و الواقع أن دوره الديني هو المصدر الأكبر لسلطانه" [277] فانحداره حسب ما يذهب إليه أنصاره من سلالة آل البيت

---

[276] محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع و الدولة في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1966، صص41-42

[277] روم لاندو، تاريخ المغرب العربي في القرن العشرين، مرجع سلف ذكره، ص 21

الشريف- من سلالة فاطمة الزهراء تحديدا- جعله يتبوأ مكانة مقدسة لدى المراكشيين فهو خليفة الله على الأرض وظلّه فشرعيته ليست فقط دنيوية بل هي سماوية بوصفه إماما و خليفة النبي فهو " رأس الأمة و قد يكون أي سلطان قويا أو ضعيفا محبوبا أو مكروها و مع ذلك فقد كان شعبه يحترمه كائنة ما كانت صفاته لم يكن يحترمه لأنه ملك بل لأنه إمام و بذلك فهو خليفة النبي على الأرض"[278] ، فالإسلام عامل هام و فعال داخل المملكة الشريفية ومن خلاله مارس ملوك مراكش سلطة روحية كبيرة على المراكشيين فحتى القبائل العاصية كانت تعترف للملوك و السلاطين المراكشيين بهذه السلطة فقد تنزل السلاطين المراكشين مكانة مقدسة لدى المراكشيين بحكم أن السلطان المراكشي" شريف" بذلك يكون قد ورث " البركة عن أسلافه فالمغربي يعتقد أن هذه البركة التي يرثها السلطان و التي لا يمكنه أن يتخلى عنها قط هي هبة السماء التي تقدسه وتجعل منه شريف البركة في أسرته و بسبب هذه البركة تصبح مكانة السلطان عزيزة المنال حتى أن أخطائه الواضحة يمكن أن يُتغاضى عنها نتيجة وحي إلهي أبعد من أن يدركه العقل ا البشري"[279] لذلك كانت السياسة في مراكش و مازالت تُمارس باسم الدين و قد ساعد على ذلك وحدة الدين و المذهب" فالعلاقة بين السياسة و الدين علاقة سلمية ففي المغرب لا تُمارس السياسة في الدين أو بواسطته من خلال المذاهب و الفرق إذ لا وجود لهذه و لا لتلك إنما تمارس السياسة فيه باسم الدين إما بتكييفها معه أو تكييفه معها"[280].

---

[278] روم لاندو، تاريخ المغرب، مرجع سلف ذكره ، ص 38

[279] روم لاندو، المرجع السابق ، ص 38

[280] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره، ص 46

إن إطلاق لقب" أمير المؤمنين" على الملك المراكشي يبين لنا هذا التداخل بين الديني والسياسي فوظيفة الملك سياسية من حيث هو "أمير" و هي دينية من حيث هو إمام للمؤمنين" و قد استند ملوك مراكش منذ القدم على العلماء الدينيين لإضفاء الشرعية على ملكهم و قد حافظ العرش العلوي على علاقته الودّية مع العلماء لأجل ذلك و بذلك فقد مارس العلماء في مراكش دورا أساسيا- و إن كان شكليا- إضافة إلى دورهم الديني و العلمي، يقول احد العلماء عند تنصيب أحد السلاطين المراكشيين " فليعلم سيدنا أن الأرض و ما فيها ملك لله تعالى لا شريك له و الناس عبيد لله سبحانه و إماء له و سيدنا واحد من العبيد و قد ملكه الله عبيده ابتلاءا و امتحانا فإن قام عليهم بالعدل و الرحمة و الإنصاف و الإصلاح فهو خليفة الله في الأرض و ظل الله على عبيده و له الدرجة العالية عند الله و إن قام بالجور و العنف و الكبرياء و الطغيان و الإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته و متسلط و متكبر في الأرض بغير الحق و متعرض لعقوبة مولاه الشديدة و سخطه"[281] ومن هنا يمكن أن نفسر سر اتفاق أغلبية المراكشيين على شعار "الله، الملك، الوطن" الذي ظل فاعلا في مراكش.

يتميز المجال السياسي المراكشي بالإيغال في التقليدية باعتناقه تقاليد سياسية موروثة منذ أيام الموحدين بل يمكننا أن نقول إن مراكش مارست الحكم التيوقراطي المستند على الحق الإلهي الذي كان سائدا في أروبا في القرون الوسطى، و قد تم توارث هذه البنية السياسية التقليدية التي يتنزل فيها الملك مكانة هامة تجعله مفتاح النظام في مراكش تتجمع بين يديه أهم السلطات السياسية و قد عمل العاهل المغربي محمد الخامس على المحافظة على هذا الإرث السياسي

---

[281] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره ، ص 130

و على إحيائه وتبني الدعوة السلفية التي تدعم هذا المسار، و قد وجد العرش العلوي و علال الفاسي الزعيم السلفي و الوطني في السلفية الايدولوجيا المناسبة لتحقيق الوحدة بين المراكشيين و إخضاع القبائل العاصية التي شكلت و كانت دائما تشكل قوى يخشاها العرش العلوي و يمثل دخول الاستعمار في اللعبة السياسية المراكشية عاملا دافعا إلى تبني الايديولوجيا السلفية، فقد وجد السلطان محمد الخامس و الوطنيون المراكشيون في هذه الدعوة السلفية الايديولوجيا المناسبة لمقاومة الاستعمار و الوصول بمراكش إلى الاستقلال من خلال مركزة الحكم " فان النزعة نحو التضامن بفعل الأخطار الخارجية. وبفعل الوقوف على أرضية معيارية واحدة تدفع نحو إقامة مركز سياسي" [282] فوجود عدو خارجي يهدد هذه الكتل المراكشية المتنافرة جعلها تتكاتف حول الدعوة السلفية أي حول الإسلام - العامل المشترك بينها- لتحارب عدوا مشتركا وقد بارك السلطان محمد الخامس هذا التوجه خاصة أنه دعم صورته بوصفه أميرا للمؤمنين ويقود الجهاد الديني ضد أعداء الله و الإسلام تماما كما حدث في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر عند ما تولى محمد بن سعود الجهاد في سبيل التحرر من ربق العثمانيين وكما فعل عبد العزيز آل سعود في القرن العشرين عندما استأنف النضال ضدهم و ضد أعداء دولته وبذلك حقق السلطان محمد الخامس هدفه و هو الالتفاف حوله باعتباره رمزا دينيا و سياسيا و بذلك يكون قد قام بإحياء البنية السياسية التقليدية المراكشية من خلال السلفية و قد ساعده حزب الاستقلال على تحقيق ذلك. فالرغبة في المحافظة على مركزية السلطنة العلوية و على وحدة الشعب المراكشي و التفافه حول سلطانه كانت الغاية من تبني الدعوة السلفية الجديدة وبذلك تصبح الغاية من اللجوء إلى الدين- ممثلا في الدعوة السلفية- هي الحفاظ على العرش العلوي الذي بدأت تتهدده أخطار خارجية و من هنا تولدت الحاجة إلى إضفاء اللبوس الديني على

---

[282] محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع و الدولة في المغرب العربي، مرجع سلف ذكره ص 15

السلطان محمد الخامس. بالإضافة إلى هذه الأخطار الخارجية فقد توجس السلطان محمد الخامس خيفة من خطر داخلي تمثل في تأسيس محمد بن عبد الكريم الخطابي جمهورية الريف هذا الكيان السياسي الذي كاد يتهدد العرش العلوي لذلك أصبح تبني الدعوة السلفية ضرورة خاصة مع إعلان فرنسا الظهير البربري سنة 1930 الذي حاولت من خلاله تدعيم الانقسامات الإثنية في مراكش من خلال خلقها لكيان بربري مستقل عن الكيان العربي، في المقابل وجد العرش العلوي ورجال الحركة الوطنية في الدعوة السلفية الورقة الرابحة التي راهنوا عليها لخلق الوحدة بين العرب و البربر باسم الإسلام و من هنا كانت الدعوة السلفية الأساس الذي انبنت عليه الحركة الوطنية المراكشية التي بموجبها تعالى المراكشيون على اختلافاتهم و التفوا حول ملكهم لمقاومة الاستعمار و بذلك كانت السلفية المراكشية ذات مضمون وطني مثلما كانت الوهابية ذات مضمون سياسي وطني" وبقيت الكلمات الثلاث: الله، الملك، الوطن، دائمة الحضور..... للتعبير عن وحدة البلاد وشرعية النظام و الدلالة على قوة الملك الرمزية"[283] لقد دعم الفاسي التوجه الملكي فقد آمن ببنية الدولة ولم يعارض النظام الملكي وذلك انطلاقاً من توجهه السلفي لكنه أراده نظاما ملكيا دستوريا اقتداء بالمثال الانقليزي وهو يدعو المراكشيين إلى النظر إلى" صاحب العرش- جلالة الملك- كشخصية فوق الأحزاب وسائر الاعتبارات السياسية التي يمكن أن يتنافس فيها الرأي العام بصفته الحارس الأمين لسير السلطة و أعمالها و يجب أن تتكون من حوله صوفية الاستقرار الحكومي و الوعي الوطني و الاستمرار الوجودي للدولة" [284] يتبين لنا أن تعلق الفاسي بالعرش العلوي هو تعلق صوفي أراد أن يسحبه على كامل الشعب المراكشي و يؤكد الفاسي على ضرورة " التضامن التام بين الملك و بين الحكومة

---

[283] محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع و الدولة، مرجع سلف ذكره، ص 166

[284] علال الفاسي، النقد الذاتي، مصدر سلف ذكره، ص 153

و الأمة لحماية التراث الروحي و المادي لهذا الشعب المجيد ...لأن الكل متفق على أن الخير في تحقيق إرادة الأمة على أساس العرش بالشعب و الشعب بالعرش" [285].

هذا الانصهار بين الملك و الشعب في ظل دولة دينية مركزية ملكية، الذي نادى به الفاسي و العرش العلوي ودعماه بتبني الايدولوجيا السلفية لم يمنع الفاسي الزعيم السلفي من المطالبة بتحديث جهاز الدولة و إضفاء الحداثة على الجهاز السياسي التقليدي الذي ورثه العرش العلوي و عمل على إحيائه و المحافظة عليه فهو يطالب " بتطبيق أحدث الأنظمة الديمقراطية و الأساليب التي تحقق هذه الديمقراطية لأنها لا تخالف أساس الشورى في الإسلام مادامت لا تتعارض مع إرادة الشعب و لاستثني طائفة أو طبقة من الشعب" [286] ، فالسلفية الفاسية رغم مساندتها الحكم الملكي ورفضها فكرة لا دينية الدولة ترفض الحكم الديني التيوقراطي و تطالب بحكم مدني دستوري و بممثلين للشعب ضمن نظام برلماني يضم ممثلي الشعب.

حاولت السلفية الجديدة إدخال بعض المضامين الليبرالية الحديثة كالديمقراطية و حرية التعبير و الاعتقاد و إقامة المجالس النيابية و تحديث الأنظمة الإدارية و العسكرية و الاقتصادية و بناء دولة عصرية حديثة مستقلة" لم يكن المضمون الوطني الليبرالي للسلفية الجديدة بالمغرب نتيجة تطور داخلي للفكر السلفي ذاته بمقدار ما كان نتيجة التعامل سلبا و إيجابا مع دولة الحماية أعني نتيجة النضال ضدها بوصفها تجسم الاحتلال و تعمل على تعميقه من جهة و نتيجة كذلك لتأثيرها في المجتمع المغربي و الذهنية المغربية بما غرسه من بنيات حديثة اقتصادية و اجتماعية و ثقافية ذلك انه بمقدار ما كانت تطالب الدولة الحامية بتعميم النظم الحديثة،

---

[285] علال الفاسي، المصدر السابق، ص 157

[286] عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي ،مرجع سلف ذكره ،صص 135-136

نظم الدولة العصرية على المجتمع المغربي ككل" [287] هذا الاحتكاك بالدولة الغازية ولّد الانفتاح على القيم و النظم الغربية الحديثة التي لم تجد فيها السلفية الجديدة ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية فالفاسي مثلا يعتبر فصل السلطات ابتكارا إسلاميا لا غربيا عرفه المسلمون في صدر الإسلام.

لقد تبنت السلفية المراكشية البنية السياسية المراكشية التقليدية و أضافت على البنية و الخصوصية ذاتها طابع الحداثة بحكم بروز نخبة من الشباب المثقف الواعي الحامل للإرث السياسي المراكشي التقليدي و المتشبع بالقيم السياسية الحديثة التي أورثته إيّاها المدرسة الاستعمارية فكانت بذلك" دمقرطة الملكية الشريفة القديمة و بناء نظام عصري من القواعد الأساسية لبرنامج الحركة الوطنية و لقد كان المناضلون يطمحون إلى الموائمة بين المؤسسات المغربية التقليدية و بين مثل الديمقراطية و العدالة الاجتماعية" [288] فتسربت بذلك إلى المضامين السياسية التقليدية السلفية مضامين آخذة بالحداثة السياسية مع الإبقاء دائما على المؤسسات المراكشية التقليدية السياسية منها و الدينية رغم دخول مراكش بعد استقلالها في طور التحديث السياسي بظهور الأحزاب السياسية و البرلمان و الدستور و لكن رغم ذلك تواصل تبني الايديولوجيا السلفية ذلك أن الديني يستعمل دائما في مراكش لشرعنة السياسي و رغم توفر مراكش على مؤسسات سياسية و اقتصادية حديثة و إقامتها نظما إدارية و اجتماعية حديثة فإنها تحتفظ بمؤسساتها التقليدية كإمارة المؤمنين لذلك ظل وفاء المراكشيين للسلفية و الإسلام دائما متواصلا. عمل الفاسي و بقية الأحزاب السياسية المراكشية بعد استقلال مراكش

---

[287] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره، صص28

[288] محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع و الدولة، مرجع سلف ذكره، ص 89

على تطوير المؤسسة الملكية حتى يكون التفاف المراكشيين حول العرش لا حول شخص الملك، كذلك عمل على إدخال القيم الديمقراطية الحديثة إلا أن القصر لم يقبل تحديد صلاحيات الملك و أصرّ على الإبقاء على المفهوم السلفي للملكية الدينية و لعلّ هذا الاتجاه سيتدعم أكثر مع تسنّم الحسن الثاني[289] لعرش والده فالحسن الثاني رغم افتتانه بالعقلية الأوربية و إيمانه بالحداثة على المستوى الاقتصادي فهو يحمل نظرة ضاربة في التقليدية على المستوى السياسي فهو يؤمن بشخصنة الحكم " و يرد هذا المعتقد السياسي إلى الإسلام و يفسر هذه الشخصنة تفسيرا يكاد يكون صوفيا وذلك في كتابه التحدي إذ يقول" شخصنة النظام هذه إنما تعتبر عن حالة واقعة ملازمة لطبيعة شعبنا الروحية و المدنية باعتباره شعبا مؤمنا..... لِمَ لا يكون من حق المواطنين المراكشيين أن يؤمنوا بالله كما يرد هذا المصطلح من ناحية أخرى إلى طبيعة الشعب المراكشي التي تطلب في نظره الاندماج بين الملك و الشعب اندماجا يرفض كل وساطة حزبية بينهما" [290] وبذلك يكون الحسن الثاني قد عاد بنا قرونا إلى الوراء بينما حاولت السلفية المراكشية العلالية أن ترسم ملامح سلفية جديدة منفتحة لا تقف عند الماضي بل تستشرف المستقبل.

لعل ما يميز السلفية العلالية على المستوى السياسي هو تلك النظرة إلى الوحدة الإسلامية التي يؤمن السلفيون المراكشيون باستحالة تحقيقها ضمن وحدة سياسية لذلك عملت على تحقيق الوحدة الوطنية داخل القطر الواحد وذلك" باعتماد القومية المبنية لا على الروح العنصرية أو الدينية و لكن على أساس الروابط الإقليمية (الوطنية) مجندة لتبرير ذلك ما عرف في

---

[289] الحسن الثاني: الحسن بن محمد بن يوسف العلوي ملك المملكة المغربية ولد في الرباط سنة 1929، ارتقى العرش بعد وفاة والده محمد الخامس سنة 1961(المنجد في اللغة و الأعلام، مرجع سلف ذكره ص 236)

[290] محمد الناصر النفزاوي، درس عام التفكير السياسي، مرجع سلف ذكره

الإسلام من تسامح و ما تدعو إليه وحدة الدفاع عن جانب من جوانب الجبهة الإسلامية دون التعرض لما يرمي به الأجانب المسلمين من تعصب وضيق في الأفق و مستندة لما فهمه المسلمون من ضرورة حب العائلة و المال لصالحها دون أن يكون في ذلك ما يتنافى مع الأخوة العامة بين أبناء الإسلام ولكن هذه القومية القطرية أو بالأحرى الوحدة الوطنية داخل القطر الواحد لا ينبغي أن تضيق إلى حد أن تحول بين التقارب المطلق بين سائر الشعوب الإسلامية و العربية بصفة خاصة و إلا أصبحت عنصرية تتنافى مع الأصل الأصيل للدين الإسلامي" [291] إن هذا الموقف ربما يفسر بأن المطلب الوحدوي في مراكش ذاتها لم يكن سهل المنال فما بالك بوحدة قومية على المستوى الإسلامي و لعل المطلب الوحدوي المراكشي و القضية الوطنية قد كانا الهم الرئيسي السلفيين المراكشيين.

مثلث السلفية الوهابية ببعديها الديني و السياسي، إذن، الايديولوجيا الأنسب للمجتمع المراكشي بخصوصياته السياسية و الاجتماعية فقد كانت سلاحا دينيا لمحاربة الطرقية ومظاهر الزيغ عن الدين بالعودة إلى أصوله الأولى وكانت أداة سياسية لبناء دولة مركزية ملكية ذات طابع ديني وخلق الوحدة بين المراكشيين و مقاومة الاستعمار كل ذلك باسم الدين. لكن هذه السلفية التي كانت أساس الحركة الوطنية المراكشية و عقيدة لأهم حزب في مراكش- حزب الاستقلال- لم يعدّ يرى فيها شبان حزب الاستقلال الايديولوجيا المناسبة ورأوا فيها رجعية في حين استمر شيوخ الاستقلال وعلى رأسهم علال الفاسي- في تبني هذه الايديولوجيا و هذا ما سبّب انفجار حزب الاستقلال الذي تسربت إليه بعض الايديولوجيات المادية و ظّل العرش العلوي إلى اليوم متمسكا بالتيار السلفي رغم أن مراكش قطعت شوطا هاما في مجال الحداثة و يفسر هذا التعلق بهذه الدعوة السلفية بالبحث الدائم لملوك مراكش عن الدعم الديني لملكهم ذي الأساس الديني.

---

[291] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره، ص 26

الفصل الرابع:

أوجه الائتلاف و الاختلاف بين

الوهابية

و السلفية العلالية الفاسية العلوية

الدعوة الوهابية السعودية و السلفية المراكشية العلالية هما في الواقع امتداد لدعوة ابن حنبل و ابن تيمية من بعده ، و هما تمثلان الظهور العصري للحركات السلفية السابقة وكم ظهور هاتين الحركتين في فترتين زمنيتين متمايزتين فان إحداهما أثرت في الأخرى و نظرا إلى اختلاف البيئتين السعودية و المراكشية و اختلاف المهاد الزمني فان الوهابية السعودية و السلفية المراكشية بقدر ما تلتقيان تفترقان نظريا و عمليا لكن السبل مهما اختلفت فان الغاية واحدة و لذلك فالوهابية السعودية و السلفية المراكشية هما وجهان لعملة واحدة . فما هي إذن أوجه الائتلاف و الاختلاف بين الوهابية السعودية و السلفية المراكشية ؟

هناك أوجه ائتلاف عديدة بين الوهابية السعودية و السلفية المراكشية على المستويين الديني و السياسي . على المستوى الديني تتفق الدعوتان على أن ما أصاب مجتمعهما من تدهور و ركود فكري و تخلف سببه ما أصاب هذه المجتمعات من تصدع في معتقداتها الدينية و زيغ و انحراف عن أصول الإسلام و ترى هاتان الدعوتان أن الحل يتمثل في العودة إلى أصول الإسلام الأولى و في إتباع القرآن و السنة و بذلك فهاتان الحركتان هما حركتا إصلاح ديني نشأتا نتيجة ما انتشر في المجتمع النجدي و المجتمع المراكشي من بدع و طرق صوفية و زيغ عن تعاليم الدين الإسلامي ، تشترك، هاتان الحركتان في رفضهما لواقع و في مطالبتهما بالإصلاح الذي يمثل أساسا في العودة إلى ينابيع الإسلام الأولى و محاربة كل ما يخالف ذلك . لا ترى الوهابية السعودية و كذلك السلفية المراكشية طريقة للإصلاح و النهوض بحال الأمة غير إحياء أصول الإسلام الأولى و الاقتداء بالسلف الصالح لأنهما حركتان تمجدان الماضي و تعتبران أن لا مخرج من الانحطاط الذي أصاب المسلمين إلا بالعودة إلى الماضي الذي ترى فيه الحركات الماضوية النموذج الأمثل للمجتمع الإسلامي ، يقول الفاسي « لو أن المسلمين أقاموا ما انزل إليهم ربهم و ما علمهم من أمر دينهم و دنياهم لما أصابهم ما أصابهم و لظلوا

كما كانوا قدوة العالم و غرّة في جبين الإنسانية " [292] و نفس هذه الأفكار دعا إليها محمد بن عبد الوهاب.

إلى جانب التقاء الدعوة الوهابية السعودية و السلفية المراكشية في الغاية فإنهما تلتقيان أيضا في كونهما نشأتا في بيئة تميزت بانتشار واسع للبدع المتمثلة في التوسل بالصالحين و طلب الشفاعة و الاعتقاد في الأولياء و تميزت هذه البيئة أيضا بممارسة الطرقيين سلطة روحية كبيرة الشيء الذي روّج للفكر الخرافي الانهزامي .

رغم ما شهدته أروبا من تطور و تقدم في القرن الثامن عشر – زمن نشأة الوهابية السعودية – و في القرن العشرين- زمن نشأة السلفية المراكشية – فإن الوهابية السعودية و السلفية المراكشية لم تجدا في قيم الحداثة الغربية ما يناسب مشاريعهما النهضوية و الإصلاحية . و بذلك تكونان قد تجاهلتا الغرب بحداثته وفلسفته و عقلانيته و أوليتا الماضي وجهيهما .

يعتقد الوهابيون و كذلك السلفيون المراكشيون أن الإسلام هو الأنسب لمجتمعيهما و متى زاغا عنه اختل هذان المجتمعان لذلك ردّوا جميع مصائبهم و خيباتهم إلى ابتعادهم عن تعاليم الإسلام الأولى، و يتفق السلفيون المراكشيون مع الوهابيون على أن المجتمع الإسلامي الأول الذي سار على تعاليم القرآن و السنة هو المجتمع الأمثل و بذلك فصلاح الأمة في العودة إلى ينابيع الإسلام . و هكذا تكون السلفية المراكشية قد التقت بالوهابية السعودية على مستوى نقطة البداية " و هي ضرورة العودة بالأمة إلى ما كانت عليه في عهد سلفها الصالح من تمسك بالدين و عمل بمقتضياته

و من تنوير للأذهان حتى تفهم الدين على حقيقته و تسير وفق طبيعته و خطته" [293].

---

[292] علال الفاسي ، " الشيخ محمد عبده موقفه من الشبه و المتشابه" ، دعوة الحق الرباط ، العدد السابع ، السنة الأولى مارس 1958 ص2 .

علال الفاسي المبلور للسلفية المراكشية لا تختلف نظرته المستقبلية كثيرا عن نظرة محمد بن عبد الوهاب فكلاهما يرى أن المستقبل للإسلام و المسلمين إذا التزموا بقواعد السلفية الصحيحة ، يقول الفاسي " مستقبل الإسلام إنما هو في نجاح السلفية الصحيحة أي في أن يقتنع المسلمون بضرورة العمل بكتاب الله و سنة رسوله" [294] .

إن تأثر الفاسي بابن عبد الوهاب على المستوى الديني واضح جدا فهو يجاريه في مثاليته الروحية الدينية فكلاهما يرى أن الإسلام – الأصلي – الحل لكل المشاكل باعتباره دُنيا و دينًا و يرى ابن عبد الوهاب " أن لا سبيل لإنقاذ المسلمين مما هم فيه إلا بالرجوع إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الغير ملوث و لا مشوب بالبدع و الخرافات و العودة إلى نصوص كتاب الله المجيد و أحاديث الرسول الكريم الصحيحة و السير على طريقة السلف الصالح و توحيد كلمة المسلمين و الابتعاد بهم عن التفرقة البغيضة و محاربة البدع و الخرافات التي أُدخلت على الإسلام عبر العصور الغابرة " [295] .

يفسر هذا التماهي بين الرجلين على المستويين الديني و الفكري بنوع التكوين الذي تلقياه فكلاهما تلقى تكوينا دينيا و نشأ في بيئة دينية و قد عزّزت العائلة هذه التنشئة بحكم أن الرجلين سليلا عائلتين أغلب أفرادهما فقهاء و مفتين وقضاة كذلك تأثر الرجلان بأقطاب السلفية إبن حنبل و إبن تيمية. أخذت سلفية الفاسي على المستوى الديني من الوهابية الشيء الكثير رغم أن الفاسي لم يزامن ابن عبد الوهاب و يمكننا اعتبار سلفية الفاسي امتدادا للسلفية الوهابية بل البعض يعتبر الفاسي قد تجاوز " سلفيي الشرق لدرجة يعمى فيها بصره عن كل الحقائق الماثلة

---

[293] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية، مصدر سلف ذكره ، ص 128

[294] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية، مصدر سلف ذكره ، ص 142

[295] حسين خلف الشيخ خزعل، تاريخ الجزيرة ، مرجع سلف ذكره ، ص 65

بين يديه مصرّا على موقف ذاتي و روحي صرف يتجاوز حقائق الواقع و حقائق التاريخ من أجل هدف واحد و هو خلق الثقة بالذات و الإيمان بأن المستقبل هو للإسلام و المسلمين " [296] قد يكون في هذا الرأي بعض المغالاة لكن الأكيد أن الفاسي قد تأثر بالدعوة الوهابية خاصة أن البيئة التي نشأت فيها الوهابية تماثل البيئة التي نشأت فيها السلفية الفاسية العلوية من حيث انتشار البدع و الطرقية.

بما أن الوهابية السعودية ذات بعد ديني و بعد سياسي ، فأن تأثر السلفية الفاسية العلوية بالوهابية السعودية كان على المستوى الديني و السياسي . فمثلما حدث التحالف بين القلم الوهابي و العرش السعودي حدث التحالف بين القلم الفاسي و العرش العلوي . فقد وجد حزب الاستقلال – ممثلا في علال الفاسي – و العرش العلوي ممثلا في - الملك محمد الخامس- في الايديولوجيا الوهابية السعودية النظرية المناسبة التي يمكن تطبيقها من أجل توحيد القوى النافرة في مراكش، فكما اتخذ ابن سعود من الدعوة الوهابية أداة لكسر شوكة القبائل النافرة في وسط الجزيرة العربية، اتخذ العرش العلوي بمعية الفاسي من نفس هذه الإستراتيجية أداة لتوحيد بلاد السيبة ، و بذلك تلتقي الوهابية السعودية بالسلفية العلالية العلوية في اتخاذها الدعوة الدينية استراتيجية لتحقيق الوحدة في إطار دولة ملكية مركزية ذات طابع ديني و هي غاية لا يمكن أن تتحقق في مراكش و لا في الجزيرة العربية إلا متى وُظّف الإسلام عاملا موحدا لمختلف القوى النافرة فالمجتمع المراكشي و كذلك مجتمع الجزيرة العربية يفتقران إلى الوحدة ، تتصارع في الجزيرة العربية القبائل و الإمارات على الزعامة و لا تنضوي تحت مظلة سياسة واحدة و لا

---

[296] علال الفاسي ، دروس في الحركة السلفية، مصدر سلف ذكره ، ص 88

تختلف الوضعية السياسية و الاجتماعية في مراكش عن الأوضاع في الجزيرة العربية، فمراكش تعيش حالة التفكك نفسها فهي منقسمة بين عرب و بربر و بين قبائل عاصية و أخرى خاضعة و بين بلاد مخزن و بلاد سيبه لا تعترف بسلطة السلطان المراكشي ، في هذا الجو من التوتر و الانقسام و التشرذم وجد السعوديون و من بعدهم الساسة المراكشيون في الدعوة السلفية الحل الأمثل لتحقيق الوحدة السياسية في مجتمعيهما اللذين يحلّان الإسلام محلًا مركزيا ، و اللذين لا يلائمهما إلا النظام الملكي القائم على المركزية و تشترك السلفية العلالية مع الوهابية السعودية في رفض فكرة لائكية الدولة و في التمسك بفكرة دينية الدولة لذلك وجدت السلفية العلالية العلوية في الدعوة الوهابية السعودية الاستراتيجية المناسبة لتحقيق برنامجها السياسي

و الديني فاعتناق الملك المراكشي مثل هذه الدعوة الدينية مكنه إلى حد ما من توحيد المراكشيين من حوله باسم الدين بحكم انه الممثل الأول للدين الإسلامي فهو أمير المؤمنين و الإمام و الخليفة و بذلك تكون السلفية العلالية العلوية قد التقت بالوهابية السعودية على مستوى إحياء البنية السياسية التقليدية في مجتمع لا يعرف الحداثة السياسية أصلا.

تشترك السلفية العلوية العلالية إذن مع الوهابية السعودية على المستوى السياسي في توظيفها للدعوة الدينية لتحقيق وحدتها السياسية و لخلق دولة مركزية دينية و في محافظتها على بنيتها السياسية التقليدية و من وجوه الائتلاف أيضا بين السلفية المراكشية و الوهابية السعودية نجاح العرش العلوي و النخبة السلفية من حوله في جعل حربهما التحريرية ضد المستعمر ذات طابع ديني و جعلها ضربا من الجهاد الديني ضد عدو خارجي واحد من أهم مشاريعه الاستعمارية ضرب الإسلام و القضاء عليه ، تماما مثلما حدث في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في الجزيرة العربية حيث اعتبر ابن سعود حربه ضد العثمانيين هي ضرب من الجهاد باسم الدين خاصة أن الوهابيين السعوديين اعتبروا العثمانيين خارجين عن الدين الإسلامي الحق، كذلك اعتبر الفاسي المشروع الاستعماري مشروعا تمسيحيا و حملة صليبية

جديدة ، يقول الفاسي في النقد الذاتي " جيش الغزو الفرنسي الذي فرض حمايته على البلاد جيش غايته القضاء على الإسلام و إحلال المسيحية مكانه ، لا مجرد غزو استعماري يبحث عن مصالح مادية" [297] و بذلك تحولت السلفية المراكشية إلى سلفية وطنية ، مثلما تحولت الوهابية السعودية إلى حركة وطنية، و قد وظفت الدعوتان « الدين» لامتصاص الاختلافات و الانقسامات الموجودة بين السعوديين و المراكشيين و لتوحيد صفوفهم ، كما وجد السعوديون في الوهابية الشوكة التي مكنتهم من القضاء على أعدائهم و على الوجود العثماني في شبه الجزيرة . حاول العرش العلوي و حزب الاستقلال الاستناد إلى نفس الايديولوجيا لتوحيد المراكشيين و لتجاوز اختلافاتهم و خلافاتهم للوصول في الأخير بمراكش إلى الاستقلال ، لذلك تبنى حزب الاستقلال العقيدة السلفية لكن و بمجرد الاستقلال طفت على السطح تناقضاته و تفرق قادته الذين .لم تجمع بينهم غير الرغبة في الاستقلال.

رفضت السلفية العلالية العلوية تماما كما رفضت الوهابية السعودية الحداثة السياسية رغم أن كلتيهما نشأتا في ظروف برزت فيها قيم الحداثة السياسية في الغرب و مع ذلك عمل العرش السعودي و العرش العلوي على إحياء مفاهيم سياسية دينية تقليدية كالإمارة و الخلافة، و نجد الدور الذي قام به محمد بن عبد الوهاب في دعم العرش السعودي لا يختلف كثيرا عن الدور الذي قام به علال الفاسي في دعم العرش العلوي فمثلما وقع التحالف بين القلم الوهابي و العرش السعودي وقع التحالف بين القلم الفاسي و العرش العلوي.

---

[297] علال الفاسي، النقد الذاتي ، مصدر سلف ذكره، ص 87

لا يمكننا إنكار أثر الدعوة الوهابية الكبير في السلفية العلوية العلالية لكن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بوجود اختلافات بين الدعوتين على المستوى الديني و على المستوى السياسي و لعلّ في نعت الفاسي سلفيته بالسلفية " الجديدة إقرارا بالتمايز بين الوهابية السعودية و السلفية العلوية الجديدة . ذلك أن السلفية المراكشية قد أخذت من الوهابية السعودية أشياء و أضافت إليها أشياء و أسقطت أشياء أخرى و هذا أمر طبيعي فرضه الاختلاف بين البيئتين السعودية و المراكشية فالقرن الثامن عشر ليس القرن العشرين و نجد ليست مراكش ، و أكيد أن تفكير ابن سعود و تفكير الملك محمد الخامس مهما التقيا يختلفان كما يختلف علال الفاسي عن محمد بن عبد الوهاب . كل هذه الاختلافات جعلت السلفية العلوية العلالية تختلف عن الوهابية السعودية في عدة وجوه.

رغم أن السلفية المراكشية هي امتداد للدعوة الوهابية و رغم أنها تلتقي معها في عدة وجوه فإنها خلقت لنفسها طابعا مميزا ، فعلى المستوى الديني رغم إيمان الفاسي – و هو المبلور الأول للسلفية الجديدة – بانّ صلاح المجتمع المراكشي في إتباعه السلف الصالح فأنه مع ذلك مؤمن بانفتاح العقيدة الإسلامية و هو مؤمن بضرورة الاجتهاد ، و على العكس من الوهابية السعودية فأن السلفية العلوية العلالية تؤمن بضرورة " التوفيق بين الدين و مقتضيات المدنية الحديثة و الدعوة إلى الاقتباس من الغرب في حدود ما ينفع المسلمين و يدفع عجلة التطور عندهم " [298] في حين أن الوهابيين اعتبروا مجرد التعامل مع الغرب ضربا من الكفر و يمكن القول إن السلفية المراكشية أقل " رجعية " من الوهابية السعودية التي رفضت الحداثة الغربية بكل أشكالها في حين أكدت السلفية العلالية على الروح التقدمية للإسلام باعتباره متجددا ، لم ترفض السلفية المراكشية الجديد كلّية بل قبلت بعض الأمور الحادثة التي اعتبرتها الوهابية

---

[298] سليمان الشواشي، مفهوم السلف و السلفية ، مرجع سلف ذكره، ص 223

بدعة ، مستندة في ذلك إلى المصلحة العامة ، و على عكس الوهابية السعودية لم تناد السلفية المراكشية بتطبيق مباشر و حرفي للشريعة الإسلامية و هذه نقطة اختلاف جوهرية بين السلفية المراكشية و الوهابية السعودية التي تشددت في هذه المسألة و اعتبرتها مسألة غير قابلة للنقاش و لم تعرف السلفية المراكشية ذلك الصراع المزمن الذي عرفته الوهابية السعودية مع الحداثة بل تمكنت من أن تصبّ تلك القيم الليبيرالية التي تبنتها في قوالب إسلامية و ذلك من خلال إيجادها لروابط و أصول سابقة لها في الإسلام بحيث تصبح الحداثة نابعة من الإسلام لا من الغرب . لم يجد سلفيو مراكش تناقضا بين السلفية- بمضمونها الديني- و بين الحداثة- المستوردة من الغرب-، لم يقبل المراكشيون كل قيم الحداثة الغربية طبعا بل التقوا ما يناسب مجتمعهم ورفضوا البقية فقد رفض علال الفاسي الرأسمالية الغربية بشدة " وهاجمها من حيث استغلالها الشنيع للطبقة العاملة و استعمالها أساليب الغش و الحيل و الرياء في المعاملات لتكثيف الثروات الطائلة... و هو يبقى مخلصا للأخلاقية الاقتصادية الإسلامية عموما" [299] و إجمالا فقد امتازت السلفية المراكشية عن الوهابية السعودية على المستوى الديني بالمرونة وفتحها باب الاجتهاد و عدم تقيدها الصارم بالشريعة الإسلامية.رغم التقارب الكبير- ونكاد نقول التماهي- بين السلفية المراكشية و الوهابية السعودية على المستوى السياسي فإنه توجد نقاط اختلاف بارزة بينهما أوّلها أن الدعوة الوهابية السعودية رغم مضمونها السياسي فأنها لم تكن حركة سياسية منظمة و مهيكلة في حين انضوت السلفية المراكشية تحت لواء حزب الاستقلال أي أنها كانت ممثلة حزبيا و سياسيا بشكل عصري وحديث.

---

[299] محمد صالح المراكشي، تأثير محمد رضا في بعض البلدان الإسلامية، مرجع سلف ذكره، ص 86

كذلك من النقاط التي تميز بين الحركتين الوهابية السعودية و السلفية المراكشية أن الدعوة الوهابية كانت الايديولوجيا التي اعتمد عليها العرش السعودي لإرساء دولته بينما كانت السلفية الجديدة المراكشية بالنسبة إلى العرش العلوي الايديولوجيا التي دعم بها حكمه القائم الذات.

وظف السعوديون وكذلك المراكشيون الدعوة السلفية لتحقيق هاجس الوحدة التي يصبو إليها مجتمعاهما لكن السعوديين حولوا هذه الدعوة الدينية إلى حركة فتح وجهاد ذلك أنهم اعتبروا كل من خالف مذهبهم كافرا و بالتالي فقد حل ماله ودمه و قد استند السعوديون على ذلك لتوسيع رقعة دولتهم وللقضاء على الخلافة العثمانية و تأسيس خلافة عربية إسلامية في إطار دولة إسلامية عربية واحدة مستخدمين في ذلك قوة الدعوة الدينية في نفوس الوهابيين و قوة السلاح، في المقابل وظفت السلفية المراكشية سلطتها الروحية على المراكشيين- مراكشي المنطقة السلطانية دون المنطقة الخليفية- لتوحيد صفوفهم حول العرش العلوي ولتحقيق برنامجها السياسي المتمثل في الاستقلال وللحفاظ على وحدة مراكش الوطنية. على العكس من الوهابية السعودية أكدت السلفية المراكشية على اتجاهها نحو تدعيم الرابطة الإقليمية الوطنية الضيقة فالفاسي معتدّ بالفكر الوطني المراكشي معتزّ بانتسابه إلى مراكش و هو يؤكد على رغبة المراكشيين في الاستقلال بذواتهم حتى عن أشقائهم العرب و المغاربة يقول في ذلك: " المغرب الأقصى مع رغبته الدائمة في الاتحاد مع المغرب كله يمتاز بخاصة الحب لشخصيته و العمل على أن لا يكون تابعا حتى لإخوانه و أصدقائه و هذا ما يعلل بقاءه بمعزل عن كثير من الفاتحين في العصر القديم و ما يعلل سلامته من الفتح التركي في العصر المتوسط" [300].

مشاريع السلفية الجديدة الوحدوية كانت على نطاق محلي وطني إقليمي بينما كانت مشاريع الوهابية السعودية الوحدوية على نطاق قومي إسلامي لذلك عملت على إحياء نظام الخلافة

---

[300] علال الفاسي، النقد الذاتي، مصدر سلف ذكره،ص 139

الإسلامية في المقابل رفض علال الفاسي إحياء هذه الخلافة الإسلامية ورفض انصهار مراكش ضمنها" بل اهتم أساسا بكيفية بناء نظام وطني ديمقراطي يسوده الاندماج التام بين الملك و الشعب في المغرب و يستطيع حماية التراث الروحي و المادي للشعب المغربي" [301] لذلك نادى الفاسي بالإخاء الإنساني بدلا عن الإخاء الإسلامي لأنه يرى انه ليس من الممكن تحقيق التآخي بين الأمم الإسلامية ضمن وحدة سياسية لذلك فان الواجب من وجهة نظر الفاسي" يقضي باعتماد القومية المبنية لا على الروح العنصرية أو الدينية و لكن على أساس الروابط الإقليمية الوطنية مجندة لتبرير ذلك ما عرف في الإسلام من تسامح" [302] يمكن في إطاره الحديث عن إخاء إنساني تنتفي فيه الفوارق الإثنية و الدينية و الاجتماعية وهذا يعني قبول الآخر- المختلف دينا وجنسا- وهذا ما ترفضه الوهابية السعودية التي عملت على إنشاء دولة إسلامية من منظورها الوهابي. وبذلك تكون السلفية المراكشية أرحب أفقا و أكثر وعيا في التعامل مع محيطها الثقافي و السياسي. وهذا ما جعلها لا تتردد في قبول بعض القيم الليبرالية فقد نادى الفاسي بملكية دستورية و لم يخف رغبته في بناء دولة حديثة. بل طالب السلفيون الجدد بالدستور و بالنظام البرلماني القائم على تعدد الأحزاب و بحرية الصحافة و حرية التعبير و حرية الفكر و الاعتقاد في حين واصلت الوهابية السعودية التعلق بملكية تكرس نظرية "الحق الإلهي" ودخلت في صراع حاد مع قيم الحداثة التي أفرزتها فلسفة التنوير في الغرب بينما لم

---

[301] محمد صالح المراكشي، تأثير محمد رشيد رضا في بعض البلدان الإسلامية، مرجع سلف ذكره، ص83

[302] محمد عابد الجابري، المغرب المعاصر، مرجع سلف ذكره، ص26

تدخل السلفية المراكشية في تناقض كبير مع اللبيرالية الغربية بل تمكنت من تبني قيم اللبيرالية وصبتها في قوالب مراكشية عربية إسلامية، لكن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بأن هذه الموائمة التي حاولت السلفية المراكشية خلقها بين الاتجاه الديني و بين الحداثة الغربية لم تكن ناجحة دائما بل كثيرا ما خلقت تناقضات و صراعات بين القادة السلفيين سرعان ما عبرت عن نفسها بانشقاق حزب الاستقلال بعد ثلاث سنوات فقط من استقلال مراكش، حيث أصبح القادة الشبان في هذا الحزب يرون أن السلفية أصبحت تتقاطع مع مفاهيم الحداثة السياسية. ان السؤال المطروح هنا هو إلى أي حدّ خدمت السلفية العلوية العلالية الأغراض نفسها التي خدمتها الوهابية السعودية؟

إجمالا يمكننا القول إن السلفية المراكشية قد خدمت الأغراض نفسها التي خدمتها الوهابية السعودية دينيا و سياسيا على الأقل على مستوى المحاور الكبرى فكلتاهما وظفتا الدعوة السلفية لمكافحة البدع ولخلق وحدتها السياسية لكن رغم الوحدة في الإطار العام- الدعوة السلفية- فان المضمون قد اختلف بين السلفية الوهابية السعودية و السلفية العلوية العلالية نظرا إلى اختلاف البيئتين فالبيئة البدوية التي نشأت فيها الوهابية السعودية قد دعمت انغلاق هذه الدعوة على نفسها بينما كانت السلفية المراكشية أكثر انفتاحا بحكم أنها مدينية الجذور و نشأت على أيدي نخبة من مثقفي مراكش، كذلك يختلف المجال السياسي السعودي الذي احتضن الدعوة الوهابية عن المجال السياسي المراكشي رغم التقارب الكبير بينهما فالمجال السياسي السعودي حافظ على تقليديته بينما حاول المجال السياسي المراكشي أن يزاوج بين بنيته التقليدية و بين مظاهر الحداثة السياسية التي أعلنت عن نفسها في مراكش من خلال التعددية الحزبية و العمل السياسي المهيكل و المنظم.

تمكن المراكشيون من تمثل قيم الحداثة الغربية بحكم تعاملهم مع عدو- المحتل- تشبع بهذه القيم بينما تعامل السعوديون وخاصة في القرن الثامن عشر مع عدو- العثمانيين- يفتقد هذه القيم وربما كان سببا في انغلاق الوهابين السعوديين على أنفسهم وفي صدّ رياح الحداثة عنهم.

خـاتــمة عامــة

يمكننا القول إن الدعوة الوهابية السعودية و السلفية المراكشية هما وجهان لعملة واحدة، وظفتا المضمون الديني للدعوة السلفية لتحقيق أهدافهما السياسية التي لم تكن لتتحقق لو لم يحدث التحالف بين العرش السعودي و الشيخ محمد بن عبد الوهاب من ناحية و بين العرش العلوي و علال الفاسي من ناحية أخرى وقد حاولنا في بحثنا معرفة أسباب هذا التحالف الحقيقية التي هي أسباب سياسية بحتة فإبن سعود مثلا لم يناصر دعوة ابن عبد الوهاب إلا ليكسر شوكة القبائل النجدية بدعوى أنها أوغلت في الشرك ليحقق أهدافه السياسية التوسعية كذلك لم يتبن ملك مراكش محمد الخامس و ممثل حزب الاستقلال علال الفاسي الدعوة الوهابية إلا لإخضاع بلاد السيبه و تحقيق الوحدة بين المراكشيين و من ثمة توطيد أركان العرش العلوي ثم تحقيق استقلال مراكش. فالساسة السعوديون و الساسة المراكشيون لم يهتموا بتحقيق أهداف الدعوة السلفية الدينية بل استغلوا المضمون الديني لهذه الدعوة بحكم أن الدين عامل مؤثر في شعبيهما لتحقيق مشاريع سياسية بمعنى أن هذه الدعوة الدينية التي تبنتها المملكة العربية السعودية و المملكة العلوية أفرغت من محتواها الديني لتحمل مضمونا سياسيا و دليل ذلك أن المبادئ السلفية الدينية متى خرجت من حيز النظرية إلى حيز التطبيق فشلت فالسياسة السعودية أصبحت تبتعد منذ إعادة بعث الدولة السعودية الثالثة في ثلاثينات القرن الماضي عن الصرامة في تطبيق المبادئ السلفية بل وقع إسقاط عدد من المبادئ و قبول مبادئ أخرى تتعارض و الروح السلفية. أما في مراكش فالدليل على كون السلفية الجديدة لم تكن إلا مشروعا سياسيا تبنته النخبة الوطنية المراكشية، انفجار حزب الاستقلال- الممثل الأول للسلفية في مراكش- الذي خرجت منه تيارات راديكالية يسارية ذات تفكير مادي ماركسي كانت إلى حدود الاستقلال تدعي أنها تتبنى الدعوة السلفية و لم يكن هذا التبني إلا استراتيجية سياسية فرضتها الظروف المحلية بمراكش وانتهت بانتهائها ولكن ولما كان النظام السياسي في المملكة العربية السعودية و في المملكة العلوية المراكشية يقوم على الملكية الدينية التي تدعمها الدعوة السلفية إلى حد كبير فان العرشين السعودي و العلوي حريصان على التعامل بحذر مع هذه الدعوة و خاصة مع

الجيل الجديد من السلفيين الذين أصبحوا لا يرون في السلفية التي تمثلها دولتاهما السلفية الحقيقية لذلك دخلوا في صراع كبير مع حكوماتاهما.

قائمة المصادر و المراجع
مرتبة ألفبائيا

- قائمة المراجع بالعربية:ا ا

- أمين (احمد)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، القاهرة، موفم للنشر، 1990

- بركات (حليم)، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1984

- بنسعيد (سعيد)، في النهضة و التراكم، الدار البيضاء، الشركة المغربية للنشر، 1986

- بلقزيز(عبد الإله)، الحركة الوطنية المغربية و المسألة القومية(1947-1987)، بيروت، 1992

- بوعزيز(يحي)، الأمير عبد القادر الجزائري رائد الكفاح، تونس، الدار العربية للكتاب الشركة الوطنية للنشر

و التوزيع، 1983

- تيمومي(الهادي ال)، في أصول الحركة القومية العربية (1839-1920)، تونس، دار محمد على الحامي، 2002

- جابري(محمد العابد ال)، المغرب المعاصر الخصوصية و الهوية الحداثة و التنمية، الدار البيضاء، مؤسسة بنشرة للطباعة و النشر، 1988

- جندي(عبد الحليم ال)، أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1982

- جوليان (شارل أندري)، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية، تونس الدار التونسية للنشر و التوزيع، 1976

- دقي (نور الدين ال) تنظيم الحكم بتونس في فترة الحماية الفرنسية (1881-1956)، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1988

-ريحاني(أمين ال) ، تاريخ نجد الحديث و ملحقاته، بيروت، 1954

- زامل (عبد الله) اصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود، لبنان، المؤسسة التجارية للطباعة و النشر، 1972

- زركلي (خير الدين ال)، معجم الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1992

- زياد (خالد) اكتشاف التقدم الاروبي، بيروت، دار الطليعة، 1983

- سبينوزا (باروخ)، رسالة في اللاهوت و السياسة، بيروت، دار الطباعة، 1994

- خزعل (حسين ال)، تاريخ الجزيرة في عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بيروت، دار الطليعة،دت

- ضريف (محمد ال)، الأحزاب السياسية المغربية، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1988

- ظاهر (محمد كامل)، الدعوة الوهابية و أثرها في الفكر الإسلامي في الحديث، دار الجيل، 1993

- عبد ربه(أحمد)، العقد الفريد، بيروت، منشورات الرسالة، 1979

-عزيّز (عبد الكريم) نضال شعب أبي، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1993

- غلاب (عبد الكريم)، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، الرباط، مطابع الشركة المغربية للطبع و النشر، 1976

- غلاب (عبد الكريم)، ملامح من شخصية علال الفاسي، مطبعة الرسالة، 1974

- فريد (محمد)،تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت، دار النفائس، 1988

- فيتشر(هربرت)، أصول التاريخ الأروبي الحديث من النهضة الأروبية إلى الثورة الفرنسية، مصر دار المعارف، 1962

- قصّاب(أحمد) ال)، تاريخ تونس المعاصر (1881-1956)، تونس الشركة التونسية للتوزيع 1986،

-كوتلوف، تكون حركة التحرر الوطني في المشرق العربي منتصف القرن التاسع عشر، دمشق، مطبعة وزارة الثقافة

و الإرشاد القومي، 1981

- كتاب التاريخ المدرسي، لتلاميذ السنة ثالثة ثانوي، تونس المركز الوطني البداغوجي 2006

- لاندو (روم) تاريخ المغرب في القرن العشرين، بيروت نيويورك، 1963

- لوتسكي(فلاديمير)، تاريخ الأقطار العربية الحديث، موسكو، دار التقدم، 1971

- نفزاوي (محمد الناصر)، " التفكير السياسي و الاجتماعي في المغرب الأقصى، درس عام القي على طلبة السنة أولى ماجستير حضارة معاصرة، السنة الجامعية 2004/2003، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية تونس

- نودينو(جان فرانسوا)، 21 دولة لأمة عربية واحدة ؟، بيروت، بيسان للنشر و التوزيع، 1993

- هرماسي(محمد عبد الباقي)، المجتمع و الدولة في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996

– المرجعان بالفرنسية ا ا ا

-Attilo, Goudio, Allaal el Fassi ou l’ histoire de l’istiqlal ,Paris,Alain Moreau ,1972

-Waterbury (John),le commandeur des croyants la monarchie marocaine et son élite, Paris presses universitaires de France, 1975

مجلات و حوليات جامعية: - IV

- الشرق الأوسط" فلتسقط القومية العربية"، هشام علي حافظ، عدد بتاريخ 1 افريل 1980

- دعوة الحق، الشيخ محمد عبده موقفه من الشبه و المتشابه"، علال الفاسي، العدد 99، السنة 1 مارس 1958، الرباط

- حوليات الجامعة التونسية مقال "تأثير محمد رشيد رضا في بعض البلدان الإسلامية"، محمد صالح المراكشي، العدد 24/ 1985، تونس

- مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية، " مفهوم السلف و السلفية قديما وحديثا"، سليمان الشواشي، كلية الشريعة

و الدراسات الإسلامية، الكويت، 1994

- سلسلة عالم المعرفة، إمام عبد الفتاح" الطاغية"، عدد 183، سنة 1994

رسائل جامعية:-V-

الشارني منير، علال الفاسي و كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها، بحث معد لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الفقه الإسلامي، إشراف الأستاذ عبد القادر قحه، كلية الشريعة و أصول الدين، تونس، السنة الجامعية، 1995-1996

مواقع الكترونية: VI-

- موقع السنة و الجماعة،" فتنة الوهابية"، أحمد بن زين دحلان.

فهرس الأعلام مرتب ألفبائيا

الإسم

الصفحة

أبو عبد الله السنوسي

114

أبو شعيب الدكالي

127-126

أدام سميث

20-19

أحمد بلافريج

133

أحمد بن حنبل

32 – 40 – 58 –

63 - 59

تركي بن عبد الله

74

تقي الدين بن تيمية

41 – 42 – 58 – 59 -

64 - 63

توماس ولسن

108

جون جاك روسو

17

جون لوك
14

جوزيف الثاني
13

حبيب بورقيبة
111

حسن الثاني
158

حسن القلاتي
106

خالد بن سعود
75

سليمان القانوني
22 - 35

سليمان (المولى)
124

شكيب أرسلان
101

عبد الله ابراهيم
142

عبد الله بن ثنيان
75

عبد الجليل الزاوش
106

عبد الحميد باديس
101

عبد الخالق الطريس
135

عبد العزيز آل سعود -91-90-89-88-87-85-83-82-81- 80-79
92

عبد العزيز الثعالبي - 109 – 106 – 102 – 101
111

عبد القادر الجزائري
98

عبد الرحيم بو عبيد 140
- 142

علال الفاسي -148-146-144-138- 137 -136 – 135- 133- 128
- 149
.169-167-166-164-163-162-156-150

علي باش حانبه
107

علي بك الكبير
23

فريديريك الثاني
13

فرانسوا ماري أرواي فولتير
16

فيصل بن تركي
74 – 77

فيصل الدرويش
92

كاترين الثانية
13

لويس الرابع عشر
18

لوسيان سان
111

محمد بن الحسن الوزّاني 133 – 135 – 136 – 137 –
138

محمد بن عبد الوهاب 32 – 38 -40 – 41- 42 -43 – 44 – 45 -47 – 48 -49- 51-
58- - 59 -60- 61- 62-63- 64- 69 – 151 -163 –
164 -167- 173

محمد بن سعود 44 – 45 -46- 152-
166 -

محمد بن رشيد
78

محمد بن عبد الكريم الخطابي 118 - 120 -
155

محمد الخامس 132 – 141 - 154 -
155- 164

محمد العربي العلوي 125 – 127
128 -

محمد علي 52 – 53 -
54 -55

محمد رشيد رضا
100

محمد عبده
100 - 128

محمد السنوسي
106

محمد المكي الناصري
135

محمد الناصر باي
110

مهدي بن بركة 139
142 -

فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

.....2... .....

الإهـــداء

شكر و .....3.....

امتنان.

شكر خاص

.....4.....

تـــصديـــر

.....5.....

مـقـدمــة

.....6.....

القسم الأول : الوهابية السعودية التأسيسية

..... 10 .....

الفصل الأول : القـرن الثامن عشر في أروبا و السلطنة العثمانية

..... 11 .....

الفصـــل الثـانـــي : ظـــروف نشـأة الـوهـابيـة السعـوديــة فــي نـجــد.....31

الفصـل الثالـث : مضامين الوهـابيــة السعـوديــة ..... 57..

.....

الـفصـل الرابع:الـــــــــوهابية في نجد الثلث الأول من القرن العشرين

.....73

القسم الثاني: السلفية الجديدة في 95

مرّاكش ..

الفصل الأول:الثلث الأول من القرن العشرين في أروبا و بلاد المغرب عامة خاصة 96

ومرّاكش

الفصل الثاني : ظروف نشأة السلفية المرّاكشية العلوية"الجديدة"

الفصل الثالث : مضامين السلفية المرّاكشية العلوية الفاسية .....123.....

..... 314 .....

الفصل الرابع : أوجه الائتلاف و الاختلاف بين الوهابية و السلفية العلالية الفاسية العلوية.

..1 16

خـاتــمة عامــة .....

.....317

الملـحـقــان 176

قائمة المصادر و المراجع مرتبة ألفبائيا..... 200

فهرس الأعلام..... 205

فهرس 207

الموضوعات.....

الملحقان